

سلام تحت
ظلال الجنة
تشيه مان - شيك

- ♦ المؤلف: تشيه مان-شيك
- ♦ العنوان: سلام تحت ظلال الجنة
- ♦ ترجمة: آلاء فتحي ومروة زهران
- ♦ الطبعة: الأولى 2025
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن بشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٤ / ١٦٢٨١

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977 - 765 - 418 - 0

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq for Publishing & Distribution

17 Mahmoud Basiony St, 6th floor, from Tallat Harb Sq, Cairo – Egypt

Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com

١٧ شارع محمود بسيوني - الدور السادس - متفرع من ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ١١١١٦٠٢٧٨٧

f afaqcairo afaqcairo afaqcairoplsh

تشيه مان - شيك

سلام تحت ظلال الجنة

رواية

ترجمة عن الكورية

آلاء فتحي ومروة زهران

آفاق للنشر والتوزيع

هذه ترجمة كتاب:

태평천하

المؤلف:

채만식

جميع الحقوق محفوظة

© آفاق للنشر والتوزيع

All rights reserved

© Afaq Publishing House 2024

*This book is published with the support of the Literature
Translation Institute of Korea (LTI Korea).*

الفصل الأول

عودة السيد الأستاذ العجوز «يون» إلى منزله

مضى عيد الحصاد،^(١) وأوشكت شمس الخريف على الأفول.

كان السيد الأستاذ يون العجوز، المعروف بثرائه في منطقة كيه-دونج، عائداً لتوه من الخارج. توقفت عربة الركشة^(٢) أمام منزله، وهم بالترجل منها.

بالنسبة إلى الرجل الذي يجرّ هذه العربة، كان ذلك اليوم أحد أسوأ أيام حياته، ولا علم لنا: أكان السبب حلماً سيئاً راوده في الليلة السابقة، أم شجاراً وقع مع زوجته صباح ذلك اليوم؟!

كان جرّ العربة على طريقٍ مسطحٍ شاقاً بما فيه الكفاية، ولكن أن يسحبها لعشرات الأمتار صعوداً لأعلى تلة شديدة الارتفاع بعد المرور بالأزقة الضيقة، كان ذلك كفيلاً بأن يدفعه للشعور كأن لسانه سيسقط من فمه، دون أدنى مبالغة.

(١) عيد «تشوسوك»، أو عيد الحصاد الكوري، يوافق منتصف الشهر الثامن من الشهور القمرية.

(٢) عربة نقل تعمل بقوة الشخص الذي يجرّ العربة ذات العجلتين، مزودة بمقعد لشخص أو اثنين حسب تصميمها.

كان العجوز يزن نحو مائة وسبعة كيلوجرامات.

اكتشفت تشون - شيم اللعوب الصغيرة وزنه قبل يومين، وهي بصحبته في نزهة عند تلة جين، حين صعد السيد الأستاذ يون فوق ميزان حديث، مثل ذلك الذي يُوضَع أمام المتاجر الغربية التي تبيع العقاقير. يقع المتجر في مواجهة البوابة الخلفية لمكتب سيئول البريدي.

كان الرجل يجرّ عربةً تحمل مائة وسبعة كيلوجرامات. ورغم أنه وُلِدَ في طبقة المهمشين، إلا أن ذلك التدريب المحترف كان رائعاً، وقد تمكن بطريقةٍ ما من شَحْذِ هِمَّتِهِ للاستمرار في جرّ تلك العربة. وفي نهاية طريقه الطويل، أرخى عربته أمام بوابة منزل العجوز، التي كانت أصغر قليلاً من بوابة «نام ديه مون»^(١)، ثم نجح في أن يسير بضع خطوات أخرى، لكي يرفع الغطاء الذي يغطي ساق العجوز.

حاول السيد الأستاذ يون رفع مؤخرته من مقصورة العربة، ثم بدأ يترجّل بكل حذر. أخذت العربة تترنح، كأنها ستقلب في أي لحظة. «يا هذا!».

لم يكن بوسعه الترجّل من العربة بمفرده، فاضطّر إلى طلب المساعدة من الرجل الذي يجرّ العربة.

«واجب عليك أن تساعدني. لا تتسمر في مكانك هكذا، مكتفياً بمراقبتي فحسب».

في الواقع، لم يكن الرجل يقف متسماً في مكانه فقط، بل يحاول

(١) إحدى البوابات الثمان لسور قلعة مدينة سيئول عاصمة كوريا الجنوبية.

استعادة أنفاسه وتجفيف عرقه المتصبب فوق جبهته. لكن اللوم الذي تلقاه من العجوز أشعره بالذنب بشكل ما، فسارع بمدّ يده لمساعدة الرجل على النزول من العربة.

وبمجرد أن وطأ الرجل الأرض بقدميه، حتى اتضحت أبعاده على الحقيقة، ليتبين أنه ضخّم الجثة حقًا.

في الواقع، لو حاولتَ ضَمَّ خصره سيتطلب الأمر طول ذراع ونصف، ولربما عجزنا عن ذلك أيضًا. والأنكى أن طوله كان يبلغ مائة وثلاثة وثمانين سم على الأقل. ولمنحك صورة أفضل، فقد بدت العربة بجانبه أشبه بلعبة صغيرة، وقد بدأت البوابة تهتز وتضطرب بمجرد عبوره من أسفلها.

وكان وجهه محتفظًا برونقه.

والفضل في ذلك يرجع لمداومته على تناول العقاقير العشبية لما يزيد عن ثلاثين عامًا، والتي احتوت على قرن الوعل ودم الخنزير البري ودم الغزال، ولمداومته على الچينسنج والأعشاب الصينية التي منحتها بشرةً مشرقة تضاهي بشرة اليافعين، بالإضافة إلى ذقن تكسوها بعض الشعيرات البيضاء كبياض الثلج، لا بالكثيفة ولا بالقليلة، أضفت حُسناً على وجهه الوسيم.

كانت عيناه مسحوبتين لأعلى بشكل طفيف كعيني طائر العنقاء، مع أنف منمق وسيم كفيل بجلب الحظ السعيد، وكانت شحمة أذنه متدلّية، وله فمّ واسع. وكلها علامات تدل في الرجل على الثروة وطول العمر.

عُمره؟ سيبلغ الثانية والسبعين بحلول هذا العام. رغم ذلك، علينا ألا نتسرع في التخمينات. وبعيداً عن ضيق التنفس الذي يعاني منه، كان يتمتع بصحة جيدة تسمح له بمنافسة شاب في الثلاثين من عمره، بل وإحراج، بغض النظر عن وجه المقارنة بينهما.

كان مظهره محيراً. ملابسه لامعة من الداخل والخارج، وقد صُنعت من أجود أنواع نسيج الرامي^(١)، بينما اعتمر قبعة «تونج-يونج-كات»^(٢) التقليدية الأصلية، الخفيفة كأنها ستطير، وقد صُنعت من شعر الحصان، وبدت من براعة صنعها بأفضل ما قد يشتريه المال. وانتعل في قدميه زوجاً من الجوارب القطنية التقليدية المريحة، ونعلين من الجلد الأسود. في يده اليُمْنَى أمسك عصا أنيقة يعلوها رأس كلب مصنوع من الفضة الخالصة، وفي يسراه مروحة تقليدية جميلة صُنعت من ثلاثة وأربعين عصا من عصي البامبو.

يا حسرة على تلك الحلة؛ لو كانت في الأيام الخوالي لحسبها الناس هيئةً تضاهي في جواهرها هيئة القضاة المرموقين التابعين لإحدى المقاطعات، ولكن للأسف، مع الوضع الحالي المُزري، أصبح ذوو الأفواه الخبيثة يسيؤون الظن به فيحسبونه أحد المُهرّجين، أو حتى أحد باعة الحلوى الذين يفدون من أماكن بعيدة مثل طوكيو، ممن يدللون على بضائعهم لإثارة لعاب المُشتريين.

(١) «الرامي» أحد أقوى الألياف الطبيعية، ويتميز بأنه يضفي مظهرًا برّاقًا حريريًا للأقمشة.

(٢) قبعة تقليدية تُصنع من شعر الحصان وتحتكرها طبقة النبلاء لبيان مكانتهم الاجتماعية. حافظ الكوريون على هذا الزي حتى عهد مملكة جوسون.

نزل العجوز السيد الأستاذ يون من العربة، وبدأ يضبط معطفه الذي
فُتِحَ على آخره تلقائياً، ثم توقف فجأة وحلَّ صُرةً نقوده القماشية ذات
اللون الأزرق الفاتح، المتدلّية من خصره، ونادى على الرجل الذي يجرّ
العربة:

«بكم أدين لك؟».

يتضح من اللهجة أن مسقط رأس المتحدث مقاطعة جولاً^(١)،
ورغم أنها لهجة مقاطعة جولاً، إلا أن كلامه لم يخلُ من الصفاقة.
«سأدع الحكم لك يا سيدي».

انحنى سائق العربة، بينما كان البساط ملفوفاً حول خصره. كانت
تلك طريقته المعتادة مع جميع الزبائن دون تمييز، لكن تواضعه في
مخاطبة هذا الرجل العجوز ذي المظهر الضخم كان صادقاً، بمعنى
آخر، كان يأمل في الحصول على أجرة سخية.

«مم! حقاً؟ إن كان الأمر كذلك، إذن فلتمض لحال سبيلك!».

ابتعد العجوز السيد الأستاذ يون وأغلق صُرةً نقوده، بعد التحديق
مباشرة في وجه سائق العربة.

وقف الرجل حائراً، وأخذ يحك رأسه متسائلاً عن السبب، وما إذا
كانت الأجرة لاحقة الدفع.

«إذن هل تقصد أن أمرّ عليك غداً؟».

«غداً؟ وما الداعي لذلك؟».

(١) إحدى مقاطعات جوسون الشمالي.

كان مزاج العجوز السيد الأستاذ يون عكراً بالفعل، بسبب أمر حدث سابقاً، والآن عليه أن يُظهر انزعاجاً واضحاً لاضطراره إلى مراوغة سائق العربية.

ولكن من وجهة نظر صاحب العربية، كان واضحاً أنه يقصد العودة في الغد لتحصيل الأجرة. لكنه لم يكن وقحاً، ولم يتجرأ على ذكر الأمر صراحةً أمام العجوز، فوجد نفسه محاصراً في ذلك الموقف. أما بالنسبة للعجوز، فلم يُبدِ اكتراثاً لمعاناة الآخر، وأدار ظهره بالفعل مُلمّحاً أنه لم يبقَ ما يتناقشان حوله.

وقف سائق العربية مشدوهاً من موقف العجوز السيد الأستاذ يون، وبدأ ينتبه إلى أن العناء المُضني ليوم كامل، والذي كاد أن ينفجر صدره بسببه، يوشك أن يتلاشى أمام عينيه، وحينها أدرك أن عليه الوصول للقرار الفوري الذي يخبره بأنه ليس الوقت المناسب ليظل معتوهاً، وأن عليه اتخاذ موقف حاسم.

«سيدي، أقصد الأجرة».

لم يسفر القرار الحاسم الذي كان يقصده، عما هو أكثر من هذا التذكير الوديع.

«أجرة؟».

«نعم!».

«ماذا؟ كيف تجرؤ؟».

تقدّم السيد الأستاذ يون بضع خطوات للأمام وقد دبّت فيه حيوية مفاجئة، كما لو أنه أراد أن يمطر الرجل بضربات متتالية في أي لحظة.

«أأست من أخبرني منذ قليل أن أحكم في الأمر؟».

«بلى!».

«وهو كذلك، وأن أحكم في الأمر يعني أن أتصرف وفقاً لما يحلو لي، أليس كذلك؟».

حينها فطن الرجل صاحب العربة لنية العجوز السيد الأستاذ يون. الآن وبعد أن علم بنية الرجل ظل لسانه معقوداً، وأدرك أن الدعابة لا تصلح مع الجميع. في وضع مختلف، ومع شخص آخر، لربما انتهى الموقف بتبادل الضحكات، ولكن هذا التصرف لم يكن مناسباً مع شخص كهذا العجوز. بدلاً من ذلك، اكتفى بالجزء على أسنانه.

«هذا بالضبط ما فعلته، تصرفتُ وفقاً لحكمي، ورأيت أن لا بأس إن لم أدفع، ولذا أمرتُك بالانصراف».

ظن سائق العربة للحظة أن العجوز يمزح، ولكن بعدما أنهى حديثه، لم يكن قد تغير في تعبيرات وجهه أو في نبرة صوته شيء يكشف عن أي نية من هذا القبيل.

«يا إلهي! ظننت أنني سألتقي بسائق عربة بارع. حسبتك مؤدباً. رجل استثنائي، سيقل عجوزاً مثلي مجاناً بدافع الشفقة. انظر لي أيها الشاب! كيف لك أن تكذب بهذه السهولة كأنك تأكل حساءً بارداً؟ وكما يقولون: «صاحب القولين مشكوك النسب»^(١). على أي حال، يبدو أن سلوك أملك لم يكن مستقيماً».

(١) مثل يُقال لإهانة الرجل الذي يتردد بين أكثر من رأي، فيُشبَّه الأمر كأن له والدان، كناية عن سوء سلوك الأم.

ربما لم يدرك سائق العربّة متواضع الحال أنّه يتعرض للإهانة بإحدى طرق الكونفوشيوسية، من خلال عبارة «صاحب القولين مشكوك النسب». رغم ذلك، لم يستطع منع نفسه من الاستياء للتعريض بنزاهة أمه. حتى وإن كان غير متأكد مما إذا كان العجوز ينوي بشكل جدي التهرب من دفع الأجرة، إلا أن التذمر بدأ يؤثر فيه. وبالإضافة لكل ذلك، كان الرجل العجوز، مثل حاملي النعش المستأجرين، وهم يحملون النعش برعونة، وكان يدعوّه بالكاذب ويهين والديه الراحلين. في الواقع لو أن رجلاً آخر تصرّف بهذه الطريقة عند إنزاله أمام منزل مسقوف بالقش كهذا بعد ركوبه عربّة الركشة، ففي الغالب كان سائق العربّة سيصنع وجهه.

«سيدي! لا حاجة برجل محترم مثلك أن يتصرف مثل هذه التصرفات! أعطني النقود الورقية سريعاً لو سمحت! ها؟!».

كان صاحب العربّة يكتّم جرحه الناجم عن إهائته، ملتزماً بالأدب في طلبه. غير أن وقع كلمة «النقود الورقية» التي قالها في أذن العجوز السيد الأستاذ يون كان مفاجئاً كيان إلقاء قبلة مدمرة من قبل ذلك المعتوه الألماني هتلر، أو أيّ ما كان اسمه.

«ماذا؟ نقود ورقية؟ ماذا تقصد؟ ويحك!».

«ورقة وون واحد، هذا كل ما أريد! ها؟!».

لم يدرك سائق العربّة سبب اندهاش السيد الأستاذ يون من كلامه، بل إنه لسذاجته فهم الكلام حرفياً، وعقب عليه أيضاً.

«يا للعجب! لم أتصور أن العالم به مثل هذه السخافات! رجل طلب مني أن أحكم في الأمر كما يحلو لي، كأنه لا يريد الحصول على أجرته، والآن يطلب مني ورقة وون؟ أنا مصدوم وعاجز عن الكلام.. حسناً، كفّ عن ذلك. خطف مصاصة من طفل أسهل من الحصول على ركوبة مجانية منك! كم تريد؟ أخبرني بشكل مباشر».

كان صاحب العربة قلقاً من أنه لو أضاع المزيد من الوقت، في محاولة استخلاص المزيد من النقود من العجوز، فلربما فقد المزيد من الزبائن، ولم يجد مفرّاً من تخفيض طلبه للنصف فطلب خمسين تشون فقط. إلا أن السيد الأستاذ يون كان لا يزال على حاله لم يتأثر.

«اسمع! هل تريد الشجار معي الآن؟ أرى أنك مستمر في تلك المهاترات! تطلب خمسين تشون بكل سهولة، كمن ينطق اسم رضيع».

«سيدي! لم أطلب الكثير. ألم أقلّك من ساحة بومين إلى هنا؟».

«هذا ما قصدته بالضبط. بإمكانني أن أبصق لمسافة أبعد من المسافة التي حملتني فيها، وها أنت الآن تطلب مني خمسين تشون!».

«لا أطلب الكثير يا سيدي! علاوة على ذلك، فرجل في مكانتك يُتَظَرّ منه أن يهب بعض الإكرامية، حقّ شراء مشروب ماك-كولي»^(١).

تظاهر السيد الأستاذ يون بعدم سماعه للرجل واستدار بزاوية، ثم حلّ صُرة نقوده للمرة الثانية بعد أن كان قد أحكم وثاقها منذ بُرْهة. في النهاية، أخرج عشرة عملات معدنية، أخذ يكشط حوافها بأظافره.

(١) نبيذ كوري يُصنَع من الأرز المُخَمَّر، له قوام حليبي.

الوقوع في الخطأ جائز بين الحين والآخر، لذا وجب عليه التحقق بأظافره مرة أخرى، فحتى لو أخطأ وأخرج خمسين بدلاً من العشرة، فظفره لن يُخطئ أبداً، لأن لديه القدرة على التمييز بشكل دقيق للغاية.

«خذ هذه! كنتُ أنوي أن أعطيك خمسة عشر تشون لا غير. ولكن بما أنك على هذا النحو، سأعطيك عشرين قطعة نقدية. وبالمسح الإضافية بإمكانك شراء ما يحلو لك، سواء أكان المشروب الذي أردت، أو صحناً من الأرز. لا علم لي بمزاجك!». «هذا قليل للغاية!».

«قليل؟ تقول إن عشرين قطعة نقدية قليلة؟ يا رجل، لو ذهبَ للقرية لا شريتَ بهذا المبلغ أرضاً بمساحة عشرة بيونج!»^(١). شعر سائق العربّة برغبة مُلحّة في أن يخبر العجوز بأن يذهب للقرية بنفسه ويشتري أرضاً بمساحة أربعين بيونج بالعشرين قطعة نقدية التي يعرضها عليه، ويضمن مكاناً لنسله اللعين حتى الجيل الثالث أو الرابع. لكنه تمكن بالكاد من كبح حنقه.

«عليك أن تعطيني عشرة تشون أخرى على الأقل. أنت رجل ذو جسم ضخم ثقيل كما تعلم».

«من السخافة أن تضع اللوم عليّ! اسمع أيها الشاب، بما أنك أثرتَ الموضوع بهذه الطريقة، عليّ أن أخبرك أن رجلاً بحجمي كان متألماً من الجلوس في ركشتك الصغيرة هذه. وهل يطلبون من الركاب

(١) وحدة قياس كورية للمساحات. يساوي البيونج الواحد نحو ٨,١ متر مربع.

أجرة إضافية بناءً على أوزانهم في السيارات أو القطارات؟ هل سبق أن سمعت بهذا؟».

«هاها، ولكن...».

«ماذا ستفعل؟ هل ستأخذ هذه النقود وترحل، أم سترحل من دونها؟ إذا لم تقبل عرضي، سأشتري بعض اللحم بهذه النقود وأفرمها لعشائي».

«كل ما أطلبه منك يا سيدي عشرة تشون إضافية ليس إلا، وهي لا تستحق كل هذه الضجة، خصوصًا مع رجل نبيل مثلك».

«رجل نبيل؟ لو كنتُ نبيلًا بهذه الطريقة لخسرت كل ممتلكاتي! اللعنة! لو قابلتُ سائق عربة آخر مثلك لأصبحت أيامي معدودة».

لو كان للسائق الحرية في أن يقول ما يريد، لأخبر الرجل أنه بالتأكيد سيغشى عليه لو التقى بزبون آخر على شاكلته.

حلّ السيد الأستاذ يون صُرةً نقوده مرة أخرى، وأخرج خمسة تشون إضافية. أغضبته فكرة أن هذه القروش الإضافية ستكون بمثابة مكافأة للرجل، ولكن مع مناشداته المستمرة لم يجد بدءًا من دفعها هبةً له.

«هذه سخافة. خذ! خمسة وعشرين تشون لا غير! بإمكانك أن تتعلق في حزامي، لكنك لن تحصل على تشون آخر».

وقبل أن يُنهي السيد الأستاذ يون كلامه، أخذ سائق العربة القطع النقدية الثلاثة في كفه المتصلب، ثم تمتم بشيء لا يمكن فهمه، ولا ندري إن كان تعبيرًا عن الامتنان أم عكس ذلك، ثم أمسك بعربته وأطلق ساقيه للريح.

«تَبًّا. يا لها من خسارة! لو لم أَلحق بتلك الفتاة، لما لحقني ذلك الحظ العشر الذي قادني للقاء ذلك السائق الوغد، وقد كَلَّفني الشجار معه خمسة تشون! جاءت تلك الملعونة الصغيرة تشون-شيم هامسة في أذني بخبر مهرجان كبار المطربين لتقنعني بالذهاب لذلك الشيء الملعون».

أخذ السيد الأستاذ يون يُمطر تشون-شيم بوابل من اللعنات مدفوعًا بمزاجه السيئ، غير أن اتهامه كان عاريًا تمامًا من الصحة، فقراره بحضور مهرجان كبار المطربين في قاعة بومين لم يكن له أي علاقة على الإطلاق برغبة تشون-شيم في الذهاب إليه. كل ما في الأمر أنها تباغت أمامه بأن أختها أون-شيم ستكون إحدى المؤديات في الحفل؛ الأمر الذي جعل السيد الأستاذ يون يتهلل وتنفرج أساريره على إثر الخبر.

وكان هو من أقنع تشون-شيم بمرافقته بعد إلحاح مستمر.

الحقيقة أن لولا نصيحة تشون-شيم، لما فكر أصلاً في الذهاب إلى المهرجان الغنائي، إلا أنه لو أدرك في اليوم التالي بأن المهرجان قد فاتته، لأصابه الانزعاج الشديد.

الفصل الثاني

مهارة استقلال المركبة دون دفع الأجرة

كان السيد الأستاذ يون عاشقًا لمهرجان كبار المطربين. كان المهرجان في الغالب ثاني أكثر شيء يحبه في العالم بعد عشقه للمال. ربما يرجع عشقه للغناء بسبب مسقط رأسه في مقاطعة جولا، فقد كان مفتونًا بشكل عجيب بأصوات الجنوب. وبسبب حبه للموسيقى، لم يكن يعجبه شيء، أكثر من أن يستدعي إلى بيته فتيات الكيسينج^(١) المطربات ليل نهار، لثلاثمائة وخمسة وستين يومًا في السنة، إضافة لفرق متنقلة من راقصي الأقنعة. لكن ذلك كان يُكبّده مبلغًا ضخماً!

وإن قرر فعل ذلك يوميًا لمدة عام كامل، لربما تمكن من الحصول على خصم من خلال التعامل مع إحدى جمعيات المحظيات أو معاهد أبحاث الموسيقى الكورية. ولكن حتى ذلك الحين، سيكون عليه أن ينفق ما لا يقل عن عشرة تشون في اليوم، أي ثلاثمائة تشون في الشهر،

(١) نساء متخصصات في إمتاع طبقة النبلاء والملوك من خلال أداء العروض وإلقاء الشعر والعزف. يختلفن عن بائعات الهوى والبغايا، وكثيرًا ما كن يتعرضن للقهر الاجتماعي نظرًا لطبيعة عملهن. أثرت «الكيسينج» في التراث الموسيقي والشعري الكوري، وينسب لهن بعض قصائد الشعر الشهيرة في الأدب التراثي.

ثلاثة آلاف تشون في السنة.. يا للهول! كان هذا مبلغًا ضخمًا بالنسبة للسيد الأستاذ يون، حتى بمجرد تصوّر الأمر. التعبير الأدق أن يُطلق عليه «مبلغًا فلكيًا». من المستحيل تخيّل المبلغ من الأساس.

رغم ذلك، لدى الناس في كل مكان طرقهم الخاصة للنجاة، وقد وجد السيد الأستاذ يون طريقته الخاصة لكبح ذلك التعلّق العميق، والذي يبدو بعيد المنال، عن طريق ما يُسمّى «جهاز المذياع» و«مهرجان كبار المطربين». لم يكن السيد الأستاذ يون يشعر بالرضا التام عن تلك الطريقة التعويضية، لكنه وجد فيها متعةً تُغنيه. ولذا، وضع جهاز المذياع الصغير بالقرب من مكان نومه. كان الجهاز المزوّد بثلاثة مصابيح عند مقدمته، بالنسبة للسيد الأستاذ يون، شيئًا ثمينًا كالذهب والجواهر. كانت أصوات الجنوب تتدفق من ستوديوهات البث مباشرة لجهازه.

كان يداوم على الاستماع لتلك الموسيقى الخلابّة، مستلقيًا بشكل مريح على وسادته المُبطّنة، وفي فمه غليونه ذي الأنبوب الطويل، وهو يتمتم: «بديع!». كان من المؤسف في نظره ألا يتمكن من رؤية وجوه الفتيات الحسنات، أو حركات الانزلاق الرشيق للراقصات، بشكل مباشر. ورغم ذلك، كان راضيًا بالمتاح له.

كانت مهمة إبقاء الجهاز مفتوحًا من ضمن المهام العديدة الموكلة إلى ديه-بوك، الموظف لدى السيد الأستاذ يون. وكان من تلك المهام: الخدمة، وأعمال السكرتارية، وما إلى ذلك من الأعمال الأخرى.

في الأيام التي لا يستطيع فيها السيد الأستاذ يون من الاستماع

لألحان أو كلمات أغانيه الجنوبية التقليدية المفضلة، كان يهوي كالصاعقة على ديه-بوك:

«اسمع! أنت مثل الآخرين تأكل ثلاثة أطباق من الأرز يوميًا. كيف لك أن تكون بهذا الغباء؟ لماذا لا تستطيع أن تدير المذيع؟ ألم يكن يعمل بشكل يومي؟!».

كان ديه-بوك يقف عاجزًا عن الكلام، مكتفياً بحك رأسه أمام هذا التوبيخ البارد. في المرات الأولى، كان يتحجج بأن البرامج تحددها محطة الإذاعة، وأنه لم يكن هناك نسق موحد يضمن استمرار إذاعة الأغنيات الجنوبية، رغم محاولاته المتعددة لتغيير المحطات الإذاعية.

حينها، كان السيد الأستاذ يون يستشيط غضبًا من كلامه:

«نسق محدد، ما هذا الهراء؟! أنت تقول هذا الكلام لأنني نعتك بالغبي؛ تشعر بالإهانة لوصفك بالغبي فتقرر إلقاء اللوم على شخص آخر، أليس كذلك؟ كيف للصوت الذي كان يُذاع حتى الأمس أن يتوقف اليوم فجأة بدون سبب بحق السماء؟ هذا ما أعنيه! هل ماتت كل الغانيات وبقية المؤديات في أثناء الليل؟».

تعرّض ديه-بوك لعتاب شديد، مثل قطعة صُيِّبَتْ تَأْكُل من مائدة العشاء. كان يعاني بشدة من صواعق غضب السيد الأستاذ يون، واعتادت محطة الإذاعة أن تتلقى لفترة من الزمن رسائل مجهولة مكتوبة بنفس الخط وتحمل نفس المضمون، تتوسل جميعها بطلب إذاعة أغاني الجنوب على موجاتها كل يوم. هذه الرسائل المُعذِّبة كانت

من ديه-بوك نفسه، بعد أن كتبها بالدموع حرفيًا، إثر تحمُّله لوابل من غضب السيد الأستاذ يون وإهاناته واتهاماته غير المبررة.

لكن شكوى السيد الأستاذ يون لم تكن تقتصر على هذه الحالة فقط، فحين تُذاع الموسيقى كان عليها أن تبقى لمدة لا تقل عن ساعتين أو ثلاث ساعات متصلة، وكان يغضب في حالة إذاعة برنامج لثلاثين دقيقة فقط، لا تكفي لإشباع شهيته للغناء.

ورغم ضيق السيد الأستاذ يون، الذي كان ينفجر بين الحين والآخر، لم يكن في قرارة نفسه مستاءً من المتعة التي يحصل عليها من ذلك الصندوق الصغير في مقابل ما يدفعه، وهو عبارة عن سبعة عشر وون ثمن شراء الجهاز، إضافة لـ وون آخر حق الاستماع الشهري للإذاعة. لم يكن استثمارًا سيئًا على الإطلاق، حتى بالنسبة للسيد الأستاذ يون. رغم ذلك، عندما يحين وقت سداد رسوم الإذاعة ويصبح عليه التخلي عن المبلغ، كان يفتعل شكواه المعتادة من الجهاز.

«ماذا يحسبونني حتى يطلبوا مني سداد أكثر من وون شهريًا؟».

ولربما قال مُمتعضًا: «إن كان هذا ما يريدونه، فاخبرهم أنني سألغي الاشتراك من الشهر القادم!».

على كل حال، كانت تلك ملحمة المذيع، ثم كان هناك مهرجان كبار المطربين.

حيث يحضر جمع من الغانيات وأصحاب العروض بمختلف أشكالهم وألوانهم وفئاتهم الفنية. والأكثر من ذلك أن بإمكانك أن تمتع

نظرك بجميع العروض كيفما شئت. العيب الوحيد للمهرجان، أنه لم يكن متاحًا على الدوام مثل جهاز المذياع اللعين، ولكن سعادة السيد الأستاذ يون كانت عظيمة بالتأكيد في كل مرة يُقام فيها المهرجان. في رأيه، لم تكن هناك سعادة تضاهي حضور مهرجان كبار المطربين يوميًا على مدار العام.

كان ذلك المهرجان الذي يُنظَّم بالقرب من سيئول، بالنسبة له، أفضل ما يحدث تحت السماء. كما كان حريصًا كل الحرص على الحضور، حتى ولو أوشكت نهاية العالم. وإن حدث وغاب يومًا عن المهرجان، فكان السبب يُعزى بكل تأكيد إلى إهمال ديه-بوك.

ما لم يُرسل ديه-بوك في مهام خارج المدينة، كان روتينه اليومي يقتضي زيارة محل الحلالة على ناصية الزقاق لتفقد الجرائد، بغرض التحقق من جدول برامج المذياع اليومية وأوقات العروض المسرحية لمهرجان كبار المطربين، أو أي عروض أخرى برعاية هيئة الدراسات الموسيقية الكورية.

وفي حال أخطأ ديه-بوك، وتجاهل حدثًا أراد السيد الأستاذ يون معرفة أخبار عنه ثم يعلم بأنه قد فَوَّتَ عرضًا رائعًا، كان ينال نصيبًا من اللعنات المُدَوِّية والتوبيخ الذي يشبه الصواعق، تمامًا كما حدث له حين أنفق خمسة تشون زيادةً عمَّا يحتاج؛ لشراء ثلاث قطع من التوفو بدلًا من اثنتين.

على أي حال، يصف لنا ذلك مدى عشق السيد الأستاذ يون لمهرجان كبار المطربين. حتى اليوم، ومع أن الحفل لن يبدأ حتى الواحدة ظهرًا،

إلا أنه غادر منزله بالفعل متوجّهاً لمكان المهرجان قبل الساعة الحادية عشر والنصف، بينما تقوده تشون-شيم لموقع الحفل.

«ما الداعي لأن نتحرك مبكرًا؟ سنكون أضحوكة المكان حين نصل مبكرين ونجلس بمفردنا مُحَدِّثين في المنصة الفارغة».

استدارت تشون-شيم فجأةً إلى السيد الأستاذ يون بعدما كانت تسير بانتظام متقدّمةً الطريق، وتمتّت بالجملة السابقة في انزعاج.

ابتسم السيد الأستاذ يون وهو يمسح على لحيته وقال:

«ها أنت من جديد أيتها اللعوب، تتذمرين بهذه الطريقة! كفي عن التذمر وأسرعني، هيا تابعي سيرك، هلمّي!».

تابعت تشون-شيم سيرها، بعد تلك الدفعة اللطيفة من السيد الأستاذ يون.

كان وجهها بيضاويًا، مختلفًا عن وجوه فتيات الجنوب، ورغم أن وجهها لم يكن يشبه وجوه الأرانب على وجه التحديد، إلا أن عينيها كانتا كبيرتين مستديرتين، مع أنف محدّد وشفتين ممتلئتين. الانطباع الكلي عنها أنها تملك وجهًا لطيفًا كأرنب. وبغض النظر عن لطافة ملامحها، كانت تصرفاتها تتسم بالعبث. فتاة في الخامسة عشر ربيعًا، لم يزهر وجهها بعد، لكن الظروف التي عايشتها والأشياء التي رأتها والأصوات التي سمعتها، جعلت هيئتها تحمل بصمة امرأة. كان شعرها مُضَفَّرًا بشريط قرمزي متدلّ حتى وركيها، ولكن في حقيقة الأمر لم تكن تلك الصفات سوى شعرًا مستعارًا، مثبتًا في كل موضع من رأسها.

وكان قميصها التقليدي مصبوغاً باللون الزهري، وبعيداً كل البعد عن كونه جديداً، ارتدته مع تنورة طويلة زاهية الألوان ذات طيّات مشبّعة حول خصرها بربطة عنق رجالية، فأتمت الشكل النهائي لزيها. أما وجهها، فكانت به علامات تشير لإصابتها بالسعفة،^(١) إضافة للزغب الذي يكون غالباً عند الأطفال، وقد لطّخت وجهها ببعض مساحيق التجميل بشكل غير متساو.

ضعها بهيئتها تلك، وستقدم إضافة مثالية لعددٍ لا يُحصى من المتجوّلين الشباب الذين يمكن رؤيتهم وهم يتنزهون على طول مجرى النهر بجوار جسر كوانج-جيو. ولكن فضلاً لا تستهين بها بسبب ذلك الأمر، لأنها الآن تعيش ما قد نُطلق عليه «الحب».

كانت في الصدارة تقود الطريق لبعض الوقت، ثم توقفت فجأة حين باغتتها فكرة مفاجئة، فاستدارت مرة أخرى، وقالت: «سيدي!».

ضحكت، ثم بعد عدة ثوان من المرح، بدا عليها القلق فجأة. «ماذا تريدان الآن؟».

«بما أننا على عجلة من أمرنا، دعنا نستقل سيارة أجرة. ما رأيك؟».

«سيارة أجرة؟».

«نعم».

«حسنًا. تبّاً لذلك!».

(١) مرض جلدي تسببه الفطريات.

شعرت ببعض الريبة من استجابة السيد الأستاذ يون السريعة، فأخذت تتفرّس وجهه العجوز بدقة، وقد أثبتت ابتسامته العريضة شكوكها.

«هل تقصد أننا سنركب سيارة حقاً؟».

«هذا صحيح يا صغيرتي اللعوب».

«حسنًا، إن كان الأمر كذلك فلنبحث عن هاتف ونطلب سيارة».

«لا داعي للاتصال، سنلتقي بواحدة في طريقنا. إنها هناك».

«أين؟ علينا السير حتى ميدان آن جوك-دونج».

«سنجد واحدة قبل ذلك».

«لا يوجد!».

«بلى، سيارة ضخمة فضية لامعة».

«يا إلهي! من ذكر الحافلة؟».

أجابت تشون- شيم وهي محتقنة لشعورها أنها تعرضت للخداع، وأردفت:

«كنت تقصد الحافلة من بداية الأمر، لا السيارة!».

«اسمعي يا حلوتي، إنها ليست سيارة عادية، بل الأعلى بين السيارات».

«أتقول إن خمسة تشون مبلغًا باهظًا؟!».

«لم أكن أقصد الأجرة، بل قصدت شراء إحداها».

وقف السيد الأستاذ يون مع تشون-شيم عند محطة الحافلات عند تقاطع تشيه-دونج في انتظار الحافلة. لم تكن ساعة الذروة المعتادة في الصباح أو المساء، ولكن لسببٍ ما كانت الحافلات مكتظةً بالركاب، وقد مرّت حافلتين دون التوقف في المحطة، ثم مرّت الثالثة التي كانت أقلّ ازدحامًا من سابقتيها. حشر كلاهما جسده في الحافلة، وقد أوشكت الفتاة على الإجهاش في البكاء.

لم يكن السيد الأستاذ يون مهتمًا مطلقًا بأمر الركاب، وكان صعبًا عليه أن يحشر جسده الضخم داخل الحافلة المكتظة بالفعل والتي تكفي بالكاد لتقل رجلًا بحجمه. علاوة على ذلك، كان عليه أن يحني جسده قليلًا خشية أن تتأذى قبعته العالية الجميلة، مما دفعه لاحتلال حيّز أكبر من المكان. بينما انحشرت تشون-شيم تحت إبطه، ولو أنها اختبأت قليلًا داخل معطفه لما كان عليه دفع أجرتها.

حين وصلت الحافلة لمحطتها الأخيرة أمام المبنى الحكومي العمومي، نزل السيد الأستاذ يون وتشون-شيم مع باقي الركاب. أخذ جميع الركاب ينظرون للزوجين نظرة طويلة، كأنما أرادوا تخليد تلك اللحظة في أذهانهم قبل أن يهرع كل منهم لوجهته.

ما أن ترجّل السيد الأستاذ يون من الحافلة، حتى تنهد تنهيدة طويلة، متنفسًا الصعداء أخيرًا بعد أن اعتدل في وقفته، ثم حلّ صُرة نقوده وأخرج ورقةً بعشرة وون.

تذمرت الفتاة التي تبيع تذاكر الحافلة، وقالت غاضبة:

«ماذا تظنني فاعلة بهذه؟ لا يمكنني فكّ هذه النقود».

«تسأليني ماذا تفعلين؟ أليست نقوداً؟».

«ومن قال إنها ليست نقوداً؟! ادفع المبلغ المطلوب فحسب».

«ليس معي فكّة».

«سمعتُ شخلة الفكّة بَصْرَةَ نقودك منذ قليل، فلا تحاول خداعي».

«مم، هل تقصدين هذه؟».

رَجَّ السيد الأستاذ يون صُرَّته فأحدثت العملات صوتًا، ثم قال لها:

«هذه ليست نقودًا جيدة، مجرد نقود مزيفة. هل ترغبين في نقود

سيئة لا تُستخدم؟».

كان على وشك أن يحلَّ صُرَّته مرة أخرى، حين عبس وجه فتاة

التذاكر وقالت:

«لا أعلم، أنا متضايقة للغاية! ما وجهتك؟».

«إلى المحطة».

اقتрحت الفتاة على السيد الأستاذ يون التالي:

«إذن، أحضر الفكّة من السيارات المارّة؟».

أجاب السيد الأستاذ يون:

«فكرة ممتازة».

قدّم لها ورقة العشرة وون، بينما كانت معه الفكّة المطلوبة في

صُرَّته، وادعى كذبًا أنه سيتجه إلى المحطة بينما كانت نيته النزول عند

المبنى الحكومي العام، وكان كل ذلك مع سبق الإصرار.

بعد أن نجح في التفاوض على رحلة مجانية، تَجَوَّل السيد الأستاذ
يون بسعادة بالغة من المبنى الحكومي العام إلى قاعة بومين، بينما قادت
تشون-شيم الطريق.

«تلك هي الطريقة التي أعوض بها انزعاجي من ركوب حافلة
مزدحمة».

كان فخورًا بتعليم تشون-شيم مهارة الحصول على رحلة مجانية.
ومن هذا المنطلق، لم يكن السيد الأستاذ يون مثل صانعي البلاط
الأزرق، الذين يشتهرون بحرصهم على حماية أسرارهم التجارية.

الفصل الثالث

مهرجان كبار المطربين في بلاد الغرب

رغم الوقت الذي أُهدر في الطريق من جونج-نو وصولاً إلى وجهتهما، كانت الساعة العملاقة أعلى قاعة بومين تشير للثانية عشر ظهراً حين وصلا للقاعة.

كانت هناك مناوشة أخرى بين السيد الأستاذ يون وتشون-شيم حتى قبل شراء تذاكر الحفل، فقد أصر أن تذهب تشون-شيم إلى الجزء الخلفي من المسرح، للبحث عن أختها التي ستكون ضمن فريق الراقصات، لكي تدبر أمر الحصول على تذاكر مجانية لحضور العرض. لكن تشون-شيم أصرّت أن يشتري السيد الأستاذ يون تذكرة بالرغم من وضع أختها، فهي قد تبعته إلى العرض كأحد الحضور المحترمين، لذلك ليس عليها أن تتذلل من أجل الدخول المجاني. رفض كلاهما في عناد تام الاستسلام لفترة. في نهاية الأمر، أخرج السيد الأستاذ يون عمليتين معدنيتين من فئة العشرة تشون، ووضعهما في يد تشون-شيم محاولاً تهدئتها.

«هيا، أحضري لنفسك بعض الكستناء المحمّص بهذه النقود، وتحريّ دخولنا المجاني للعرض. في تلك الحالة سيكون الأمر في صالحك وصالحي أيضًا، أليس كذلك؟».

رغم انتصاف الصيف، كان السيد الأستاذ يون عادةً ما يشير للنقود التي يوزعها على الأطفال باعتبارها «نقود الكستناء المحمص»^(١).

كانت العشرون تشون كافية لتشتري بها تشون-شيم الكستناء، لكنها تمكنت قبلها من الوصول لخلف الكواليس بمناورة سريعة.

دفع السيد الأستاذ يون في صمت خمسين تشون مقابل الحصول على تذكرة حمراء لمقعد رخيص. دخل القاعة وفي يده تذكرته، ثم اتجه للصف الأول قرب المنصة، وجلس في أفضل مقعد في القاعة التي لا تزال خالية. كان بلا شك أول الحضور.

بعد قليل، دخل رجل قد حضر مبكرًا هو الآخر، وقد ارتدى بدلة غريبة وبدا عليه أنه في العقد الرابع من العمر، ثم اختار مقعدًا في الصف الأول بدوره. ولسبب ما، أخذ منذ اللحظة التي جلس فيها يحدق باهتمام بالغ في وجه السيد الأستاذ يون، ثم انتقل إلى مقعد آخر أكثر قربًا منه، وكأن اهتمامه كان يزداد بشكل مطرد. جلس في مقعده صامتًا لبعض الوقت، بينما بدت عليه رغبته في بدء حوار مع السيد الأستاذ يون. أخيرًا، نطق بأدب قائلاً:

«يبدو أن العرض يحظى بشعبية كبيرة هذه المرة، ألا توافقني الرأي؟».

(١) يباع عادةً في فصل الشتاء.

لم يدر السيد الأستاذ يون قصد الرجل من كلمة «شعبية»، علاوة على ذلك لم يكن يشعر برغبة في التحدث مع شخص غريب، فأجاب باقتضاب دون تفكير:

«بلى!».

أجابه الرجل بفتور:

«دعك من هذا!».

بدا أن الرجل ذي البدلة الغربية قد أحبطته إجابة السيد الأستاذ يون، ثم عَقَّب بعد برهة قائلاً:

«كم تحتاج من الوقت لتصبح مغنيًا مشهورًا؟».

انزعج السيد الأستاذ يون من الرجل وأجاب في غير اكتراث:

«حسنًا. لا علم لي!».

«فهمتكَ! تحاول التهرُّب من الإجابة».

«أي تهَرُّب تقصد؟ كل ما في الأمر أنني رجل محب للغناء، لكنني لستُ مغنيًا!».

«ها أنتُ تتهرب من جديد! إذا كان المطرب العظيم لي تونج-

بيك^(١) لا يعرف الغناء، من سيعرف إذن؟».

(١) مطرب كوري اشتهر بأغانيه التراثية، التي يُطلَق عليها «بان-سوري»، في حقبة الاستعمار الياباني لكوريا الجنوبية. كان يقدم فنّه من خلال الحفلات الغنائية في المسارح التي أنشئت على الطراز الحديث. توفي عام ١٩٤٩.

هل يُعقل هذا؟ كيف يخطئ في المطرب لي تونج-بيك ويشتهه عليه بالسيد الأستاذ يون؟!

شعر السيد يون بالحنق من تلك الإهانة التي لا توصف، حتى مع انحدار اللياقة العامة في تلك الأيام. لو حدث الأمر في منزله الواقع في حي كيه-دونج، لأمر بطرد ذلك الرجل من منزله على الفور.

رغم ذلك، كان السيد الأستاذ يون رجلاً عاصر العديد من الأحداث العاصفة في حياته، وعاش تحت نصل السيف، وكاد أن يفقد حياته أكثر من مرة أمام فوهة المسدس. كما أنه كان يعلم جيداً أن الصباح في الأماكن العامة وإحداث الجلبة والصراخ، لن يجلب لصاحبه سوى الإهانة والإذلال دون سبب.

ابتلع غضبه، ثم فتح تذكرته للرجل حتى يثبت له أنه مثله قد حضر لمشاهدة العرض. وبعكس توقع السيد الأستاذ يون، لم يُبدِ الرجل ذو البدلة الغربية أي اعتذار، واكتفى بإيماءة انحناء بسيطة فحسب. يا للوقاحة! تمكن السيد الأستاذ يون من كبح زمام غضبه.

حينها ظهر رجل آخر في بدلة غربية؛ كان يومًا يشي بسوء حظ السيد الأستاذ يون.

نظرًا للزهرة الاصطناعية المعلقة على صدر سترته، بدا أنه أحد مرشدي القاعة. وفي أثناء مروره، لاحظ أن السيد الأستاذ يون يحمل تذكرة حمراء، لكنه يجلس في المقاعد ذات التذاكر البيضاء. ولولا أنه انتبه للتذكرة، لما خطر بباله أبدًا أن ذلك العجوز النبيل قد يُقدم على مثل تلك الحيلة.

طلب المرشد صاحب البدلة الغربية من السيد الأستاذ يون بنبرة هادئة:

«سيدي، هذه مقاعد حاملي التذكرة البيضاء. فضلاً، انتقل لمقاعد المقصورة في الجزء العلوي».

كان السيد الأستاذ يون متحيراً بعض الشيء بسبب تلك المصطلحات الحديثة، «مقاعد التذاكر البيضاء»، وكان الأمر بالانتقال إلى الطابق العلوي أمراً غير متوقع إطلاقاً بالنسبة له.

«لماذا تطلب مني الانتقال لتلك المقاعد؟».

«هذه المقاعد مُخصّصة لحاملي التذاكر البيضاء. عليك الانتقال للمقصورة، بما أنك قد اشتريت التذكرة الحمراء».

«ماذا؟ هل هذه تذكرة الدرجة الأقل؟ دفعتُ خمسين تشون مقابل تذكرة المقاعد الدنيا؟! تحقق من الأمر بنفسك!».

«هذا ما أحاول قوله لك يا سيدي، كما تقول بالضبط. هذه هي المقاعد المتميزة، لكنك تملك تذكرة في المقاعد الأقل، ولذا أخبرك أن عليك الانتقال لمقاعد الدرجة الأقل».

«تقول إن المقاعد المتميزة تقع هنا، بينما تقع مقاعد الدرجة الأقل هناك؟».

«بالظبط».

«اسمعي جيداً، أي قانون هذا؟ الموقع العلوي مُخصّص للدرجة الأقل، والموقع السفلي مخصص للدرجة الأعلى! ما سمعتُ بمثل هذا طوال السبعين عاماً التي عشتُها!».

«ومع ذلك، هذا هو النظام هنا. هذه مقاعد الدرجة العليا، وهناك بالأعلى مقاعد الدرجة الدنيا».

«لا يمكن! ألسْتُ في كوريا؟ هل نحن في دولة غربية؟ ألهذا أجد كل شيء مقلوبًا رأسًا على عقب؟!».

قال مرشد القاعة وهو يضحك:

«هذا حال الحداثة. إن كنت ترغب في متابعة العرض من هذا الموقع، فليَمْ لا تدفع وون إضافيًا لشراء تذكرة بيضاء؟».

«لا يمكنني فعل هذا! ومهما قلت، فهذا المكان بالنسبة لي هو الدرجة الأقل، لذا سأجلس هنا وأتابع العرض».

لم يجد الرجل بُدًّا من الاستسلام لأنين السيد الأستاذ يون الطفولي؛ ذلك الرجل ضخّم الجثة أنيق الهدام، الذي يتصرف كطفل مدلل. وفي النهاية، نجح السيد الأستاذ يون في مشاهدة العرض من مقعده ذي التذكرة البيضاء، وبحوزته تذكّره الحمراء.

في حقيقة الأمر، ظن السيد الأستاذ يون أن من الأوقع تخيّل القاعة كقاعة عرض الأفلام، حيث تكون المقاعد السفلية أرخص من غيرها العلوية. وبناءً على الكثير من التجارب، كان يعرف جيدًا أفضل المقاعد لتحقيق أفضل متابعة للعرض، وكانت تلك المقاعد قرب منصة المسرح بالطبع. من ذلك الموقع، تصبح كل حركة من حركات راقصات العرض والكيسينج أمام عينيك مباشرة، بحيث تستمع للأغنيات بشكل أفضل. علاوة على ذلك، كانت التذكرة أقل سعرًا، لكونها في الطابق السفلي.

في البداية، استعان السيد الأستاذ يون بحدسه واختار الجلوس في المقعد الأمامي ظناً منه أنه أرخص سعراً، ثم اتضح في ما بعد أنه مُخصَّص لحاملي التذاكر البيضاء، والتي يكون سعرها ثلاثة أضعاف التذكرة الأخرى. وسواء أكنت ستصنف الأمر بالعناد المطلق أو المثابرة التي لا تنزعزع، فقد انتصر السيد الأستاذ يون على مرشد القاعة، وظل جالساً في مكانه طوال العرض. أفضل ما في الأمر، أنه بعكس قاعة عرض الأفلام التي لم يلقَ فيها سوى السخرية والاستهزاء على مظهره من المشاهدين، من العفاريت الصغيرة الشيطانية الجالسة لمتابعة الفيلم، فقد فاز هنا بكل شيء؛ مقعد استراتيجي متميِّز لأصحاب الدرجة الأرستقراطية بسعر الطبقة الدنيا، إضافة إلى إمتاع نظره برقصات الكيسينج.

بعد انتهاء العرض، واستمتع السيد الأستاذ يون بمشاهدته، طلب من تشون-شيم أن تعود لمنزلها مشياً على الأقدام، فهي تسكن في حي تشونج-جين. أما هو، فخرج بمفرده ومر بمحطة الحافلات التي تعجّ بالجمهور ممن خرجوا أفواجاً من العرض في نفس التوقيت. غير أن فكرة ركوب الحافلة مع كل هذا الجمهور ثم صعود تلة حي تشيه إلى حي كيه؛ التفكير في الأمر برمته، كان مرهقاً للغاية. كان بإمكانه الحصول على ركوب مجاني لعدة مرات بتلك العشرة وون، لكنه سأل نفسه فجأة، في خشية من السماء: علام كل هذا الشحّ المادي؟ وحينها، رأى عربة الركشة تمر من أمامه، فنادى على الرجل الذي يجرها، وركبها في نهاية الأمر، ووصل إلى عتبة منزله ذي الباب الضخم، وقد خَسَّتْ نقوده خمسة تشون إضافية.

كان من المفترض أن البوابة الأمامية مغلقة بإحكام، وأن البوابة الجانبية موصدة بالمسامير من الداخل. لكن اليوم، كانت البوابة الجانبية مفتوحة على مصراعها.

كلما تركت البوابة الأمامية مفتوحة، شعر كأن ممتلكاته المنزلية تتسرب للخارج، بينما تتسلل أشياء مشؤومة داخل المنزل. لذا أمر بالإبقاء على البوابة الأمامية موصدة في جميع الأوقات، عدا المناسبات النادرة فقط، حين تكون هناك كميات كبيرة من تسليم الحطب أو البضائع الأخرى. في واقع الأمر، كان إغلاق البوابة الرئيسية وعدم تركها مفتوحة أشبه بقاعدة دستورية، تُطبّقها أسرة السيد الأستاذ يون بصرامة، التي كانت على دراية بالأمر.

ولذلك، ظلت البوابة الأمامية الكبيرة موصدة على الدوام، وتحتم على كل من يدخل أو يخرج منها، سواء أكان من الكبار أو الأطفال، من السادة أو الخدم، أن يشق طريقه داخل وخارج المنزل عبر البوابة الجانبية الصغيرة، مع إبقاء هذا المدخل مغلقاً أيضاً، لأن تركه مفتوحاً كما هو الحال اليوم، يهدد بدعوة الضيوف غير المرغوب فيهم، والمتسولين، ومن شابههم.

ولكن، بغض النظر عن قوة المتسولين وصلابتهم، لم يستطع أحدهم الفوز بأي عملة معدنية إطلاقاً. مع ذلك، كانت مثل تلك الحالات مزعجة للغاية، إذ لا بُدّ من ردع السرقة وأنت نائم. ولذلك، كلما اكتشف السيد الأستاذ يون البوابة الجانبية التي تركت مفتوحة، كان الأمر متبوعاً دائماً بجلبة كبيرة. لذا كان يتساءل اليوم عمّن ارتكب

هذا الخطأ الفادح من أفراد الأسرة.

كان غضب السيد الأستاذ يون لا يقل عن غضب جمل يحاول الولوج من ثقب إبرة، حين حاول عبور البوابة الجانبية. بعد أن نجح في العبور، أوصد البوابة بعنف، فهرع لتحتيته سام-نام أحد الصبية الثلاثة من الخدم.

كان الفتى غريب المظهر إلى حد ما. بدايةً، على سبيل المثال، كان شعره ملفتًا للنظر، مُجَعَّدًا ومصفّرًا. وكان رأسه الذي يشبه رأس عجل نصف بري، كبيرًا جدًا، لدرجة بدا معها كأنه يخص شخصًا آخر. كانت عيناه متقاطعتين بشدة، لدرجة أنه كان عليه أن يدير رأسه جانبًا لينظر مباشرة إلى أي شيء. أما بخصوص أنفه، فقد كان عليه أن يُحني رأسه وقت المطر.

كان في العشرين من عمره، ولكن لا بُد أن السنوات قد مرت أمامه في لمحة خاطفة، إذ إنه لم يبدُ أكبر يومًا من العشرة أعوام. ولكن بالنسبة إلى السيد الأستاذ يون، كان هذا الصبي أحرق عزيزًا.

كقاعدة عامة، لم يكن السيد الأستاذ يون يُعيّن أولادًا صغارًا أذكيا كخدم مطلقًا، والسبب أن الأولاد الأذكيا دائمًا ما ينتهي بهم الأمر إلى صقل مهاراتهم في الاختلاس.

في إحدى المرات، حينما كان السيد الأستاذ يون ما يزال يعيش في القرية، كان يُعيّن من وقت لآخر أشخاصًا أذكيا. ولكن في كل مرة، كان ينتهي الأمر بدرسٍ مرير، إذ كانوا يلجأون دائمًا إلى سرقة.

وسام-نام كان ابن أحد القائمين على رعاية ملكية السيد الأستاذ يون الريفية، وكان معروفًا بغبائه. أخذه السيد الأستاذ يون في بداية الأمر لتجربته، ثم تأكد أنه أحد الأصول التي لا تُقدَّر بثمن. كان غبيًا ورتبًا للغاية، ولربما سبَّب بطؤه الشديد انزعاجًا، لكنه لم يسرق قط ولو حتى عود ثقاب. ناهيك عن لا مبالاته بالمال من الأساس. ولأنه ابن حارس ريفي، لم يطلب أبدًا راتبًا أو ما شابه من تلك الأشياء المقززة، على عكس أطفال المدينة المعاصرين المُدللين. كان، بكل تأكيد، فريدًا من نوعه، كنزًا حقيقيًا لا يُضاهى.

في الأحوال العادية، كان السيد الأستاذ يون ليجيب تحية الفتى التي اتسمت بانحناءة احترام شديد تبعثها ابتسامة لطيفة. ولكن في ذلك اليوم تحديدًا، كان السيد الأستاذ يون مُتأهَّبًا لَصَبِّ جَمِّ غضبه على أول من يلقاه.

«أنت، أيها الحيوان! من ترك هذا الباب مفتوحًا على مصراعيه هكذا؟».

«لم يكن أنا يا سيدي! لقد عادت كُنتك، وربما هي من نسيته مفتوحًا!».

كانت المرأة محل السؤال زوجة ابن السيد الأستاذ يون، وهي سيدة المنزل بشكل رسمي.

«ربما كان الأمر كذلك. تلك اللعينة التي ستمزِّق زوجها».

وبذلك يكون السيد الأستاذ يون قد سبَّ زوجة ابنه. هذه السبّة

كانت وصمة أساسية يُلصقها بأي أحد، كأنها ضمير مصاحب للكلمات كما هو الحال في اللغة الإنجليزية. اعتاد قولها على الدوام، سواء لَكُنَّته أو ابنته أو زوجته الراحلة، أو حتى محظيته السابقة. أما الرجال، فكان يسبهم بجملة «الأوغاد الذين يستحقون الإخفاء».

«تلك اللعينة التي ستمزق زوجها! لم عليها التجول في نزعات صباحًا مساءً بلا توقف؟».

«لا علم لي يا سيدي!».

«صحيح، كيف لك أن تعرف شيئًا لا أعرفه أنا نفسي؟! اللعينة التي ستمزق زوجها! زوجها يتجاهلها، لذلك فهي في حالة جنون، هذا هو السبب!».

«في الغالب هذا هو السبب فعلاً!».

وللأسف، لم يكن هناك متفرجين ليضحكوا على هذا المشهد الذي لا يُقدَّر بثمن.

لم يكن سباب السيد يون المستمر للجميع، حتى لزوجة ابنه، مجرد حالة من صفاقة اللسان التي يمتاز بها الأرستقراطيون. في واقع الأمر، كان نسبه الشريف مُجرَّد مظهر، مثل الحرير الصناعي أو دبوس الشعر الحديدي المذهَّب. كانت أصول السيد الأستاذ يون مثيرة للشفقة حقًا.

الفصل الرابع

فليذهب الجميع للجحيم، سوانا!

كان لقب والد السيد الأستاذ يون الراحل يون يونج-يو، هو «وجه الحصان»، كناية عن وجهه الطويل. لم يكن الرجل من ذوي الدماء النبيلة من مُلّاك الأراضي الزراعية الذين تعاقبوا على ملكيتها جيلاً بعد جيل. في الواقع، لم يكن يرقى حتى لمنصب متواضع لمسؤول صغير في حكومة المقاطعة. وفي الوقت الحاضر، أصبحت حقيقة أنه لم يكن مؤهلاً حتى لأحد المناصب المتواضعة، أمراً يدعو للفخر في الأسرة، خصوصاً بعد انتقالهم للمدينة. رغم ذلك، كان يتمنى أي وظيفة من الوظائف الدنيا، حتى ولو كانت مؤقتة. إلا أنه لم يحظَ بأي قدر من التعليم أو المال، الذي يؤهله للحصول على الوظيفة.

أمضى يون وجه الحصان كل وقته في التسكع حول أوكار القمار في القرية، حتى تجاوز الثلاثين من عمره. كان يجلس هناك لساعات، مرتدياً ملابس ريفية متواضعة وقبعة رثة ذات حوافٍ كبيرة. وكلما جاد عليه فائزٌ كبير ببعض العملات المعدنية، كان يشارك بنفسه في المقامرة تارة، أو ينضم إلى لعبة الورق، أو حتى يجلس في وكر القمار

دون المشاركة في اللعب تارة أخرى. وإن لم يتَح المال بتلك الطريقة، كان ينفق على زوجته المسكينة، التي سواءً أنهكها الجوع أم لا، كانت تعمل بالخياطة لتأمين دخلها ولإطعام طفلها الصغير (وهو نفسه السيد الأستاذ يون الذي نعرفه اليوم). كان مُتكَاسِلًا ليلًا نهارًا، يغفو قيلولته طوال حياته مثل الأسطوري سوديه-سونج^(١). قضى يون وجه الحصان نصف حياته على هذه الحالة المؤسفة. ومع ذلك، لم يكن جبانًا، فقد كان يملك قدرًا من الشجاعة، لكنه بالطبع كان رجلًا في غاية الجهل.

لا نعلم إن كان الأمر يرجع للحظ، أم أنها ثروة هبطت عليه فجأة من السماء. ولكنه حصل بشكل مفاجئ على مائتي نيانج^(٢)، والمائتا نيانج في القرية تُعادل ألفي نيانج في سيئول آنذاك. كان المبلغ كبيرًا، حتى بالنسبة لشخص حديث الثراء.

ذهب البعض للقول بأنه حصل على هذه الثروة من لعب القمار، أو ربما كانت ميراث زوجته التي حصلت عليه كنصيب من تركة أحد أقاربها البعيدين. وقال آخرون إن هذه الأموال كانت هبة له من الشياطين.

هذه الأيام، حين تهبط ثروة مفاجئة على أحد الفقراء، يكرّس رجال الشرطة الشرفاء جهودهم للبحث عن مصدر تلك الثروة المفاجئة. لكن ذلك حدث قبل ستين عامًا، فمن ذا الذي كان ليشك في الأمر أو حتى يتمتم حوله؟! ولذا تَقَبَّل الجميع فكرة أن هذه الأموال قد تكون بالفعل هبة من الشياطين، مما دفعهم للشعور بغبطة محققة.

(١) بطل قصة كورية قديمة، ويُضَرَّب به المثل في كثرة النوم.

(٢) وحدة لعدّ النقود كانت تُستخدَم قديمًا في كوريا.

ومنذ ذلك اليوم، أفلح السيد يون وجه الحصان عن عادته في ملازمة أوكار القمار، كأنه بتر قدميه عن المكان. وبدلاً من ذلك، أنفق المائتي نيانج في شراء حقول الأرز وتقديم الخدمات الائتمانية، من خلال قروض قصيرة الأجل بفائدة خمسين في المائة، وقروض أخرى طويلة الأجل بمعدلات أكثر رأفة بالفلاحين. بين عشية وضحاها، أصبح رب الأسرة الأكثر اجتهداً. وفي الوقت المناسب، توسعت ثروة العائلة كالنار في الهشيم، كما لو أنه قد عقد بالفعل اتفاقاً مع الشيطان. وفي حياته الخاصة، أصبح شديد الثراء، لدرجة أنه كان يجمع أكثر من ثلاثة آلاف شوال من الأرز سنوياً من المُستأجرين.

منذ سن مبكرة، كان ابنه السيد الأستاذ يون، المعروف آنذاك باسم «يون العلجوم» بسبب الشبه بينه وبين ذلك المخلوق، رغم أن اسمه الحقيقي يون-دو سوب، داهيةً في أمور الربا. وبحلول عمر العشرين، كان قد أظهر بالفعل مواهب إدارية هائلة في مساعدة والده. وفي عام ١٩٠٣، عام الأرنب^(١)، ورث عن والده كل أملاكه. وعلى مدار الثلاثين عاماً التالية، كَرَّس نفسه بكل هِمَّةٍ لمضاعفة ثروة العائلة.

حين انتقل السيد الأستاذ يون مع عائلته إلى سيئول قبل عشر سنوات، كانت تشير السجلات العائلية إلى أنه كان يجمع سنوياً عشرة آلاف شوال من الأرز من مُستأجري أراضيهِ الزراعية. والآن، بلغ إجمالي رأسماله المُودَّع في المصارف نحو مائة ألف وون.

(١) عام الأرنب في التقويم الصيني، وله العديد من الدلالات الإيجابية، منها: طول العمر، والتناغم العائلي، والتوسع التجاري، وبدء تحديات جديدة.

وبناءً على كل ذلك، كان واضحاً أن السيد الأستاذ يون ينتمي إلى أولئك المتباهين بتفوقهم على آبائهم.

في تلك الأيام المظلمة، كان جمع الثروة أسهل بكثير مما هو عليه اليوم (كان وقتاً مظلماً بحق، لارتفاع أسعار الفائدة، وزد على ذلك توفر الأراضي الزراعية الشاسعة المتاحة للاستيلاء عليها). ومن ناحية أخرى، كان على الأب وابنه أن يتحملا في كثير من الأحيان، انتهاكات غير مبررة من الفاسدين والجشعين وقضاة المقاطعة المعنويين، في سبيل جمع هذه الثروة على مدار جيلين فقط. حتى وصل الأمر لابتزازهما وتقييدهما وضربهما بلا رحمة أكثر من مرة، بخلاف مُصادرة أجزاء كبيرة من ممتلكات الأسرة. والأصعب من ذلك، أنهما قد احتُجزا في مناسبات عدة تحت تهديد السلاح من قطاع الطرق. واستمر ذلك الأمر، حتى لاقى يون وجه الحصان نهايته المُفجعة على يد هؤلاء اللصوص. حين تفكر في الأمر، تجد من الصعب أن نصفها بالثروة السهلة، بل الأحرى أن يُطلق عليها «ثروة مُلَطَّخة بالدماء».

وحتى الآن، كلما استرجع السيد الأستاذ يون ذلك اليوم المشؤوم؛ يوم قُتل أبيه، خفق قلبه بعنف، إذ تتراءى أمام عينيه لقطات حية لجسد أبيه الهامد، على أرض حظيرة الحبوب المشتعلة كالبحيم.

كان ١٥ من مارس من عام الأرنب يوماً لا يُنسى؛ كان منتصف مارس هو نفسه يوم مقتل أبيه.

كان منشغلاً طوال اليوم بعمله اليومي في الإقراض وجمع الأموال، وتوزيع قروض الأرز عيناً على المستأجرين الذين كانوا يتزاحمون

دومًا في أيام الربيع الجائعة^(١)، بالإضافة إلى رعاية أبيه المريض طريح الفراش. هكذا كان الروتين اليومي ليون العلجوم في أيام شبابه، من حيث الإشراف على أملاك الأسرة. وبعد أن خلد للنوم أخيرًا في وقت متأخر من الليل، أيقظته زوجته وهي تهزه بعنف، فاستيقظ على همسها المُفاجئ، وانتفض واقفًا على قدميه.

كان قد واجه عصابات قطاع الطرق من قبل، ليس مرة أو مرتين، ولكن عشرات المرات، ولهذا، وقبل أن يفيق تمامًا، كان جسده قد تأهّب مُحصّنًا نفسه ضد الخطر الوشيك. ربما كان الأمر شبيهًا بحالة جنرال في جبهة القتال؛ ينام، بينما يبقى جسده في وضع التأهّب.

أمضت عائلة يون أيامها ولياليها آنذاك في ترقب وقلق، ولم يعرفوا للراحة طعمًا، ولو لحظة. عاشوا في خوف ورعب دائمين، كما لو كانوا يخطون فوق طبقة رقيقة من الجليد.

كانت الغرفة في تلك الليلة غارقةً في العتمة. قفز الشاب يون العلجوم على قدميه، وجمع سرواله بيديه من منطقة الخصر دون ربط حزامه، وأسرع للهرب من الباب الجانبي تحت ضوء القمر الخافت. لم يتمكن من رؤية زوجته، لكنه سمع بأذنيه أنفاسها المتلاحقة، وشعر بيديها المرتجفتين حين تقدّمت تمسك بذراعه.

«هيا! أسرع!».

(١) تُسمّى تلك الفترة بفقر الربيع، حيث تزول كل الحبوب القديمة، بينما لم تنضج الحبوب الجديدة بعد.

غرق صوت زوجته اليأس وسط صوت ضربات قوية عند البوابة الرئيسية، التي تم اقتحامها بهراوة خشبية أو بكعب بندقية.

«وأبي! ماذا عن أبي؟».

سأل العلجوم يون زوجته، وقد تجمّد للحظة وحبس أنفاسه، وهو في وضعية شخص على وشك الانطلاق.

أجابته زوجته:

«لا أعلم.. ولكن.. يا إلهي، أسرع الآن!».

وهزت ذراعه تستعجله ليهمّ على الفور. لكن هذه الدفعة لم تكن ضرورية، لأن العلجوم قد فتح الباب سريعاً وانطلق بالفعل.

قفز العلجوم يون حافي القدمين دون جوارب، ناهيك عن الحذاء، ثم عبّر ساحة البيت في نفس واحد، ثم عبر الجدار الذي يبلغ طوله طول رجل منتصب، ثم تحرك برشاقة كما لو كان يخطو فوق العتبة، واندفع لما وراء حقل الشعير الطويل. وبمجرد وصوله إلى هناك، غاص وبدأ بالزحف على الأرض كطائر الدراج^(١). لم تمر أكثر من خمس دقائق على كل ذلك، منذ أن أيقظته زوجته.

لم يكن العلجوم يون قادراً على رفع سرواله الذي نسي أن يضع حزامه سابقاً، في أثناء تجاوزه للحائط، فسقط السروال، وصار يزحف عارياً تماماً من الجزء السفلي، في أخاديد حقل الشعير. وفجأة، ظهر ظلّان في الزاوية البعيدة من المنزل. كان أحدهما يحمل بندقية، بينما

(١) نوع من الطيور ينتشر في الكثير من دول العالم، وخصوصاً في قارتي آسيا وأوروبا.

حمل الآخر هراوة. كانا حارسين مُكلَّفين بالقبض على أي شخص يحاول الفرار عبر الجدار الخلفي، وكانت تلك بلا شك لحظة حرجة بالنسبة للعلاجوم يون.

لم يلحظه وهو يهرب، ولم يكن على علم باقترابهما، فاستمر في الزحف. ولو أنهما لمحاه، لطاردها. ولو عجزا عن اللحاق به، لأطلقا النار عليه. لكن الفلاحين، اللذين اعتادا استخدام المنجل والمشعل، كانا يفتقران لمهارة استخدام الأسلحة، ولذا كان من الصعب عليهما إصابة الهدف، خصوصاً أنهما يحاولان التصويب على رجل يلوذ بالفرار للنجاة بحياته عبر الطريق المظلم بين حقل الشعير. وما أن عبر العلاجوم العاري حقل الشعير بأمان، حتى وصل عند مجموعة من أشجار الصنوبر، ومن هناك انطلق بسرعة على طول الطريق، متجهًا لأعلى منحدر التل المكتظ بالأدغال. عندها فقط، انهار ليلتقط أنفاسه أخيرًا.

عند استشعار اقتراب عصابات قطاع الطرق، فإن أفضل خطة هي ترك كل شيء والفرار بحياتك، دون الحاجة للقلق على المنزل والعائلة. فحين يداهم قطاع الطرق منزلًا ما، فإنهم يسلطون أسلحتهم فقط على أرباب الأسر وغيرهم من الذكور البالغين. كل من يقع تحت براثنهم يُضرب بالهراوات، حتى يصبح نصف ميت. وحين يفرغون من الضرب، يستولون في النهاية على جميع الأشياء الثمينة ويحملونها معهم. خطأ واحد في الحركة في أثناء إغارتهم المروعة، يمكن أن يكلف المرء حياته بكل سهولة. إن أمسكوا باثنين فالاثنين معًا، وإن

أمسكوا بثلاثة فالثلاثة معاً، وجميعهم يتجرع من نفس الكأس ويلقى نفس المصير.

ولمّا كان الأمر كذلك، فمن الطبيعي أن يهرب الرجال بحياتهم أولاً غير عابئين بوالدين أو بأطفال، إذ أن الأولوية لحماية أنفسهم أولاً. لو حاول الابن أن يتصدى لهم، وهو مدرك للخطر الذي يتهدد والده، سيكون المهاجمون دوماً أكثر عدداً وتسليحاً، وهم لا يكثرثون بحياة إنسان، قدر اكترائهم بحياة ذبابة.

وفي تلك الليلة، توقف العلجوم يون هنيهةً يفكر في مصير والده طريح الفراش، لكنه لم يكن يملك سوى الهرب لائذاً بحياته.

أما يون وجه الحصان، الذي كان قد بلغ الستين، وقد أُطلق سراحه من السجن في الليلة السابقة، بعد أن جُلِد في جميع أجزاء ظهره، ورغم ذلك، لم يكن الهروب أمراً مطروحاً على الإطلاق. على العكس، جلس في فراشه بهدوء بعد أن أضاء المصباح، وكان لا يزال لديه شجاعة كافية للرد بدافع الحقد المطلق.

تسلق أحد اللصوص الجدار، وفتح البوابة، ثم احتشد الآخرون.

«لا تدعوا نملة واحدة تفر منكم!».

كان يقودهم ويُملي عليهم الأوامر، كلٌّ من الرجلين اللذين يحرسان البوابة الرئيسية، والحارسين عند البوابة الجانبية.

«إن أفلتوا منكم، أطلقوا عليهم الرصاص في الحال!».

كانت تلك أوامر زعيم قُطَاع الطرق، الذي تقدم المجموعة ودخل

عند غرف الرجال، ثم اندفعت مجموعة أخرى من قُطَاع الطرق إلى
الغرف الداخلية. كانت كلاب المنزل، المعروفة في الحي بشراستها
ونباحها المستميت، تنن وتستجدي الحماية من أسيادها. بذلك، يمكننا
تصوّر شراسة أولئك اللصوص في تلك الأيام.

«ياكم أن تمسوا النساء والأطفال!».

رد قُطَاع الطرق المتجهين إلى الداخل في نفس واحد عند تحذير
الزعيم:

«نعم يا سيدي!».

قد تبدو هذه القاعدة غريبة، ورغم ذلك كانت تُطبق بشكل صارم.
قُطَاع الطرق الذين داهموا المنزل في تلك الليلة، كانوا مجموعة متنوعة
من الفلاحين يرتدون قبعات من الخيزران وعصابات رأس من القماش،
ومن شباب بجداول طويلة، وشيوخ هرمين. مع ذلك، لم يسبق لهؤلاء
الرعاع الفوضويين الجاهلين قط، في غاراتهم الفظيعة المتعددة، أن
مَسّوا النساء أو الأطفال بسوء. ولو حدث واقترب أحدهم ذلك، لقطع
زعيمهم رأسه على الفور.

حين دخل الزعيم قاعة الرجال بالمنزل، أمر أحد رجاله بفتح الباب
الداخلي. وكان ما أثار دهشته الكبيرة، عندما وجد نفسه فجأة وجهًا
لوجه مع يون وجه الحصان، يحدق فيه بنظرة سامة. توقف الرئيس على
إثرها لبرهة متسمراً في مكانه. كان المفترض أن العجوز يون سيبدل
جهداً أخيراً للهرب. لم يتخيل الزعيم قط أن يجد العجوز جالساً هناك
بهذه الجراءة، كما لو كان ينتظره للترحيب به.

بدا الوجه الطباشيري المنهك للعجوز المريض تحت الضوء الخافت لمصباح الزيت، كأنه يتوعد زعيم اللصوص بالموت. كان أشبه بشبح أبيض الشعر. ولو لم يتأكد رئيس اللصوص أن خلفه رجال يحملون عشرات البنادق والسيوف الصدئة والفؤوس والهراوات، لتراجع خطوة بخطوة للوراء ووقع مُتَعَثِّراً في قدميه من هول تلك النظرة. قال بعد أن تمالك بعضاً من أعصابه:

«حسنًا، حسنًا، إذن كنتَ في انتظارنا، جيد!».

لم تكن هذه المرة الأولى التي يواجه فيها يون وجه الحصان زعيم قُطَاعِ الطرق وعصابته؛ قبل شهر تقريبًا، داهم اللصوص المنزل، ونهبوا ثلاثمائة نايج نقدًا، بالإضافة إلى العديد من السندات المصرفية، وشحنوا عربةً مُحمَّلةً بالبضائع والأغراض الثمينة المنهوبة من المنزل، لذا كانوا على معرفة جيدة بصاحب المنزل. أما الرجل العجوز، فقد كان يعرف وجه زعيمهم جيدًا. علاوة على ذلك، كان هناك حادث آخر مروع في هذه الأثناء، ترك يون وجه الحصان مليئًا بكراهية تصاعدت من أعماقه، فلم يكن هناك أي مجال للخوف منهم (لأنه لن يستطيع الفرار بأي حال من الأحوال).

«اسمع أيها العجوز اللعين يون!».

وبَخَّ زعيم اللصوص العجوز بنبرة غاضبة وهو يحدق به، بينما جلس العجوز جامدًا ولم ينبس ببنت شفة.

«.. قَدِمْتَ شكوى للسلطات، وبسببها أُلقي القبض على أحد رجالي؟ هل تظن أنك ستكون بمأمن بعد فعلتك؟! اعترف، أنتَ من وشى به، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح. ذهبت للسلطات وأخبرتهم بنفسي. وماذا إن فعلت؟!».

تطايير الشرر من عين العجوز وهو يجيب بكل ثقة. كان يجلس في مكانه كأنه ثعبان متأهب للهجوم.

«لقد أنذرتكم. ماذا أنتم فاعلون؟ ها! حثالة مجرمين! هل ظننتم أنكم بمأمن وأنتم تنهبون الأبرياء وتفلتون بجرائمكم؟ يا أوغاد!». علا صوت العجوز وأصبح الآن يصرخ في غضب.

ثم تابع: «أيها الوحش البغيض، انتظر دورك، سيلقى القبض عليك أنت أيضًا قريبًا، الأمر ليس ببعيد! أعدك بيوم سيقبّل فيه النصل رقبتك أيها الوغد!».

كان العجوز يجزّ على أسنانه وهو يعوي. لعنات تخرج من فم رجل لم يبقَ لديه ما يخسره. بالتفكير في الأمر، كان حكمًا قاطعًا من جانبه. حكم قاطع على الظالمين، يضمن عقابهم في المستقبل، منتصرًا لقضيته.

صحيح أن العجوز كان جاهلاً، إلا أن شعورًا غامضًا كان يراوده ينبئ بأن الثروة ستعتلي كرسي السلطة مع مرور الوقت. كان حكمه بمثابة إعلان للحرب، ليس فقط ضد قطاع الطرق، ولكن ضد الظالمين على اختلافهم، بما في ذلك السلطات المحلية التي كانت ضليعة في الابتزاز بشكل علني فاجر. وسواء أكان العجوز نفسه على علم بهذا أم لا، فذلك أمر خارج عن الموضوع.

«وأنتم يا حفنة الأوغاد! هل حسبتم أن الظلام الدامس الذي استشرى لمئات السنين لن ينقشع ببزوغ الفجر؟ انتظروا وسترون أيها الأوغاد!».

استمر العجوز يون هكذا، في عويله المتعطش للدماء.

«هاه! أيها الأحمق العجوز الثرثار، مجرد كلام أجوف! هاه!».

أطلق زعيم اللصوص ضحكة ازدراء. وحينها فقط استيقظ أحد الخدم، الذي كان نائمًا على الجانب الآخر من الغرفة، ونظر حوله في ذهول، ثم زحف على الفور عائداً منكشاً في الزاوية. في نفس اللحظة، ظهر أحد اللصوص من داخل البيت وتوقف أمام زعيمه. كان يحمل معه أحد السراويل القطنية البيضاء متدلياً من فوهة بندقيته.

«هرب الابن يا زعيم!».

«هرب؟ ما هذا الذي بحوزتك؟».

«هذا جلده الذي سقط عنه في أثناء محاولته القفز على الحائط. في الغالب استيقظ فرعاً ثم فرّ وقد نسي ربط حزامه، فسقط عنه سرواله أثناء الهرب».

كتم عدد من اللصوص ضحكاتهم، وهم يتصورون الرجل وهو يركض عارياً لإنقاذ حياته.

«أغبياء! كيف فقدتموه؟».

طقطق الزعيم لسانه، ثم أشار بذقنه تجاه الخادم المرتجف في الزاوية.

«ربما خُدِعتُم، وهذا الوغد هناك هو الابن».

لم يُلقَ القبض على العلجوم يون في الغارة السابقة، لذا لم يكن الزعيم يعرف وجهه. ألقى أحد اللصوص نظرة فاحصة على الرجل الجالس في الزاوية وقال:

«لا يا زعيم! هذا مجرد خادم».

«صه! إذن لا تفعلوا أي شيء. ابقوا أعينكم مفتوحة فحسب، ولا تلمسوا ولو ملعقة واحدة حتى أعطيكم أوامري!».

«نعم يا سيدي! بالمناسبة، يوجد برميل من النبيذ الممتاز بالداخل، إضافة إلى الدجاج والخنازير الجاهزة للذبح».

قبل عامين، في عام الثور، وقعت مجاعة رهيبة، ولكن حتى لو كان الأمر في عام رخاء، فلم يكن بإمكان قُطَاع الطرق المُغِيرين تجاهل اللحوم والنبيذ بالمنزل محل الإغارة.

«اسمعني جيدًا يا يون!»، التفت الزعيم مرة أخرى لتهديد العجوز، «أيها الوغد العجوز! لم نأتِ بسبب ممتلكاتك، بل لأننا نريد الاستفادة منك. ما رأيك؟ فهل ستفعل كما نأمرك أم لا؟».

كان العجوز يون يحدق في الزعيم حتى هذه اللحظة، لكنه الآن أدار رأسه بعيدًا.

«ما قولك؟ هل سترفض؟».

«لن أطيع حفنة من قُطَاع الطرق! وددت لو مزقتكم إربًا وألثهمكم! فهل أقدم لكم معروفًا؟ كلا!».

بعد سنوات من الخبرة مع قُطَاع الطرق، عرف يون وجه الحصان أن لا فارق بين أن يتوسَّل للرحمة ركوعًا على يديه وركبتيه أو أن يقاومهم ويلعنهم؛ في كل الأحوال سيكون مصيره أن يُسرق ويُضرب بنفس الطريقة. كان يعرف إلام ستؤول الأمور في النهاية، لذلك لم يجد سببًا للتذلل. كانت كراهيته لهذه المجموعة من قُطَاع الطرق عميقة جدًّا، لدرجة أنه أراد حقًّا أن يلتهمهم أحياءً.

قبل شهر ونصف، في الليلة التي داهمت فيها نفس العصابة منزل العائلة، تعرَّف يون وجه الحصان على أحدهم، وكان رجل يعرفه جيدًا يدعى بارك، أحد مُستأجري يون الذين يعيشون في حي قريب. «أيها الوغد، كيف تجرؤ؟».

لم يخطر بباله مطلقًا أن يكرهه المستأجرون بسبب الطريقة التي يعاملهم بها. كيف يمكن لمن يعيش على خير أرضي أن ينضم إلى هذه المجموعة من اللصوص، ويقتحم بيتي ليسرقني؟ تلك الفكرة بالذات، جعلت قلبه ينفجر حنقًا، وأشعلت النار بين عينيه.

عند بزوغ فجر اليوم التالي، سارع يون إلى وسط المدينة لرؤية بيك يون-جيو، قاضي المقاطعة، الذي كان أحد معارفه (بفضل عدة حلقات سابقة من الابتزاز). أخبره يون بالتفصيل عن واقعة الإغارة على بيته، قائلاً إن بارك فلان كان أحد أعضاء العصابة، وإنهم لو تمكنوا من القبض عليه، لنجحوا بكل تأكيد في الإيقاع بباقي أفراد عصابة اللصوص بأكملها.

ومع ذلك، تمادى بيك يون-جيو بخطوة إضافية، فبعد أن سمع

القصة بأكملها، وعد بأن يستدعي الوغد المُسمّى بارك. ونظرًا لأن يون كان على دراية كبيرة بقاطع الطريق هذا، فقد وضع نفسه بذلك موضع شك. وعليه فسيتم استجوابهما معًا، على أن يُسجَن يون في الوقت الحالي.

حين يُصمَّم الحاكم الماكر على اختلاق الذرائع لابتزاز الناس، فهل هناك حدود لما هو غير معقول؟ على ما أذكر، فإن أحد الملوك الغربيين، ربما لويس الرابع عشر، صرخ ذات مرة: «أنا الدولة!». وحتى في عهد مملكة جوسون، قيل إن أحد أفراد العائلة المالكة، في أثناء استجوابه لأحد السجناء من الفصيل المقابل، سأله عن صوت العصفور. كان قد قرر مسبقًا إعدامه، سواء أجاب بـ«غرد» أو أجاب بـ«صوص»، فسيُعدم في الحاليتين. وحتى لو أجاب «زقزقة»، فسيُعدم بنفس الطريقة على كل حال.

كان قاضي المقاطعة في تلك الأيام حاكمًا مستبدًا فعليًا في منطقته المحلية، وكانت للأهواء الشخصية فاعلية القانون. هذا القاضي، بشكل خاص، كان يعتقد أن ابتزاز الأغنياء هواية أكثر إثارة من ملاحقة قُطَّاع الطرق.

انقلبت الأمور ضد يون وجه الحصان على غير توقعه وأودع في السجن، وهو الذي جاء بحثًا عن الراحة. كما أُلقي القبض على بارك وسُجِنَ في نفس اليوم. لكن الاستجوابات المعنية كانت مختلفة، فقد تعرَّض بارك للتعذيب لإجباره على الكشف عن أسماء قُطَّاع الطرق وزعيمهم ومكان اختبائهم. اعترف بانضمامه إلى عصابة قُطَّاع الطرق،

لكنه لم ينس بكلمة غير ذلك. لم يفتح فمه بكلمة أخرى، حتى مع فتق مفاصل ركبتيه ببراعٍ مثبته في ساقيه.

على الجانب الآخر، خضع يون وجه الحصان للاستجواب، لانتزاع اعتراف منه بأنه كان شريكاً في العصابة، وأنه آواهم وقدم لهم الطعام والمال. ووفقاً لاعتراف بارك، عقد يون اتفاقاً مع قُطَاع الطرق. أعلن القاضي أنه إن لم يعترف يون بتواطئه، سيُزَج به في السجن وتُقطع رأسه. غني عن القول إن الهدف من كل ذلك كان الابتزاز. وبدون أدنى طلب من أي شخص، سارع العلجوم يون في العمل على الفور، منشغلاً بتقديم الرشاوى عبر المسارات الخلفية. قدم رشوة بمبلغ قدره ألف نيانج، مقسم على نصفين، خمسمائة نيانج لكل قسم. وجزء مخصص للقاضي بيك يون-جيو. كما وزع ألف نيانج أخرى لسد أفواه السجّانين والمُحضّرين، وغيرهم من الموظفين الرسميين، كبيرهم وصغيرهم.

استغرق الأمر ما يقرب من شهر ونصف، ونحو ألفي نيانج. في النهاية، أُطلق سراح يون وجه الحصان في صباح اليوم التالي. لكنه لم يستطع المشي بعد تعرّضه للضرب المبرح، وكان لا بُد من حمله إلى البيت على نقالة.

بعد هذه المحنة، كانت كراهية يون وجه الحصان الانتقامية التي تستهدف كلاً من القاضي وقُطَاع الطرق، لا حدود لها. وعلى الرغم من عمق تلك الكراهية، بقي القاضي بعيداً عن المساس. من الناحية العملية، كان هدف يون الوحيد للانتقام هو العدو الأقل شراسة، وهم قُطَاع الطرق. والآن، يقف أمامه قُطَاع الطرق بأنفسهم، يأترون بكل أنواع المطالب.

لم تكن رغبة يون وجه الحصان في أكلهم أحياءً بالأمر غير المألوف، أو حتى ردة فعل تنبع من ضيق أفق.

كان رفض بارك الكشف عن موقع اختبائهم أو أسماء زملائه، رغم تعرُّضه لصنوف من التعذيب البشع، بمثابة ضربة حظ لقطاع الطرق تتخلل سوء حظهم، لدرجة أن أعضاء العصابة تأثروا بشدة لولائه.

وبغض النظر عن مسألة الانتقام من يون وجه الحصان، كانت الأولوية بالنسبة لقطاع الطرق هي تأمين إطلاق سراح بارك بأقل قدر ممكن من المخاطرة. لولا هذا الهدف، لاختفوا بسرعة بعد الانتهاء من عملهم في بيت يون تلك الليلة.

وجه يون وجه الحصان كان مختلفاً تماماً هذه المرة، كان رجلاً مشتتلاً بالغضب ويرفض الانصياع في عناد تام. غضب زعيم قطاع الطرق قائلاً: «هل أنت جاد؟». كرر الزعيم سؤاله، وقد تطاير الغضب المحموم من عينيه. أصر يون على إجابته نفسها:

«لا يوجد شيء آخر تسألني عنه!».

«لا تكن عنيداً هكذا!».

حذق الزعيم في يون لبعض الوقت، وهو ينفث ناراً، ثم تحوّل صوته فجأة إلى نبرة هادئة مُحذِّراً العجوز:

«لن تنفع نفسك بهذه الطريقة. لنكف عن الشرثرة. اعطِ ثلاثة آلاف نيانج لمن يجب رشوتهم. لقد اشتريتَ خروجك من السجن، أليس كذلك؟! أليس من العدل إذن أن تدفع مقابل إطلاق سراح رجلي،

الرجل الذي زججت به إلى السجن؟! لا توجد وسيلة أخرى؛ عليك أن تفعل ذلك. الأفضل أن أفعل ذلك بنفسي، لكن ليس معي ثلاثة آلاف في الوقت الحالي. ولتأمين المبلغ، يجب أن أسرق عشرة أوغاد من أمثالك، وهذا سيستغرق وقتًا طويلًا. علاوة على ذلك، لا يمكنني أن أقدم رشاوى بنفسني علنًا، سيكون ذلك خطيرًا للغاية. هذا الأمر لا يحتمل الانتظار؛ سمعتُ أنه سيُنقل إلى السجن في غضون أيام قليلة». حين أنهى الزعيم حديثه، بدا صوته مبحوحًا كأنه يتوسل، ثم وقف في مكانه منتظرًا رد يون.

لكن يون اكتفى بالجلوس في مكانه، وأدار وجهه المتصلب بعيدًا، متظاهرًا بأنه لم يسمع شيئًا. صرخ الزعيم، وقد تصاعد غضبه مرة أخرى، وبدأت شفتاه ترتجفان:

«ما ردك؟ ستنفذ الأمر أم لا؟!».

أجاب يون في غير خوف: «لا».

ثم أضاف: «هل تظن أن رجلًا مثلي ينتظر اليوم الذي سيُقبض فيه عليكم وتُعدَمون بالجملة أيها الأوغاد، سيستخدم ماله ليشتري حرية أحدكم؟ هراء! لن أفعلها، ولو انطبقت السماء على الأرض».

«هل تعني ما تقول؟».

«بكل تأكيد!».

كان العجوز يون- يونج كيو مُصّرًا، وكانوا قد تضرروا بالفعل من الموقف. قد يبدو أن استخدام أيديهم القذرة أمرًا لا مفر منه، وقد

يتمكنون من نهب بعض ممتلكاته، لكنهم لن يستطيعوا جرف حقول الأرز الخاصة به وحملها بعيداً. علاوة على ذلك، هم لن يتمكنوا من إجباره على التخلص من ثلاثة آلاف نيانج في سبيل شراء حرية بارك. كل هذه الحسابات كانت تعضد بلا شك تصميم العجوز يون الثابت على موقفه.

«هل أنت مُصِرٌّ؟».

حاول الزعيم اختبار صدق نية العجوز يون بنبرة أكثر تهديداً.

«بكل تأكيد. ما عساك ستفعل بي، سوى أن تقتلني؟».

«اسحبوه للخارج!».

استدار الزعيم وأصدر أوامره للرجال، حتى قبل أن ينهي العجوز يون كلامه.

اندفع ثلاثة أو أربعة من قُطَاع الطرق، ممن تجمعوا في الخلف، إلى داخل الغرفة، وأمسكوا بالعجوز بقوة وبدأوا في سحبه للخارج. في تلك اللحظة، فُتِحَ أحد الأبواب الداخلية، ودخلت زوجة يون العجوز بشعرها الأبيض الأشعث، وقد تشبثت به وأخذت تبكي بحرقة، ذاهلة عما يحدث.

كان قُطَاع الطرق يدفعون يون من الخلف ويسحبونه من الأمام، ورغم مقاومته الشديدة لعدم الخروج، صارعوه حتى عتبة الباب. وسط حالة الارتباك، تمكن يون من الاستيلاء على إحدى البنادق، وبمجرد أن سيطر على البندقية بقوة، لم يعد رجلاً ضعيفاً. استجمع كل قواه،

وثبتت بندقيته على عتبة الباب، بينما ثبتت قدميه أسفل الحائط. شدوه من شعره وضربوه بهراواتهم الخشبية. كان الرجل العجوز يئن ويتأوه، لكنه لم يتزحزح قيد أنملة. غير قادر على تحمل المشهد لفترة أطول، انتزع الزعيم هراوة من أحد رجاله ووجه ضربة إلى يد يون اليمنى بكل قوته، بغرض كسر قبضته على البندقية. وفي ظل الارتباك السائد في محيطه، أخطأت ضربة الزعيم هدفها.

«طاخ!».

استقرت الضربة على رأس يون وقد أخفقت هدفها، لكنها كانت كفيلة بشجّ جمعته.

«يا إلهي!».

وفي تلك اللحظة، استدارت عينا زوجة يون العجوز وهي تصرخ:

«آاه، والآن صرتم قتلة أيضاً. اقتلونني أنا أيضاً أيها الحثالة!».

صرخت زوجة العجوز، وهي تمسك بذراع الزعيم وتغرس أسنانها فيها، غير عابئة بموت أو حياة. وفي تلك اللحظة، بدأ يون المُمَدَّد فاقداً الوعي على الأرض، في استعادة حواسه فجأة. حينما أخذ قُطَاع الطرق في جره إلى الخارج، لم يكن يون متأكداً من نواياهم، لكنهم لم يُضْمِرُوا خيراً. كل ما في الأمر أنه حين سمع زوجته بشكل ضبابي أثناء تألمه وهي تصرخ: «والآن صرتم قتلة أيضاً»، أدرك أن موته صار وشيكاً. قال لنفسه إن كان عليه أن يموت على يد هؤلاء الأوغاد، فلن يرحل بسهولة. انتفض واقفاً على قدميه، مدفوعاً بغضبه اليأس، ثم انتزع سيفاً وأخذ

يلوح به بعنف. ثارت ثورته وأصبح أكثر جنونًا حين رأى قُطَاع الطرق يضرّبون زوجته العجوز، وهذا أمر لم يفعلوه من قبل. لم يرَ يون زوجته تعض بأسنانها على ذراع الزعيم، كل ما رآه كان قُطَاع الطرق يقذفون بها بعيدًا، ممسكين بشعرها.

رغم أنه لَوَّح بالسيف بعنف، لم يستطع العجوز المُحتضر فعلَ أي شيء أمام أكثر من اثني عشر بندقية وسكاكين وهراوات وفؤوس. حين سقط يون وأصيب بضربة فأس عند مؤخرة رقبته، استشاط الزعيم غضبًا، إذ إنه لم يكن ينوي أبدًا قتل العجوز.

لا يعني ذلك أنه لا يجرؤ على قتل مثل هذا الرجل، لكنه كان يخطط فقط لاختطافه في مخبئه، تمامًا مثل قُطَاع الطرق الخيالة، الذين اعتادوا الإغارة على منشوريا. كانت فكرة الزعيم هي احتجاز يون رهينةً عنده، ثم إجبار عائلته على تنفيذ مطالبهم.

حرق الزعيم في جسد يون يونج-جيو الهامد، الذي غطت أنهار الدم عينيه، ثم صرخ في رفاقه: «أحرقوا الحظيرة والمحاصيل!».

لم يمض وقت طويل حتى ارتفعت ألسنة اللهب الضخمة من المباني الملحقة بالحظيرة، في سماء الليل. حينها فقط تجمع الجيران، ورشوا الماء عبثًا محاولين إخماد النيران. غامر العليجوم يون العاري بالعودة إلى المنزل. الآن فقط، بالطبع، كان قُطَاع الطرق قد ولوا لوجهتهم منذ فترة طويلة.

احتضن العليجوم يون جثة والده الغارقة في الدماء، وضرب الأرض، وانتحب قائلاً:

«أليس لهذا العالم الوغد من نهاية؟».

بعد أن هدأت أنفاسه قليلاً، انتفض فجأة وهو يجز على أسنانه، ثم صرخ:

«وهو كذلك! فليذهب الجميع للبحيم، سوانا!».

كانت صرخة مُدوِيّة بلا شك، ونصريحاً عظيماً كذلك.

كانت تلك هي المصاعب التي واجهها يون العلجوم في مستقبل حياته. وبعد أن تعلّم كيف يجمع ثروته وسط العواصف المحفوفة بالمخاطر، والتي قد تنتهي بغمسها في الدماء، فلن تجد غرابة في تصرف السيد الأستاذ يون حين يرتجف اليوم عند انفصاله عن تشون واحد من أمواله.

لم يلقَ السيد يون بالاً للأسئلة من نوعية «من أين لك هذا؟». في الواقع، حينما كانت تُلصق به صفة «المُسْتَغِل»، كان يفعل قائلاً «ما هذا الهراء؟».

وكان يحتج قائلاً إنه رجل عصامي أصبح ثرياً بعمله الجاد، ثم يضيف بأن الأمر كله لا علاقة له بمُقترَضِي الجبوب في موسم الحصاد ولا المُستدينين.

حين يرجع السيد الأستاذ يون بذاكرته للوراء، من سلام الحاضر إلى أيام الشدة القديمة، ورغم أن التسلسل كان مختلفاً عن سقوط الباستيل، إن لم تكن أحداثه قد هزت الأرض مثله، كان يشعر بارتياح عظيم، وما تلبث ابتسامة الرضا أن تتسلل إلى وجهه، وهو جالس هناك، فوق تلة ثروته؛ تلك الشروات المُخضّبة بدماء أبيه.

صحيح، يقولون إن الرجل قد يمتطي ظهر خيله، لكنه لا يرضى حتى يمتلك فرس سباق؛ هذه هي الطبيعة البشرية.

ومع تغيّر الزمن، ولى عصر الاضطرابات. وفي العصر الذي صارت فيه ثروته وسلامته بمأمن، كان العلجوم يون، رغم أنه لم يحسد أحداً على ثروته، يشعر بالندم لنسبه المتواضع. وفي واقع الأمر، ابتلي يون أكثر من مرة وهو في منتصف العمر بـ«رجال المسدسات»، المعروفين أحياناً بـ«رجال البدل الغربية».

ثم وقعت هذه الحادثة.

كان ذلك في نهاية العام، وتحديدًا في عام القرد. في ذلك اليوم، كان هناك حقل أرز يبلغ خمسة آلاف بيونج^(١)، لطالما طمع فيه العلجوم يون، وكان جالسًا ينتظر المشتري في منزله وقد جهز معه مبلغ أربعة آلاف وون نقدية. والرب وحده يعلم كيف حدث ذلك، فقد استمرت حيرة العلجوم يون لزمان طويل بعد الحادث، حين دخل رجلان يرتديان بدلتين غربيتين حيكتا بدقة، إلى بيته في وضح النهار، وسرقا منه الأربعة آلاف وون كلها.

يومها سلّم يون العلجوم أمواله دون أن ينبس بكلمة. كان الثقب الأسود لفوهة المسدس الحديدي البارد على بعد بوصات قليلة، موجّهًا إلى قلبه مباشرة، ولربما كان إله العالم السفلي^(٢) يلوح في الأفق أمام عينيه في تلك اللحظة.

(١) وحدة كورية لقياس مساحة الأراضي الزراعية. وتعادل ٨ ٣٠٥ متر مربع.

(٢) أحد ملوك الجحيم أو العالم السفلي، بحسب المعتقدات البوذية.

في السابق، كان اللصوص حين يقتحمون المنازل يقتصرون على أوقات الليل فقط. وكان عليهم تحطيم البوابات، فبذلك يكون هناك بعض من التحذير على الأقل، أو ربما فرصة للهرب. لكن تلك الشخصيات جاءت في وضوح النهار، كأنهم ضيوف أثرياء، ولم يكن بيده شيء يفعل له الهرب من اعتدائهم.

وعلى وقع خسارة الأربعة آلاف وون بهذه الطريقة السخيفة، جلس العلجوم يون لفترة طويلة ذاهلاً بلا حراك. بعد مرور بعض الوقت، استقرت عيناه على قطعة ورقية ملقاة على الأرض؛ كانت إيصالاً بالمبلغ المسروق.

«هاه! أصبح العالم مستنيراً جداً، حتى قُطَاع الطرق أصبحوا متحضرين كذلك؛ يكتبون لك إيصالاً بعد سرقتك!».

بعد تعرضه لسرقة أربعة آلاف وون من أمواله، لم يستطع العلجوم يون تناول لقمة، ولم يغمض له جفن، لستة أيام كاملة. أمضى أول يومين مشتاقاً لأمواله المفقودة. أما الأربعة أيام التالية، فأمضاها قلقاً من أن العالم قد ينزل مرة أخرى إلى الفوضى القديمة التي يشعلها اللصوص من قُطَاع الطرق.

بعد تلك الزيارة، قام هؤلاء الضيوف غير المُرحَّب بهم، بعدة زيارات أخرى في وقت لاحق، لكنهم لم يسرقوا المزيد من النقود. بعد الحادث الأول، لم يعد يون يحتفظ أبداً بنقود ورقية في بيته، ولا حتى بورقة بعشرة وون.

رجلٌ ثري مثله، يعيش في الريف، يتعرض دائماً للمضايقات على

كافة المستويات؛ من فرض الرسوم، ودعوات المساهمة، ومحاولات الاستنزاف من الأقارب الفقراء، والأسوأ من ذلك؛ الخوف المؤرّق من زيارات الغرباء ذوي البدل الغريبة. لذا قرر العلجوم، في نهاية الأمر، الانتقال بعائلته إلى سيثول.

حين استقر العالم أخيراً في حالة السلم، شرع العلجوم يون في تحسين الوضع المتدني المرتبط بأسلافه، فوضع استراتيجية من أربع نقاط لمهمته التي ستستمر مدى الحياة، لإضفاء صفة التميّز الاجتماعي على عائلته.

قام أولاً بتلميع نسبه. بعد أن نَقَب بحثاً عن بعض الأسماء البارزة بين الأقارب البعيدين الراحلين، أنشأ مكتباً مؤقتاً واستأجر موظفين لرسم شجرة أنساب جديدة. مثلاً، مُنِح يون الفلاني الجد الأكبر ليون العلجوم، لقبَ وزير كذا وكذا بعد وفاته، ثم مُنِح لقب قاضٍ إلى يون العلّاني، وذُكِر أن يون الفلاني كان ابنًا بارًّا، وكانت زوجة يون الفلاني امرأة فاضلة. وبذلك، وعلى ذلك النحو، نُسِجَت شجرة عائلة لائقة تروق له، وحدث الأمر بمنتهى السهولة.

كَلَّفَه الأمر نحو ألفي وون. ورغم أن الموضوع سار بشكل يسير، إلا أنه لم يستفد منه كثيراً بخلاف كونه تجميلاً لسيرة الراحلين. وفي كل مرة كان يتم تقديمه، كان لا يزال يون العلجوم ابن يون-يونج جيو المقامر وجه الحصان. وبطبيعة الحال، كان يتتابه دوماً ذلك الشعور بالفراغ في المكان الذي يجب أن يملئه أسلافه المحترمين؛ فراغ يتأكله، مثل ثقب في معدة رجل يتضوّر جوعاً.

هَب أن صديقًا لك اسم عائلته «شين»، وأنت لا تترك مناسبة إلا وتنمّرت على اسمه، بسبب أن اسم «شين» يرمز كذلك إلى «القرد» في التقويم الصيني. لو ذهب هذا الصديق لحديقة الحيوان ووقف مُحَدِّقًا في القردة، فلربما فكر جدّيًا أنه قد يكون قردًا بالفعل. وبالمثل، لنفترض أن رجلًا أراد الحصول على وظيفة كمُحَصِّل إيجار أو شيء من هذا القبيل، وفي محاولة منه لتملق العلجوم يون، بدأ في ترديد أنسابه المُذهَّبة حديثًا من الذاكرة، مشيرًا إلى العلجوم يون باعتباره «المحترم يون تو -سوب، سليل معالي الوزير يون الفلان»، أو «سليل القاضي المُشرَّف يون العلّان». بتلك الطريقة، ستكتسب الأنساب المُلفَّقة قدرًا من المصداقية، وحينها سيسر العلجوم يون للغاية. ولكن في حقيقة الأمر، الرجال الأذكىء والكسالى من هذا النوع قليلون، ولربما احتاج الرجل إلى الاستعانة ببعض الموسيقى لتكون في خلفية سجل نسبه، فيستأجر مغنيًا له شعبية لتسجيل الأغنية، ومن ثمَّ تشغيلها على الجرامافون ليلَ نهار.

كانت المكاسب والخسائر من تحسين سجل النسب العائلي متساوية تقريبًا، ولذا كانت الخطوة التالية هي ضرورة حصول يون العلجوم على منصب رسمي لنفسه.

كان في القرية مدرسة يُطلق عليها «هيانج-جيو»^(١)، مُلحقة بالضريح الكونفوشيوسي المحلي. في هذه المدرسة، كان ثمة مركز

(١) مدرسة مُلحقة بالمعبد الكونفوشيوسي لتعليم الطلاب، وكانت منتشرة في عهد مملكة جوسون.

عام مُخَصَّص لعبادة كونفوشيوس ومنسيوس وغيرهما من قدامى الحكماء. وفي كل ربيع وخريف، يقدّم السُكّان المحليون خنزيرًا أو ثورًا في وليمة قُرْبَانِيَّة. كُلفت المدرسة بتولي هذه الاحتفالات، ودعمها السكان المحليون، سواءً بالمال أو غيره من سبل الدعم. وكان المُسِنَّ الذي يترأس المدرسة يُطلق عليه «موظف الهيانج-جيو».

التقليد المُتَّبَع في منصب موظف الهيانج-جيو، هو اختيار رجل ينتخبه السكان المحليون بناءً على إتقانه للكلاسيكيات الأدبية وشخصيته التي تتحلّى بالأخلاق المثالية. ومع ذلك، في الآونة الأخيرة، منذ أن بدأت الحكومة المحلية في إدارة الشؤون المالية للمدرسة تحت سلطة الشؤون العامة، تغيّر معها النظام البيروقراطي، واستحدث عددًا من الوظائف الثانوية أقل من رتبة موظف الهيانج-جيو مباشرة. وبلا شك، فإن أي شخص يدفع ضرائب كبيرة، ويستطيع التبرع ببعض الأراضي لهؤلاء الموظفين أو الاحتفاظ بخدماتهم جانبًا، كان بإمكانه الحصول بكل سهولة على لقب «موظف الهيانج-جيو».

نظر العلجوم يون لخلفيته الاجتماعية المتواضعة، وهو الذي كان يأمل في أن يصبح نبيلًا حقيقيًا، وأن يحصل على رتبة حكومية مرموقة كما كان الحال سابقًا، باجتياز امتحان الدولة. ما كان ليرضى كذلك عن منصب الحرس الشرفي للمقابر الملكية. ورغم خيبة الأمل التي أحس بها بسبب اللقب، إلا أنه تنازل حتى يتسنى له الحصول على لقب «موظف الهيانج-جيو». وبتشجيع من معاونيه، أسرع في اغتنام الفرصة لإضافة اللقب الرسمي إلى اسمه.

عاش السيد الأستاذ يون بعد ذلك لثلاث سنوات حياة ترأس فيها احتفالات الربيع والخريف بمدرسة الهيانج-جيو، مُعطيًا إيماءاته التي تسمح بـ«الوقوف» و«الانحناء» في الطقوس. لعب دور الأرستقراطي والعالم باجتهاد، علاوة على تمجيد الحكيمين العظمين، كونفوشيوس ومنسيوس الأجلاء، وتساءل أيهما الأقوى.

كانت تلك الأحجية التي تتساءل عن الأقوى بين كونفوشيوس ومنسيوس الموقرين، لغزًا من بين الألغاز التي لا تحصى التي اخترعها السيد الأستاذ يون لإثارة الأدباء. وهذه الأحجية بالذات يرجع أصلها لأحد الأيام الصيفية، حين حضر السيد الأستاذ يون إلى المدرسة فجأة، وطرح هذا السؤال على جميع العلماء المجتمعين هناك:

«حسنًا، في رأيكم من سينتصر في مصارعة للذراع بين كونفوشيوس المبجل ومنسيوس المبجل؟».

وقف كل الأدباء والأطباء مشدوهين، عاجزين عن تحديد ما إذا كان عليهم الضحك أو البكاء. لم يكن باستطاعة أي منهم إرضاء فضول السيد الأستاذ يون.

وبعد ثلاث سنوات من توليه المنصب، استقال السيد الأستاذ يون بسبب انتقاله إلى سيئول. على الرغم من ذلك، فإن لقب «السيد الأستاذ يون»، وأحجيته حول كونفوشيوس ومنسيوس، ظلا ملاصقين له مدى الحياة.

أما النقطة الثالثة في استراتيجية السيد الأستاذ يون لتجميل وضع عائلته كانت الخطة الأكثر ذكاءً، المتمثلة في مصاهرة أفراد من عائلات أرستقراطية حقيقية.

تشانج-شيك ابن السيد الأستاذ يون الوحيد، وبشكل أدق لم يكن ولده الوحيد إذ كان له ابن آخر غير شرعي، ولكن على أي حال فلم يكن ولده هذا مفيداً بأي شكل من الأشكال، خصوصاً مع اقترابه من الخمسين، وقد كان متزوجاً بالفعل من ابنة مسؤول صغير في الريف.

تمكن السيد الأستاذ يون من تزويج ابنته لعائلة تنحدر من أصول أرستقراطية في سيئول. ولسوء الحظ، مرّت هذه الزيجة بأوقات عصيبة. كانت الأسرة تجد قوتها بالكاد وتسكن في كوخ قذر. وما زاد الأمور سوءاً، أن زوج ابنته تعرض للدهس بسيارة في الشارع بعد عام واحد من زواجه، وترك خلفه أرملة شابة، فانتقلت الابنة بعد الحادث لتعيش في منزل والدها. رغم ذلك، حظيت الأسرة باللقب الأرستقراطي من وراء هذه الزيجة.

إضافة لذلك، عقد السيد الأستاذ يون مصاهرة بين حفيده الأكبر وفتاة تنتمي إلى عشيرة بارك في مقاطعة تشونج-تشونج. صحيح أن عائلة العروس كانت فقيرة أيضاً، لكن أسلافها كانوا ينتمون إلى عائلة نبيلة عريقة معروفة. أما حفيده الثاني، فقد تزوج من فتاة من سلالة عائلة تشو. كانوا يعيشون بالقرب من مقبرة سيئول العامة، ورغم ذلك فهي لم تكن ابنة بائع الملفوف المتجول. ولو تتبععت شجرة عائلتها بما فيه الكفاية، لوجدت لها قريباً ترتبته الثامن أو التاسع والثلاثين ممن كانوا على صلة قرابة بالملكة الأرملة تشو والدة الملك هيونج-جونج، الملك الرابع والعشرين لمملكة جوسون.

وهكذا، مع وجود ثلاث عشائر أرستقراطية بين أصهاره، توقع

السيد الأستاذ يون أن يلقي اهتمامًا واحترامًا فائقين، حتى وإن بدأ السعال لتسليك حلقه.

النقطة الأخيرة والأهم في سياسة السيد الأستاذ يون، كانت بتحويل رجال عائلته لذوي نفوذ وسلطة حقيقيين، من خلال تولي منصبٍ قاضي المركز ورئيس الشرطة، وكان له بالصدفة حفيدين. صحيح أن منصب حاكم المركز أفضل من مجرد قاضي للمركز، ومنصب مراقب الشرطة أفضل من رئيس الشرطة، لكن السيد الأستاذ يون أدرك أنه سيكون من الجشع أن تطمح في الركض قبل أن تتعلم المشي أولاً. وبناءً على ذلك، خطط للبدء بإعداد حفيديه ليكون أحدهما قاضيًا والآخر رئيسًا للشرطة.

الفصل الخامس

عشوائيات القلب

دخل السيد الأستاذ يون منزله بعد عودته من مهرجان المطربين العظماء، وبصحبه سام-نام الظريف. نَفَّسَ عن غضبه المتراكم بإلقاء ألقاب ولعنات على زوجة ابنه من وراء ظهرها. وبعد أن نفَّس عن انزعاجه بهذه الطريقة، حينها فقط استطاع خلع قبعته ومعطفه، ثم دخل الغرفة الرئيسية وهو يشعر بالجوع.

أحضرت السيدة تشو زوجة حفيده الثاني طعام العشاء، ووضعت بهذر بالغ أمام السيد الأستاذ يون، الذي جلس وربَّع ساقيه على سجادة فاخرة في منتصف الغرفة. كانت السيدة تشو زوجة تشونج-هاك؛ الحفيد الذي كان مقررًا له أن يصبح رئيسًا للشرطة، وكان حينها يدرس القانون في إحدى جامعات طوكيو الخاصة.

رغم أنها من مواليد سيئول، ورغم أن لها قريب ترتبته الثامن أو التاسع والثلاثين ممن كانوا على صلة قرابة بالملكة الأرملة تشو، ورغم أنها ليست ابنة بائع الملفوف المتجول، لكنها لم تقرب المدارس بأي شكل من الأشكال. كان وجهها مسطحًا يكسوه النمش، ومظهرها العام بعيدًا كل البعد عن الجمال.

ومما زاد الطين بَلَّةً، أن وجهها كان مُشوَّهاً بشفةٍ سفلية بارزة، كما لو كانت قد شُدَّت منها عنوة. وبدا أنها أرادت تحقيق أقصى استفادة من تلك الشفة البارزة، فقد برعت في النطق بأكثر الأشياء التي تجلب النحس بكل سهولة. أما بخصوص أن زوجها لم يعد يعيرها أي اهتمام، فإن سبب تحوُّل اهتمامه لشيء آخر يرجع أيضاً لتلك الشفة السفلية، ولعاداتها في التفوه بأكثر الكلمات المؤسفة، التي تجلب سوء الحظ.

لم يكف تشونج-هاك منذ سفره إلى طوكيو للدراسة عن مراسلة جده ووالده، يتوسل إليهما أن يرتبا له إجراءات الطلاق. من وجهة نظر السيد الأستاذ يون، كان الأمر مجرد ثرثرة فارغة، من الوغد الأكثر جحوداً على وجه الأرض.

على أي حال، لم تكن هي المرأة المُعلَّقة الوحيدة التي هجرها زوجها.

بعد تناول السيد الأستاذ يون لوجبة العشاء، جاءته السيدة بارك زوجة حفيده الأول، تحمل صينية عليها إبريق نبيذ مصنوع من فضة النيكل، ومعه كوب.

كانت هبة السماء لهذه الأسرة بحق؛ مطيعة ومجتهدة، وخبيرة في إدارة شؤون الأسرة، علاوة على أنها تعرف كيف تمازح العجوز بما يناسب هواه. كيف يطمع في ما هو أكثر من ذلك؟!

كان لها وجه بيضاوي وعينان مستديرتان كبيرتان، وكانت في الثلاثين، لكنها بدت أصغر سنّاً من زوجة الحفيد الآخر، التي كانت في الخامسة والعشرين فقط.

غير أن عيها الوحيد، إن عُدَّ عيباً أصلاً، هو أن ابنها كيونج -سون سيبلغ الخامسة عشرة هذا العام، ولم تكن هناك أي مؤشرات لطفل آخر في الطريق. ومن بعدها، مُنيت أسرة يون بُندرة الأبناء تبعاً.

لكن وضع هذه المرأة كان كئيباً أيضاً. لم يكن من شك أن زوجها هجرها، أو أنها أصبحت الحارس الوحيد لفراش الزوجية، لكن زوجها تشونج-سو، الحفيد الأكبر للسيد الأستاذ يون، كان قد انتقل إلى الريف حيث يعيش مع خليلته. ولذا بحكم الواقع المفروض عليها، وجدت السيدة بارك نفسها مُعلّقة، ولم يكن ذلك بسبب خطأ اقترفته من جانبها.

قُدِّمت الرعاية لتشونج-سو ليصبح قاضياً في المركز، تنفيذاً لمخطط السيد الأستاذ يون ذي النقاط الأربع، الذي وضعه سابقاً لتجميل وضع شجرة العائلة. ولذلك غادر سيئول قبل ست سنوات لتولي منصب كاتب في حكومة المقاطعة التي ينتمي إليها يون، واصطحب معه خليلته الكيسينج، وأسس معها منزلاً منفصلاً.

وبذلك، يكون عندنا امرأتين مُعلّقتين.

رفعت ابنة السيد يون صينية النبذ التي أحضرتها زوجة حفيده الأول، وأخذت تدفئ الشراب على الموقد الواقع في الزاوية العلوية من الغرفة. كانت أرملة حقيقة مات عنها زوجها، يناديها الخدم والحفيدات بلقب «سيدة منزل سيئول». تزوجت من عائلة نبيلة فقيرة لتخدم هدف السيد يون في تكوين علاقات أرستقراطية، لتصبح أرملة بعد أن دهست عربة الترام زوجها.

مظهر هذه الابنة ذات الجبين الضيق، والحواجب العريضة، والأنف المسطح، والوجه المُغطى بشامات سوداء، مع رقبة متعرجة كالسُلحفاة، كان مطابقاً لمصيرها التعس.

«أنت ضيقة الأفق للغاية، لدرجة أنكِ أهلكِ زوجك رغم صغر سنك هذا!». .

كان من عادة السيد الأستاذ يون أن يرشق ابنته بمثل هذه الكلمات القاسية. ولم ينسَ أبداً أن يُذكر نفسه في كل مرة يتفوه فيها بمثل هذا الكلام أن الأمر لا يقتصر على ضيق أفقها فحسب، بل إن مظهرها المتواضع البائس عليه اللوم هو الآخر. نشأتها في بيئة ثرية، وكونها لم تجرب الحمل مطلقاً، كان كفيلاً بأن يجعلها تفتقر للنضج مقارنة بعمرها الذي بلغ الثامنة والعشرين، رغم أنها أرملة شابة.

وبذلك يكون العدد في الأسرة: امرأتين مُعلّقتين هجرهما زوجيهما، وأرملة لم تحمل بطفل قط.

غير أن هذا لم يكن إجمالي عدد الأرامل في الأسرة.

في تلك اللحظة، جلست امرأة مُتكّومة على نفسها في الغرفة المقابلة، تبحث عن ذريعة للدخول مع والد زوجها في اشتباك مفتوح. هذه المرأة هي السيدة كو زوجة ابن السيد الأستاذ يون، وهي أيضاً زوجة مُعلّقة هجرها زوجها.

كانت خَيَاطة العائلة، من تشونج-جو، ويُطلق عليها اسم «بيت تشونج-جو»، هي من وشت للسيدة كو بما سمعته منذ قليل حول

اللعنات غير الضرورية التي رشقها السيد الأستاذ يون، حين دخل من الباب المؤدّي للباحة الداخلية، بصحبة الفتى سام-نام. كانت تلك المرأة أرملة حقيقية أخرى.

وبذلك يكون المجموع الكلي في الأسرة خمس أرامل. وبخلاف اثنين من الخدم، كل نساء الأسرة كُنَّ أرامل، لذا لم يكن الحساب معقدًا، وإحصاء عدد الأشخاص كان سهلاً.

كان المكان مرتعًا مزدهرًا للأرامل بالفعل. لو كنَّ نباتات صغيرة في المشتل، لأمكن انتظار موسم تفتحُ الزهور وتفريقها على الجيران. ولكن مع الأسف، كانت تلك شتلات بشرية، لا يجوز توزيعها تحت أي ظرف.

أخذ السيد الأستاذ يون يتفقد الغرفة من حوله، بعد أن استلم طاولة طعامه.

«أين ذهب تيه-شيك؟».

لم يكن السؤال موجّهًا لأحد على وجه التحديد. ولو سألت السيد الأستاذ يون عن أعز مخلوق عنده، لقال لك تيه-شيك، وهو نفسه الذي يسعى لمعرفة مكانه الآن.

كان تيه-شيك في الخامسة عشرة، نفس عمر كيونج-سون حفيد السيد الأستاذ يون، لكنه كان ابن السيد الأستاذ يون. لم تكن والدته الصبي زوجة شرعية للسيد الأستاذ يون، بل جاء الطفل كثمرة علاقة عابرة مع امرأة تعمل بحانة بيع النبيذ في الريف.

ولا يعيننا الآن أمر استعارة بطن أمه لتلك العملية. حين وصل هذا الطفل، أصبح قُرّة عين أبيه الذي قد بلغ الستين في ذلك الوقت. فُصلَ الطفل عن أمه بعد ثلاثة أيام فقط من ولادته، وتولت مربية تربيته تحت أنظار الأسرة جميعها. وبسبب شعور السيد الأستاذ يون بالأسف تجاه الصبي، كان يوليه الكثير من الاهتمام، أكثر حتى من نسله الآخر.

كان السيد الأستاذ يون معتادًا على تناول وجباته بصحبة تيه-شيك. وفي هذا المساء، حين لم يجده في أي مكان، رفض أن يرفع ملعقة واحدة حتى يتم تحديد مكان الصبي.

وقفت زوجتا حفيديه بخنوع عند الركن الأشد برودة من الغرفة، وقد علت نظرات القلق وجهيهما خشية تعرّضهن لوابل من التوبيخ الذي ربما يكون في انتظارهما. لكن سيدة منزل سيئول لم تخش من عواقب غضب أبيها، واقتربت من طاولته تحمل كأس النبيذ في يدها، وقالت بلا مبالاة:

«رأيتَه للتو يلعب في الحديقة الأمامية».

«إن كان هناك الآن حسب كلامك، فأين ذهب؟ وإن غاب عن نظرك فالأولى بك أن تبحثي عنه، حتى قبل أن أطلب منك ذلك».

رغم أن السيد الأستاذ يون كان يوجه كلامه لابنته بلا شك، لكن لومه كان يستهدف الأسرة بأكملها.

«من السهل عليك أن تقول هذا، ولكن كيف يمكننا أن نرصد كل تحركاته طوال الوقت، في أثناء دخوله وخروجه من البيت؟ لقد

بلغ الخامسة عشرة من العمر، وحان الوقت للكف عن معاملته كطفل رضيع!».

«ممم. ولنفترض أنني أدركتُ له ظهري كما تقولين، لا أظن أنك ستشفقين عليه وتوليهِ رعايتكِ بدرجةٍ كافية لتتأكدي حتى من تناوله للطعام».

«أنت تفرط في حمايته وتفسده على الدوام؛ لم تترك لنا ما نفعله».

«أنت بارعة في الكلام. ولكن انتظري وانظري ما سيحل به حين أرحل؛ سيخرج للشارع حاملاً علبة من الصفيح، متوسلاً من الناس».

«وكيف سيحدث ذلك وقد عهدتَ له بميراث قدره ألف شوال من الأرز باسمه؟ وإن كان هذا حال من سيرث ألف شوال، فما بالك بمن سيرث خمسمائة شوال فقط؟ ربما سيموت مغشياً عليه!».

سبب هذه المشاحنات الحقيقي أن السيد الأستاذ يون خَصَّص ميراثاً يكفي لشراء ألف شوال من الأرز كنصيب لتيه-شيك، رغم كونه ابناً غير شرعي وإصابته بالإعاقة، في حين أن ميراث ابنته يكفي لشراء خمسمائة شوال فقط، ومع كل فرصة كانت تجدد شكواها إزاء هذا التقسيم المُجحِف.

وبينما كان الأب وابنته يتشاجران، فتح الصبي باب الغرفة ببطء، وأدخل رأسه متفحّصاً أرجاء الغرفة. وفي اللحظة التي لمح فيها أبيه السيد الأستاذ يون، وثب على الفور إلى الداخل بقفزة قوية، فسقط على ركة أبيه الضخمة.

تسببت تلك الضجة المصاحبة لدخوله في عبوس وجه سيدة منزل سيئول، خصوصًا حينما دفع إبريق النبيذ من يدها. ورغم أن الضربة أصابت ذقن السيد الأستاذ يون، لكنه ابتسم ابتسامة عريضة، ومسح على رأس الصبي بلطف.

«هاهاها. انتبه يا بُنيَّ!».

قد يختلط علينا الأمر فنظن بأن تيه-شيك شقيق الخادم سام-نام. ورغم أن تيه-شيك كان في الخامسة عشرة من عمره، لم يكن جسمه يزيد عن جسم طفل في الرابعة من عمره، بينما كانت له رأس كبير جدًا فوق جذعه الصغير بشكل مثير للقلق، لدرجة أن انعكاس ظله كان يشبه صورة براعم فول الصويا.

«اهدأ قليلًا يا بُنيَّ، ما كل هذه الجلبة؟! والآن انظر لهذا، انظر لهذا المخاط!».

كان يتدلى من أنفه خيط مخاط مصفرّ ممتزج بالأخضر، يتحرك دخولًا وخروجًا من فتحة أنف الصبي مع كل نفس، مثل مكبس منشغل بالضخّ.

«ما هذا، هاه؟ إن كان أنفك يسيل، فعليك أن تتمخض أو تطلب من شخص آخر أن يمسحه لك. هل تفهم يا تيه-شيك؟».

نظر السيد الأستاذ يون إلى ابنته وزوجتي حفيديه، ثم سحب المخاط بإصبعيه من أنف الصبي. أحضرت زوجة حفيده الأول خرقة قماش، ووقفت أمامه على أهبة الاستعداد.

«ها أنت ذا!!».

«أبيّ!».

بعد أن تمخط تيه -شيك، رفع رأسه ونادى على والده.

«نعم؟».

«أنا. موال...».

كان يقصد قول «مال»، لكنه يلعب بالأطفال، فيضم شفثيه وينطقها «موال».

«مال؟ أطلب المزيد من النقود؟ ألم أعطك وقت الغداء؟ ماذا فعلت بتلك النقود؟».

«اشتريت حلوى وأكلتها».

«هل تأكل الحلوى ليل نهار؟».

«أعطني المزيد!».

«حسنًا.. ولكن ادخرها للغد لتشتري بها الحلوى. هل فهمت؟!».

«حسنًا».

أخرج السيد الأستاذ يون عملة معدنية من فئة عشرة تشون من صُرّة نقوده. حين استلم الصبي النقود، أطلق صريره الخاص، ثم انتفض من على ركة السيد الأستاذ يون ليجلس بجانب طاولة الطعام.

حينها فقط، بعد أن استمتع السيد الأستاذ يون بمشاغبة ابنه الأصغر، شرب ثلاثة أكواب من النبيذ الذي قدمته له سيدة سيئول. في تلك

الأثناء، كان تيه-شيك يجلس بجانبه يحوم فوق طاولة الطعام، مشغولاً بالتقاط ما تسنى له من جميع الأطباق الجانبية باستخدام إصبعيه. بعد تناول الطعام، مسح يديه في ملابسه، بينما كان الطعام يتساقط باستمرار من فمه، لكن سيدة سيئول لم تجرؤ على توبيخ الصبي في حضور أبيها، فاكثفت بالتعبير عن استنكارها بالأخاديد المحفورة أعلى جبهتها.

وبعد انتهائه من شرب ثلاثة كؤوس، رفع السيد الأستاذ يون ملعقة من الفضية المُنمَّعة بالذهب، وبينما كان على وشك تناول ملعقة من الأرز، نظر فجأة إلى زوجته حفيديه.

كانت هنالك مسحة لا لبس بها من الاستياء في صوته.

«لماذا لا تفعلون ما أقول لكم؟ ها؟!».

كانت السيدتان قد أومأتا رأسيهما بالفعل.

بدأ السيد الأستاذ يون في توبيخهما حين رأى الأرز أمامه أبيض تماماً، غير مخلوط بالشعير.

«الشعير.. هل نفذ كل الشعير اليوم؟!».

«بل ما زال لدينا بعض منه!».

أجابت زوجة حفيده الأكبر في خجل.

«لا أشك في ذلك.. وما دام لدينا، لماذا طهوت لي الأرز وحده؟

ها؟!».

ورغم تشديده على الكلام، لم يتلق ردّاً.

«حسنًا، يبدو أنك لا تكثرين لما أقول، مثل عدم اكتراثك لنجاح

كلب الجيران. أخبرك على الدوام أن تخلطي القليل من الشعير مع الأرز، ولكنك قد تموتين قبل أن تنفذي ما أقول. أخبريني، لماذا أنتِ مُصرّة على تقديم الأرز الأبيض وحده؟!».

«من فضلك يا أبي، كفّ عن هذا الهراء البائس!».

لم تستطع سيدة سيئول تحمّل خطبة السيد الأستاذ يون أكثر من ذلك، وتابعت قائلة:

«هل تظن يا أبي أن تناول القليل من الأرز الأبيض كل يوم سيفضي إلى تدمير عائلة غنية بين عشية وضحاها؟! نفد الشعير المسلوق، هذا كل ما في الأمر. لذا، كف عن هذا وتناول عشاءك، من فضلك!».

«وهل يسلق الشعير نفسه؟ ماذا تقصدين بأن الشعير المسلوق قد نفد؟! عليك أن تفكري في المستقبل! حضري بعضاً منه مسبقاً واخلطيه مع الأرز في كل وجبة! أنت تخلقين الأعداء فحسب. أنتم مدللون للغاية، لدرجة أنكم لا ترغبون في تناول أي شعير مخلوط مع الأرز. مجرد حجج. اذهبي إلى أي مقبرة، هل ستجدين أي شاهد قبر واحد دون عذر أو حجة؟».

دَسَّ السيد الأستاذ يون ملعقة من الأرز في فمه بحسرة بالغة، وأخذ يمضغها مرارًا وتكرارًا وهو يفكر أن عليه أن يمضغها لمدة طويلة بدلًا من أن يتلع طعامه بسرعة. ونظرًا لأنه يعتبر الأرز الأبيض النقي طبقًا نفسيًا، فقد كان يشعر بحسرة بالغة، لمجرد التفكير في أن جميع أفراد الأسرة، من الخادmates والخدم على حد سواء، يلتهمون هذه الحبوب الثمينة، حتى الأرز المتبقي أسفل الإناء بعد الطهي، وهو أمر لا يمكنه تحمّله.

«أتعلمين أن الأرز المخلوط بالشعير مفيد جدًا للجسم؟! علاوة على أنه يضفي بعض القوام والنكهة على الأرز، وهو أطيب إن كان مطهواً مع الأرز، من مجرد تناول الأرز بمفرده. ولكن، ما سبب إصرارك بهذه الطريقة على عدم تناوله؟!».

لم يكن هناك أي صوت، باستثناء الجلبة التي أحدثها تيه-شيك وهو يلتهم الأرز. بذلت زوجتا الحفيدين قصارى جهدهما لإظهار تعبيرات الطاعة المطلقة.

«وعلاوة على ذلك، ليس عليك حتى طحن الشعير في الهون، فلديّ دائماً مستأجرون في الريف يطحنوه بأنفسهم. ما الصعب في غليه، وحطب الأشجار متوفر على الدوام، ثم مزجه قليلاً مع الأرز؟ هذا لغز بالنسبة لي!».

صمت السيد الأستاذ يون للحظة، ثم غيّر نبرته، وبدأ يتكلم بهدوء ولين:

«يا بناتي، هناك شيء آخر؛ قد لا تهتمان كثيراً بأرز الشعير، ولكن له القدرة على تحويل العاقر إلى ولود بكثرة تناوله، ولود تنجب أطفالاً! هل فهمتن؟!».

كان يقصد أن حتى الأرامل والمُعلقات، اللواتي هُجرن في غرف نومهن الفارغة، بإمكانهن الحمل، دون الحاجة لوجود الزوج، بشرط أن يواظبن على تناول الشعير المخلوط بالأرز.

كان تأثير الكلام عليهن هائلاً. تهللت زوجة الحفيد الأول قائلة إن

كان هذا الكلام صحيحًا، فستواظب على تناول الشعير دون تردد، بدءًا من الصباح الباكر. وقالت زوجة الحفيد الثاني إنها ستفكر في الأمر. حتى سيدة سيئول أُعجبت بالفكرة.

أما كُنَّة السيد الأستاذ يون، الجالسة في غرفتها المواجهة لغرفته، تلك التي كانت تبحث عن ذريعة للشجار، فقد اكتفت بنظرة احتقار للرجل، استياءً من خداعه المعتاد للسيدات.

كانت تجد سلوك العجوز بغيضًا على الدوام. ولو كان بوسعها أن تفعل ذلك، لما أسعدها شيء أكثر من أن تشده من لحيته البيضاء وتسحله على الأرض.

نعم. في الواقع، كانت هذه المرأة مثالًا ممتازًا لزوجات الأبناء المثاليات حقًا في هذا العالم.

وكما يقول المثل «لو أن حماة لعينة عَصَّها ذئب وسحبها بعيدًا، لآلت غرفتها ومقتنياتهما إلى كُتَّتها». إن صياغة مثل هذا القول المأثور القاسي، تُظهر مدى الكراهية المترسِّخة لدى جنس الحماوات، تجاه جنس كُنَّاتهن.

تزوجت السيدة كو في السادسة عشر من عمرها، وهي الآن في السابعة والأربعين. وقد عاشت حياة صعبة للغاية لواحد وثلاثين عامًا تحت قدمي حماتها، حتى يوم وفاتها في الشهر الأول من العام الماضي. أشرفت زوجة السيد الأستاذ يون على كل تحركاتها لأكثر من ثلاثة عقود. كان الناس يطلقون على المرأة العجوز (ونقصد طبعًا زوجة السيد الأستاذ يون) لقب «القط البري» بسبب شراستها، و«الغضوب» بسبب

حنقها المستمر، و«المتذمرة» بسبب تدميرها الذي لا يتوقف. ذرفت السيدة كو الكثير من دموع الحزن حتى وفاة المرأة العجوز في يناير الماضي، حين تحررت أخيراً من الاضطهاد بموتها. وحينها شعرت بما يشعر به العبيد ساعة التحرر. ولكن بعد ذلك، لم تكن السيدة كو بالضبط كُنَّة ذات طبع ملائكي. صحيح أن حتى زوجة الابن المطيعة الفاضلة التي لا تشوبها شائبة، والتي كانت في السابق تحت سلطة حمااتها القاسية، ليست سوى فأرة أمام قطرة. لكن في حالة السيدة كو، ورغم أن شخصيتها كانت كريمة ومثالية مثل مظهرها وجسمها، لكنها كانت عنيده أيضاً. بمجرد أن تصمم على شيء ما، لا يقدر أن يثنىها أحد عنه. كانت شديدة الفخر أيضاً. وفي الغالب سيكون تصنيفها مع فئة «تية إيم -إين»^(١)، بحسب نظرية الطب الشرقي^(٢) «سا-سانج-هاك». على أي حال، حملت السيدة كو على عاتقها طيلة الواحد وثلاثين عامًا الماضية، أعباء حياة زوجية حفلت بالمشاكل والالتزامات، خصوصاً في أسرة ضخمة تحت سقف والدي زوجها. وقد مرت تلك السنوات بسلام دون تعرضها لخطر الطرد من المنزل. خلال تلك الفترة، أنجبت ولدين هما تشونج-هاك وتشونج-سو، وبذلك تكون قد زوّدت السيد الأستاذ يون

(١) واحدة من الفئات الأربع لنظرية الطب الشرقي المعروفة باسم «سا-سانج-هاك»، ويتصف هذا النوع بامتلاكه لرتبتين صغيرتين وكبد كبير. كما أن لديه بنية بدنية ضخمة، بينما يمتلك جزءاً علوياً ضعيفاً، أما جذعه السفلي فيكون قوياً. مزاجه ثابت و صبور، لكنه يتصف بالجشع.

(٢) نظرية الطب الشرقي التي وضعها الباحث لي جي-ما في عهد الملك جو-جونج من مملكة جوسون. وبناءً على تلك النظرية يُقسّم الناس إلى أربعة أصناف: تية يانج-إين، وتية إيم-إين، وسو يانج-إين، وسو إيم-إين. ويُحدّد الدواء المناسب حسب طبيعة كل صنف من الأصناف الأربعة.

بذكرين ليستثمر فيهما منصبَي قاضي المركز ورئيس الشرطة. علاوة على ذلك، أنها حين قاربت الخمسين من عمرها، واستحال نصف شعرها للون الرمادي، قدمت للأسرة حفيداً يُدعى كيونج-سون، في السنة الثانية من المرحلة المتوسطة.

ثم، في يناير من مطلع العام، حين غادرت حماتها اللعينة التي تشبه القطة البرية أو كلب البلترير^(١) هذا العالم، ولم يكن رحيلها بسبب سحلبها من قبل ذئب، بل لإصابتها بداء السكري، وبعد أن أصبح منصب ربة المنزل شاغراً، أليس من الطبيعي أن تتولى الكُنتة الأولى السيدة كو ذلك المنصب، مع الاستيلاء على الغرفة الداخلية الرئيسية؟ بغض النظر عن أنها لن تحتاج لجليون المرأة العجوز، لأنها كانت تفضل تدخين السجائر.

من المفترض أن تحب الحماة زوج ابنتها ولو كان وجهه مليئاً بالبثور من أثر الجدري، كما من المفترض أن يحب الحمو كُنتته حتى إن كانت ذات أسنان بارزة كالفواض وعين معطوبة. لكن السيد الأستاذ يون، ولسبب ما لا يمكن تفسيره، تفوَّق على زوجته في كراهية السيدة كو. وبمجرد انتهاء جنازة المرأة العجوز والإجراءات المرتبطة بها، كان الوقت قد حان لتنازل سيدة سيئول، رغم استيائها، عن الغرفة الرئيسية الكبيرة لصالح زوجة أخيها السيدة كو. غير أن السيد الأستاذ يون تدخل قائلاً:

«اسمعي يا عزيزتي! كما تعلمين، أنا أتناول وجباتي في هذه الغرفة على الدوام، وإن جعلت هذه غرفتك، فكيف لي أن أرتاح فيها؟ لذا وحتى أموت، من الأفضل أن تظلي في الغرفة المقابلة».

(١) سلالة من الكلاب، تتسم بالعناد والاستقلالية.

كانت تلك حجة بالطبع. وبعد أن خرجت جثة السيدة أوه من الغرفة، تقاسمت سيدة سيئول الغرفة مع تيه-شيك، بينما كان على السيدة كو البقاء في غرفتها القديمة، ليبقى الحال على ما هو عليه.

«همم! تلك المرأة الرخيصة لا يمكنها حتى أن تأخذ ما عليها أن تأخذه وتدع ما عليها أن تدعه. لقد ابتليت بلعنة حياة الخدم هذه حتى تتييس ساقبي!».

كانت كلما شعرت باستياء بسبب تلك الغرفة، تحسّرت على حالها مرددةً ذلك الكلام. لكن فشل السيدة كو في الحصول على الغرفة، لم يكن سبب استيائها الوحيد.

كانت حماتها تنفث بكرايتها، حتى آخر أنفاسها، حتى وهي على فراش الموت.

«نعم، أعرف من يبغضني ويكرهني بشدة. والآن، بعد أن أموت، أعلم أن هناك من سيغني ويرقص منتشياً لموتي!».

كانت السيدة كو المقصودة من هذا الكلام بلا شك. فكرة أن كو ستكون ربة المنزل من بعدها، بحيث يتسنى لها أن تفعل كل ما يحلو لها، كانت فكرة بغیضة لم تتحملها المرأة العجوز، التي تفوّت بتلك الكلمات القاسية حتى مع خروج أنفاسها الأخيرة.

في حقيقة الأمر، استعادت السيدة كو معنوياتها العالية في اللحظة التي ارتدت فيها ملابس الحداد على حماتها. الأمثلة لا تُحصى، ولكن لو أخذنا واحداً منها، فهي الآن تعرف أن صوت إشعال عيدان الثقاب في

غرفتها ليلاً لن يجلب عليها جلبة كبيرة من حماتها في الصباح التالي.
لن يكون بإمكان المرأة العجوز أن توبخها قائلة:

«من كانت تدخن طوال الليل حتى تشعل الثقاب سبعة عشر مرة؟».

والآن، مع رحيل السيدة العجوز، صار بإمكان السيدة كو أن تقضي لياليها الساهرة بصحبة لفافات تبغها بكل حرية، دون أن تتعرض لوابل من اللوم أو التوبيخ.

كما لن يُقدم أحدهم على صدّ باب غرفتها وإحكام إغلاقه بالمسامير حين تترك غرفتها للتنزه.

لم تحدث تغييرات جوهرية في حياة السيدة كو، باستثناء حصولها على المزيد من الحرية في حياتها اليومية. كان السيد الأستاذ يون والد زوجها قد نَحَّأها جانباً، رغم أحقيتها في وراثته مهمة الإشراف على الأسرة خلفاً لحماتها، وبذلك تخطى جيلاً كاملاً ومنح تلك السلطة لزوجة حفيده الأكبر. بعبارة أخرى، خلفت كُنتَ السيدة كو، زوجة ابنها تشونج-سو، زوجة السيد الأستاذ يون، وتم تعيينها الآن مسؤولة عن جميع شؤون الأسرة.

اعتبرت كو أنها من ستكون ربة المنزل التي تُملي على زوجة ابنها الأوامر، وأنه أمر مسلم به. ولكنها في حقيقة الأمر، كانت منبوذة تماماً، واستمرت حياتها في ظل زوجة ابنها كما كانت في ظل حماتها. لم يكن مأزقها يختلف عن مأزق الشخص الذي تَوَلَّى العرش بعد وفاة الملك، لكنه وجد أن كل السلطة الحقيقية قد سقطت في يد الأمير الأصغر سنّاً.

ومما زاد الطين بلة، أن شكوى السيد الأستاذ يون التي لا تُطَاق ضدها، قد ازدادت حدة مع مرور الوقت، كما لو أنه كان يعوّض غياب زوجته المتوفاة. كما بدأت سيدة سيئول هي الأخرى، التي كانت مختبئة في غرفة النوم الرئيسية المُتَنَازَع عليها، في لعب دور الملكة، وتَصَيَّدت الأخطاء مع كل أمر صغير وتافه يحدث في المنزل. ثم، وكأن كل هذا لم يكن كافيًا، ظهرت مشكلة أخرى أكبر، أججت نار الغضب في قلبها. منذ أن أنجبت كو ابنها الثاني، تشونج-هاك الذي يدرس حاليًا في طوكيو ليصبح رئيسًا للشرطة، انقطعت جميع العلاقات الزوجية مع زوجها تشانج-شيك. ومعه ذبلت زهرة شبابها، حين ضاعت السنوات الأربع والعشرين التالية وهي على ذلك الحال؛ مهجورة ومُعلَّقة (مُترَمِّلة).

أما زوج كو، فقد اتخذ لنفسه مَحْظِيَّة^(١) حين كان في الريف، وأقام معها منزلًا منفصلًا، ثم اصطحبها معه حينما انتقل إلى سيئول وأصبحا يقيمان في منزل خارج البوابة الشرقية للعاصمة. وفي الآونة الأخيرة، أقام علاقة مع امرأة ثالثة، وهي كيسينج، وهذا أمر نادر لم يكن يفعله في الماضي. أسكنها في منزل آخر يقع في حي كوان-تشال، وبات يُقَسِّم وقته بين الاثنين؛ يبيت في منزل ويلعب في الآخر.

(١) لم يكن غريبًا على المجتمع الكوري أن يتخذ الزوج محظية، وقد تعددت المحظيات بحسب قدرة الرجل المادية. تختلف المحظية عن الزوجة في أن حقوقها القانونية منقوصة، أي أنها لا تملك حقوق الزوجة الشرعية، كما أن المجتمع ينظر لها نظرة دونية. وفي حال الإنجاب يكون ولدها أقل في المرتبة الاجتماعية عن أخوته من نفس الأب.

أما المناسبات الوحيدة التي اضطرَّ فيها إلى زيارة منزل والده، كانت حين يحتاج إلى المال أو يُضطرَّ إلى الاستجابة لتكرار استدعائه مرة بعد مرة، من والده السيد الأستاذ يون. وحتى في تلك الزيارات، لم يلتقِ بوالده سوى في غرفة الاستقبال الخارجية، ولم يدنُ بقدميه مطلقاً ناحية الغرف الداخلية.

كانت شخصية هذا الرجل مختلفة تماماً عن شخصية والده. كانت له طريقة متواضعة في التعامل مع الشيطان يبدو أنه ورثها عن جده الأكبر، يون وجه الحصان. كما أنه كان عالماً مختلفاً كلياً عن أمه السيدة أو القطة البرية أو مُتصيّدة الأخطاء أو مدمنة السجائر، كما كان يُطلق عليها.

كان في السادسة والأربعين، ولم يسبق له أن رفع صوته ولو مرة واحدة، في أي جدال مع أي شخص، منذ أن بلغ سن الرشد.

وكان مهما أساء الناس معاملته، يتجاهل الأمر تماماً، بدلاً من التركيز عليه، كما لم يتفوّه أبداً بأي كلام سيئ. لذلك كان من النادر أن تجد له أعداء.

لم يكن مهتماً بثروة العائلة. وفي الواقع، لم يكن كُفئاً لإدارة شؤونها المالية على الإطلاق.

وفقاً لما كان والده السيد الأستاذ يون يذكره عنه، كان رجلاً يقارب الخمسين لكنه لم يكن ناضجاً، إذ كان جاهلاً بأمور الحياة والحرص على مصالح الأسرة.

ولم يكن هذا الوصف عاريًا من الصحة تمامًا، وإن كان القصد منه الانتقاد. ولكن من ناحية أخرى، قد ينظر إليه البعض باعتباره رجلًا يسمو فوق الجشع المادي.

وكلما ظهر صديق أو قريب فقير على عتبة بابه، يشكي متاعبه، لم يكن يرد أحدًا منهم أبدًا، وكان يمنحهم على الفور ما يملكه من المال في تلك اللحظة.

وكان في كثير من الأحيان يضمن أصدقائه من المُستدينين، وغالبًا ما ينتهي الأمر بتحمُّله لتلك الديون هو نفسه.

وفي عدة مناسبات مشابهة، وحين واجه ابنه تنفيذ أحكام غير عادلة تقتضي منه دفع مبالغ تزيد على العشرة آلاف وون، حصل السيد الأستاذ يون على أحكام من المحكمة تقتضي بأن ابنه غير كفء، وأن والده لا يتحمل عنه المسؤولية القانونية.

لكن تلك الخطوة لم تردع الابن، فبعد الحكم عليه بالتبديد وأنه غير كفء، استخدم ختم أبيه الذي يحمل اسمه يون دو-سوب، واستمر في عملية الاقتراض والضمان كما يحلو له.

ورغم علم العديد من الأشخاص أن الختم الذي يستخدمه يون تشانج-شيك مزيف، لكنهم كانوا يقبلون إقراض الناس عملات ورقية وصلت لعشرات الآلاف، لمجرد أنها خُتِمَتْ بختم يحمل اسم يون تشانج-شيك ابن يون دو-سوب.

حتى إذا حان موعد سداد الدين، لم يكن السيد الأستاذ يون يسمح

بأن يُسجَن ابنه بتهمة تزوير السندات المالية، وكان يسدد تلك السندات وهو يتجرع مرارة الأمر.

ولكون يون تشانج-شيك رجلاً من هذا النوع، استقرت حياته في شكل روتيني يمكن التنبؤ به. كان يخرج لاحتساء الخمر مع الأصدقاء، ويمارس الرماية، وينطلق في جولات موسمية إلى أكثر الأماكن الخلابة، ويجمع الكتب الصينية القديمة، ويساهم في كتابة الشعر الكلاسيكي في إحدى الصحف، ويشرب الخمر في منزل إحدى المحظيات حتى يرهقه الملل، ثم ينتقل بعدها إلى منزل محظية أخرى للعب لعبة الما-جونج، وهكذا دواليك. باختصار، كان نمط حياته الخالي من الهموم يشي بأنه كائن من عالم آخر.

وبالنظر لحاله في الليل والنهار من التردد على منازل المحظيات للهو معهن، ولعب الما-جونج والتردد على منازل الكيسينج، فلربما حسبه المرء وغداً فاسقاً لا يستقر بمكان.

بطبيعة الحال، فإن كل شخص يملك عادة غريبة، ويون تشانج-شيك كذلك لم يكن استثناءً، وكان لديه نظام غريب هو الآخر.

في أحد الأيام طرق بابه شخصٌ بارز في مجال التعليم، بعد أن عرف عن طريق الإشاعات أن السيد الأستاذ يون كريم جداً، لدرجة أنه لا يرفض طلبات التبرع.

حكى له ذلك الرجل المؤثر قصةً عن مدرسة خاصة يدعمها تمر بضائقة مالية في الآونة الأخيرة، وأضاف أنه يبحث عن متبرع للمدرسة بنحو مائتي ألف وون، لكي تضاف تلك التبرعات لغيرها من النقود

التي جُمِعَت من مصادر أخرى بهدف استخدامها كأساس مالي ثابت للمدرسة. طلب من يون لو أن بإمكانه التبرع بعشرة آلاف أو عشرين ألف للمدرسة، شارحًا الأمر بكل الطرق الممكنة من خلال خطبة طويلة، محاولًا إقناعه بالفكرة.

كان يون الابن طوال الخطبة المطولة يردد «حقًا؟ هل الأمر كذلك؟» و«بالطبع، أنفهم الأمر» مؤمنًا على كلام الزائر، ولكن حين جاء الوقت كي يجيب على سؤال الزائر قال:

«لو تعذر ذهاب الناس إلى المدرسة، فليس ذلك بسبب قلة المدارس، وإنما بسبب فقر الطلاب، مما يعيقهم عن الذهاب للمدارس، أليس كذلك؟»

أجابه الرجل بالإيجاب بعد هذا التعليق الغريب من جانب يون الابن، ثم أضاف بضعة كلمات أخرى ورحل.

في واقع الأمر، كان يون على استعداد لمساعدة الأصدقاء والمعارف المحتاجين، لكنه لم ينفق في حياته عملةً واحدة على الجمعيات الخيرية العامة أو القضايا الإنسانية.

على الجانب الآخر، كان والده السيد الأستاذ يون يميل لتقديم التبرعات الخيرية بشكل متكرر. حين كانوا يعيشون في القرية، تَحَمَّل السيد الأستاذ يون كافة تكاليف إنشاء قاعة فنون الدفاع عن النفس التابعة لمركز الشرطة المحلي، كما قدم هديتين بقيمة خمسين ومائة وون لقسم الإطفاء، حتى أنه تبرع ذات مرة بمئتي وون نفقات توسعة الفصل الدراسي في المدرسة الابتدائية. وعندما ضرب فيضان كارثي

مقاطعة جنوب كيونج -نام، اشترى صندوق نقود وملاؤه بعملات معدنية بمبلغ واحد وون واثنين وسبعين تشون، ثم أعطى الصندوق لابنه تيه-شيك، وأرسله به إلى الجريدة التي تجمع التبرعات لضحايا الفيضان، فاستحق صورة في صفحة الجريدة تكريمًا له على هذا العمل. أصبحت تلك الصورة العظيمة التي يعتز بها، إرثًا عائليًا عزيزًا.

أما تشانج-شيك فما كان ليشارك في مثل هذه المبادرات مطلقًا. وحين يُضيق عليه متوسّلو التبرعات الخناق، كان يضع حدًا للأمر بإحالتهم إلى والده، لكنه لم يقدم تبرعًا من أي نوع بنفسه قط.

يقول المثل إن للشراء حد، بمعنى أن الثري لن يزداد ثراءً. ما يعنيه المثل أن الأمر لو كان يتطلب مليونًا أو عشرة ملايين لجعل الرجل ثريًا، فإنه من تلك النقطة فصاعدًا سيظل يحوم حول هذا المستوى من الثروة، ربما أكثر أو أقل قليلًا، لكن ثروته لا يمكن أن تستمر في الزيادة.

الواقع أن هذا الأمر لا يخلو من الحقيقة. وبالنظر لوضع السيد الأستاذ يون على سبيل المثال، نجد أن أكثر من عشر سنوات قد مرت بالفعل منذ أن وصل دخله السنوي إلى مستوى عشرة آلاف شوال من الأرز. ألا يعني ذلك أن تلك الأشولة تساوي نحو عشرة آلاف وون سنويًا؟!

بالإضافة إلى ذلك، كان يكسب عشرين أو ثلاثين ألفًا أخرى كدخل سنوي عن طريق تحصيل فوائد القروض والإتجار في الفواتير والصكوك المالية، والأوراق التجارية الأخرى.

وبذلك يكون قد تجاوز المائة ألف. مبلغ لا يستهان به، أليس

كذلك؟ مع العلم أن جميع الضرائب المُستحقة، بالإضافة إلى نفقات المعيشة، ما كانت لتتجاوز خمسين أو ستين ألف وون، أي أقل بكثير من دخله. وقد يظن المرء أن الرجل الذي أصبح مليونيرًا قبل عشر سنوات، ستزيد ثروته بما لا يقل عن النصف على مدار عقد من الزمن. ورغم حرص السيد الأستاذ يون على تعزيز ثروة الأسرة، إلا أن دخله قد استقر عند نحو عشرة آلاف شوال من الأرز سنويًا بعد مرور عشر سنوات. ومن المؤكد أن الأمر لم يكن بسبب لامبالاة السيد الأستاذ يون تجاه تراكم رأس المال، بل بسبب ابنه تشانج-شيك الذي كان يهدر المال يمينًا ويسارًا. كما استهلك فجور حفيده الأول تشونج-سو المزيد من المال، ناهيك عن الرشاوي غير المشروعة لتعزيز حصوله على منصب قاضي المركز. في ظل هذه الظروف، بلغت ثروة الأسرة حدًا أقصى هو عشرة آلاف شوال من الأرز سنويًا.

كان السيد الأستاذ يون ينفجر في غضب عارم، حين يصبح عليه تسوية ديون تشانج-شيك. كان العجوز يستدعي ابنه في مثل هذه المناسبات، ويبدو على استعداد لإعدامه على الفور. رغم ذلك، لم يكن تشانج-شيك يظهر أبدًا في الاستدعاء الأول. وإنما يظهر بعد الاستدعاء الثالث أو الرابع، على مضض.

«أيها الوغد، سأقطع خصيتيك!».

كان السيد الأستاذ يون يغلي على نار هادئة وهو بمفرده، غير أن قلبه يتضخم على الفور وصولًا لنقطة الانفجار وتدفق سيل اللعنات من فمه، حين يرى ابنه يتسكع بلا مبالاة وكأن شيئًا لم يحدث، ثم يرد

تشانج-شيك بلطف: «كيف تقول هذا الكلام يا والدي؟!».

ثم يلوم والده:

«لماذا؟! أحفادك كلهم بالغون، حتى كيونج-سون سيبلغ قريباً، ولو كنا في الأيام الماضية لكان متزوجاً الآن. كيف يمكنك التحدث بهذه الطريقة?!».

«ماذا؟ علام تلومني?!».

كان السيد الأستاذ يون عاجزاً عن الكلام. كان ابنه يوبخه دائماً على بذاءة ألفاظه، غير أن الرجل العجوز لم يكن يشعر بالندم قط على شتائمه. كل ما في الأمر أنه كان يشعر بشيء من التقييد، في وجود ابنه تشانج-شيك فقط.

كان السيد الأستاذ يون بطبيعة الحال مصمماً بشدة على جلد ذلك الوغد جلداً لا رحمة فيه، ولكن بمجرد مواجهته وجهاً لوجه، كان عليه التحول لموقف المدافع لا المهاجم، وبذلك تبوء كل خطئه الغاضبة بالفشل.

«لا شيء تحت الشمس يخيفني بقدر هذا اللقيط؛ إنه أسوأ من النمر أو قاطع الطريق»، كان السيد الأستاذ يون يقول ذلك دائماً عن ابنه الفظيع.

وقف السيد الأستاذ يون، الذي لم يخش شيئاً آخر في العالم، متحجراً أمام تشانج-شيك، ولم يكن ذلك بسبب قوته التهديدية أو فصاحته المهلكة، ولكن ببساطة بسبب جو معين، رقيق لكنه غامر، كان

يحيط به. هذه القوة الخارقة القادرة على شلّ حركة أبيه، هي ما جعلت تشانج-شيك أكثر إرعابًا من أي سفاح أو حيوان بري.

وكان السيد الأستاذ يون يستخدم هذه الطريقة لنزع سلاحه، وهو كل ما يمكنه أن يقوله:

«سدد أموالِي أيها الوغد! المال الذي أنفقه في سداد ديونك!».

فيجيب تشانج-شيك بهدوء تام:

«من فضلك، اخصمها من حصتي في الميراث».

«اغرب عن وجهي قبل أن أقطع خصيتيك!» كان السيد الأستاذ يون يصرخ بلا هوادة وهو يدير ظهره لابنه.

وبذلك ينتهي الصراع بخسارة الأب في كل جولة. كان عليه أن يتشاجر مع ابنه مرة على الأقل، وأحيانًا مرتين أو ثلاث، كل شهر. لم تكن تلك المعارك حول الديون مع تشانج-شيك فحسب، بل أيضًا في بعض الأحيان مع حفيده الأول تشونج-سو. لا بُد أنها كانت أوقاتًا عصيبة على الرجل العجوز.

إلى جانب هذه المشاجرات، كانت تندلع من وقتٍ لآخر اشتباكاتٌ لا يمكن تجنّبها بين السيد الأستاذ يون وابنته سيدة سيئول. كما كانت هناك مشاجرات أخرى مع زوجة حفيده الثاني أيضًا، ومع زوجها تشونج-هاك، كلما عاد إلى المنزل من طوكيو خلال الإجازات الدراسية.

وغني عن الذكر، المعارك مع السيدة كو زوجة ابنه، والمعارك الأخرى مع الخدم، تيه-بوك وسام-نام، وهي معارك لا مفر منها.

وبينما كان رب الأسرة منشغلاً باستمرار في مثل تلك المشاهدات، كان كيونج-سون يتشاجر مع تيه-شيك، بينما تشاجرت سيدة سيئول مع السيدة كو ومع زوجات أبناء أخيها، ومع كيونج-سون، ومع تيه-شيك، إلى جانب الشجار مع السيد الأستاذ يون نفسه.

في هذه الأثناء، لم تكتفِ كو بالشجار مع والد زوجها، بل أيضاً مع زوجتي ولديها، وأخت زوجها، وولديها كلما عادا إلى المنزل. كما أنها كانت تهرع في بعض الأحيان إلى منازل محظيات زوجها الواقعة خارج البوابة الشرقية وحي كوان-تشول، لتتشاجر معهن وتُهشَّم الأغراض المنزلية.

شجار، شجار، شجار. بدت عشيرة يون بأكملها مستعدة للشجار على أُنْفِه الأسباب. كأنهم تعاهدوا جميعاً على جَعْلِ الشجار علاجهم الأول. وفي ذلك اليوم بالتحديد، كانت المعركة على وشك الاندلاع في أي لحظة بين السيد الأستاذ يون وكُنْتَه السيدة كو.

الفصل السادس

متابعة الشجار

بلغت السيدة كو سن انقطاع الإنجاب أخيرًا بعد سنوات طويلة من ترمُّلها، رغم أن زوجها ما زال على قيد الحياة. وصلت إلى المرحلة التي تتوقف فيها المرأة عن كونها امرأة.

يقولون إن حتى المرأة التي نعمت بحياة زوجية سعيدة، عند وصولها إلى هذه المرحلة، تظهر عليها أعراض غامضة لأمراض مثل الهستيريا. كانت السيدة كو مليئة بالضغينة بشكل مفهوم، وهي التي ضاع من عمرها خمسة وعشرين عامًا وحيدة تمامًا، والآن هي على وشك توديع حياتها كأنثى إلى الأبد. لم يكن إحساسها بغصة في حلقها، بمجرد دخول السيد الأستاذ يون المهيّب للمنزل، من قبيل المبالغة.

وما زاد الطين بلة أنها حُرِّمت من متعة تولي مسؤولية شؤون الأسرة. حتى ولديها، كبرا وأصبحا يعيشان بعيدًا في أماكن أخرى بعيدة، ولا يفكران في أمهما.

أما حفيدها كيونج-سون، فلم تكن تجده لطيفًا. بل على العكس، اعتبرته مدللًا بشكل منفرد، وكان يستفزها على الدوام. أما زوجها، فكان

في أحسن الأحوال رجلاً غريباً، إن لم يكن عدوًّا. وذلك العجوز المدعو حماها، كان مستعدًّا دائماً لالتهامها حية دون سبب واضح، كما اتهمها على الدوام أنها ستكون السبب في تمزيق وخراب زوجها. من وجهة نظرها، كانت تجد سلوكها الحاقد ومزاجها السيئ أمراً طبيعياً.

كانت قادرة على كتم شكواها بداخلها حتى وفاة حماتها في يناير الماضي. وكانت هذه قوة العادة المطلقة بعد ثلاثين عاماً من كونك فأراً تحت هيمنة القط. وحين اختفت الطاغية، سرعان ما استعادت السيدة كوحيويتها الكاملة. رغم ذلك، كان العالم ما يزال رافضاً أن يدور كما تشاء، حتى تحولت شكواها الآن إلى حقد شرس.

برحيل حماتها، لم يبق في الأسرة من هو أكبر منها سنّاً سوى حماها السيد الأستاذ يون نفسه، بينما كان الجميع أصغر منها.

وعلى أي حال، كان السيد الأستاذ يون يبدو لها كعجوز الحي الخرف، ولم تكن لديها أية نية في تقديم الاحترام الواجب له بصفته والد زوجها، أو أن تبالغ في توقيره أو حتى تجنُّبه ولو بقدر أنملة.

ومع هذه الحالة الذهنية العدائية، كانت مستعدة للانضمام إلى أي معركة مع أي شخص في الأسرة، بغض النظر عن عمره، تحت أي ذريعة ممكنة.

وهذا المساء لم يكن استثناءً. فقد قررت اختلاق شجار كبير مع السيد الأستاذ يون، ردّاً على وابل اللعنات المجحفة التي انهالت عليها لمجرد أنها تركت البوابة الجانية مفتوحة.

ولكن في حقيقة الأمر، لقد تركت تلك البوابة مفتوحة عمدًا. وبشكل أدق، كان السيد الأستاذ يون سيغضب بلا شك عند رؤيتها مفتوحة. وحين يحدث الأمر كما هو متوقع، ويرد الرجل العجوز بسيل من الإساءات، ستكون مستعدة لقبول دعوته للمبارزة، مثل الثعبان الأسطوري الذي تعكر مزاجه بعد اعتباره غير لائق للتحويل إلى تنين. وصلت السيدة كو إلى مرحلة أصبحت تمتعها الوحيدة في الحياة هي التنفيس عن حقدها وغضبها الذي لا ينضب.

كانت متعطشة لشجار كبير للتنفيس عن ذلك الغضب. وحين كانت تنصت على ما يجري في الغرفة المقابلة، كان كل ما سمعته هو صوت الرجل العجوز الذي ملأ أذان زوجتي حفيديه بالهراء المخادع حول أرز الشعير وأهميته في المساعدة على الإنجاب.

لم يوجه لها أي سباب بذيء. رغم ذلك، فإن تحكمت في نفسها ولم تنفوه بشيء، لزداد الحنق بداخلها. وعلاوة على ذلك، لم يكن هناك من تخشاه ولم يكن هناك ما يمنعها، ولذا سألت نفسها: هل عليها أن تتوخى الحذر، ولم عليها أن تكتم غضبها؟

وحينها أخذ خداهما يتدليان مثل رأس السنة الجديدة، بينما اشتعلت أنفاسها الحارة كحصان في يوم صيفي ملتهب. كانت مضطربة للغاية وتلهث بشدة، وقد احتقن أنفها والتوت شفتاها في عبوس، وأخذت تسحب ركبتيها إلى صدرها وتضمهما بذراعيها مرارًا وتكرارًا، ثم تمد ساقها مرة أخرى. كانت تشعل لفافة التبغ، ثم تطفئها بسرعة، ثم تعيد إشعالها من جديد. في حقيقة الأمر، فإن الشخص الذي يتوق للعراك لكنه لا يستطيع، يصير غضبه واحتقانه مضاعفًا.

جلس السيد الأستاذ يون في الغرفة الداخلية يتناول طعام العشاء مع ولده تيه-شيك، بينما وقف الجميع حذرين، لا يجروا أحدهم على السعال حتى. كان المنزل كله هادئًا تمامًا، كأنهم موتى، باستثناء صوت غمغمة من الصبي الصغير.

أُضيئت الأنوار في الغرفة نصف المظلمة مثل فكرة مباغتة، بينما أخذ الشفق ينساب بهدوء في الخارج.

وكان ذلك الضوء نوعًا من الإشارة، سُمعت قعقة عالية من وقع أقدام عند البوابة مُنذرةً بدخول كيونج-سون عبر الفناء الأمامي، مُحطّمًا بذلك صمت المنزل الحذر.

بزيه المدرسي وحقيبة كتبه على ظهره، بدا كما لو كان عائدًا لتوه من المدرسة. توقف الفتى حين لمح حذاء جده الأكبر أمام الأرضية الخشبية. انكمشت رأسه أسفل عنقه مثل السلحفاة، وأخرج لسانه، ثم أدار قدميه وبدأ يتحرك على رؤوس أصابعه ليفر هاربًا إلى الجزء الخلفي من المنزل.

كان كيونج-سون حذرًا لأنه يعي جيدًا أن ما ينتظره ليس ترحيبًا على الإطلاق، وإنما وإابلًا من التوبيخ لأنه أزعج تيه-شيك قبل عدة أيام، ودفعه للبكاء.

كان كيونج-سون واثقًا من أن أحدًا لم يره، غير أن جدته السيدة كو كانت تثبت نظرها عليه، وما كانت لتكترث لو اشتبك الفتى مع الرجل العجوز. لم يكن صراخها في وجهه توبيخًا له حين رأت لسانه يندفع ساخرًا تجاه جده السيد الأستاذ يون، كل ما كانت تقصده هو استخدام

الصبي ذريعة لخوض معركة مع الجد.

«كيونج-سون! أيها الوغد الصغير».

صرخت السيدة كو بصوت عال بما يكفي لرج أركان المنزل بأكمله. وأوشكت صاعقتها اللفظية أن تهشم النوافذ. وبطبيعة الحال كان الجميع في حالة ذهول من دهائها؛ لم يكن متوقعًا أبدًا أن يأتي الهجوم من جدته بدلًا من جده، جدته التي نادرًا ما كانت لها صلة به. كان الفتى أكثرهم ذهولًا من الموقف.

لكن الصدمة ما لبثت أن تلاشت حين استعاد كيونج-سون رباطة جأشه، واستدار ببطء ناظرًا بهدوء إلى وجه جدته:

«نعم؟».

كانت السيدة العجوز تحترق من الغضب، ينبعث من عينيها شرر قاتل، وكان الصبي هادئًا متماسكًا، لا يرمش له جفن حتى. أظهر قوة ورباطة جأش، وأظهر لا مبالاة مُتبلِّدة، كأنه لم يفعل شيئًا يدفع الشخص الذي أمامه لتمني الانقضاء عليه فورًا.

بعد فشلها في إيجاد ذريعة للشجار مع والد زوجها، قررت السيدة كو الإمساك بأي شخص مار، وإثارة ما يكفي من الشجار لإثارة أعصاب العجوز، وبعد ذلك، حين يبدأ في إلقاء اللعنات، تستخدم هذا ذريعةً لبدء الشجار. لكن وقاحة الوغد كيونج-سون كانت كفيلة بأن تشعل بداخلها غضبًا أكبر. غير أنها رحبت في أعماقها بهذا التحريض الإضافي لغضبها.

من ناحية أخرى، لم يكن كيونج-سون خائفاً على الأقل. ورغم أن كل من في المنزل كانوا أكبر منه، إلا أن أحداً منهم من وجهة نظره لم يكن يستحق أن يُعتبر إنساناً. وبذلك، لم يكن يخشى أحداً منهم، ولا يخيفه أي شيء مما يقوله.

كان كيونج-سون ينظر لهم جميعاً بازدراء. كانوا نكرة بالنسبة له. حتى جده الأكبر السيد الأستاذ يون، وقع معهم في تلك الفئة، وكذلك عمته الكبرى سيدة سيئول. وعمه الأكبر تيه-شيك، الذي لم يكن في الحساب من الأساس. أما بخصوص أبيه تشونج-سو، وعمته تشو، ومحظيات جده، ويون تشانج-شيك، فما كان ليكثرث بأولئك العشرة أو الأحد عشر شخص، مطلقاً.

حتى في تلك اللحظة، كان هذا ما يدور برأسه:

«يبدو أنها إحدى نوباتها المعتادة. يا له من منظر! عندها الطاقة للاستمرار في تلك الحالة! فلنتنظر ونرَ إذا ما كنت سأدعها تنفس عن مزاجها الشرير فيَّ!».

استمرت كو في الصراخ، كأنها توشك أن تفعل فعلاً شائئاً في أي لحظة، ثم صرخت بصوت عالٍ:

«أيها الوغد الصغير!».

كل ما تمكنت من فعله هو تكرار نوبات انفجارها، وأن تنعته بالوغد الصغير مرتين، ولم يكن لديها أي توبيخ توجهه للفتى.

رغم ذلك، لو تجرأت زوجة الابن أن تكون وقحة لدرجة اختلاق

الجلبة التي يصاحبها الصراخ وصفق الأبواب، وبالتالي إزعاج والد زوجها في أثناء عشائه، فمن المؤكد أن العجوز سيجد مثل هذا السلوك مؤسفاً، وسيتبع ذلك إعلان الحرب بينهما بلا هوادة. وهذا بالضبط، ما كانت تهدف إليه السيدة كو.

أولاً، كان عليها التعامل مع كيونج-سون الذي وقف أمامها متحدياً، كما لو أنه يقول في سره: لماذا تصرخين هكذا؟ هيا، أخرجي ما تبطنيه، إن كان لديك ما تقولينه. لم أرَ مثل هذا المشهد في حياتي! وجدت السيدة كو الموقف ساخراً لا يُغتفر، ولكن بصفتها الشخص الذي خلق المشهد، كان عليها أن تُنهي لحفظ ماء الوجه، ولإنقاذ الكرامة، التي تليق بها بشخص بالغ.

«أيها الوغد! أين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟ ماذا كنت تفعل لتتأخر حتى هذه الساعة؟».

كان هذا بالكاد توبيخ كو لكيونج-سون.

عادة لم تكن مهمة، سواء أكان حفيدها اللعين يداوم في الوقت المحدد، من وإلى مدرسته، أم لا. كما لم تكن تبالي إن كان مجتهداً في دراسته، أم لا. كان الدافع الخفي وراء هذه الملاحظة، الغريبة على طبيعتها في تلك الليلة بالذات، واضحاً إلى حد ما. وكان على كيونج-سون أن يتقذ رقبتَه بتقديم بعض الأعذار المقبولة.

«كنا نستعد لمعرض المدرسة، ولهذا تأخرت!».

كانت إجابة كيونج-سون فورية، لكن نبرة صوته مليئة بالاستياء

والازدراء غير المقنعين. حينها، ركضت أمه على عجلٍ من الغرفة الرئيسية، وفي لفطة احترام لحمايتها انضمت بهدوء لتوبيخ ابنها:

«كان عليك أن تعود مباشرة إلى المنزل بعد انتهاء المدرسة. أين كنت تتجول؟ الوقت متأخر جدًا.. لا تُقلق جدتك».

كانت توبخ ابنها لمحابة حمايتها، مثلها مثل أي كُنة صالحة.

«وماذا تعرفين بأي حال يا أمي؟».

رد كيونج -سون على أمه بغضب، غير أن توبيخه في حقيقة الأمر كان موجهاً إلى جدته كو.

«ألم أخبركما إن التأخر كان لتحضير المعرض؟ أنتما لا تعرفان شيئاً عن ذلك، فلم لا تصمتان؟!».

«أيها الوغد!».

«اسكتي يا أمي.. ماذا تعرف امرأتان تجلسان في المنزل طوال اليوم؟ هل من حق كل شخص في هذا المنزل أن يوبخني كلما كان غاضباً، فقط لأنني الأصغر سنًا؟ لماذا؟ أخبريني! ربما أكون صغيراً في السن الآن، لكنني الشخص الذي سيكون رب هذه العائلة يوماً ما، أنا أيضاً. لماذا لا يتورع الجميع عن اغتنام الفرصة لتوبيخي؟ لقد سئمت ذلك!».

ألقي كيونج -سون ردهً المُجهَّز بسلاسة، دون أي عوائق.

«أيها الوغد الصفيق!».

لم تكن أمه قادرة على إسكاته بمجرد توبيخ ضعيف، وهَمَّت

لصفعه، لكن كيونج -سون تجاهلها وذهب نحو الجزء الخلفي من المنزل.

«أوف! يا لها من أسرة لعينة!».

اشمئزت السيدة كو من سخافة المشهد، فأغلقت بابها محدثة ضجيجًا مع الاستمرار في صراخها بلا هدف.

«هذا مثال جميل! الوغد الصغير ابن البارحة، يعوي مثل كلب مسعور عند أقل لوم من شخص بالغ! ولا عجب! لا شيء يضاهي وقاحة تلك العائلة».

بمجرد أن تفوهت السيدة كو بهذه اللعنة وطعنت في شجرة العائلة بأكملها، دفع السيد الأستاذ يون الباب مفتوحًا على مصراعيه، مستعدًا للقتال. كان مُشتعلًا من الغضب.

في الواقع، لم يكن السيد الأستاذ يون غافلًا عن نية السيدة كو، لكن الفضول انتابه لمعرفة لأي مدى ستذهب، ولذا انتظر. كان هذا السبب في أنه لم يتحرك حين بدأت في الصراخ أول الأمر. وبدلاً من التدخل، اكتفى بالنظر إلى ابنته وزوجتي حفيديه.

قال وشفته ترتجفان: «تلك العاهرة التي ستقضي على زوجها! بماذا تهذي هذه المرة؟».

ارتعشت شفتا سيدة سيئول مثل والدها. أحنت زوجتا حفيديه رأسيهما في صمت لبعض الوقت، ثم تسلت الأولى بمفردها إلى القاعة لتوبيخ ابنها. عندما لاحظ تيه-شيك عودة كيونج-سون، ذهب

إلى النافذة الزجاجية المنزلقة لينظر إلى الخارج، ثم عاد إلى والده يقول
متلعثمًا:

«أبي، أبي. ها هو كيونج-سون، أليس كذلك؟ الوغد الحقير،
الحقير اللعين؟!».

«ماذا؟ أين تعلمت هذا الكلام؟!».

«ماذا؟ أبي. كيونج-سون وغد حقير، لص حقير، أليس كذلك يا
أبي؟!».

«اصمت! لا يمكنك أن تتفوه بمثل هذا السباب!».

في حقيقة الأمر، كان السيد الأستاذ يون يضحك، في سرور بالغ
بتطور المهارة اللغوية لابنه الأصغر كبير الجثة، أكثر من رغبته في توبيخه.
حتى حين سمع السيدة كو تصرخ بأعلى صوتها مجددًا في الغرفة
المجاورة، اكتفى بالنظر إلى ابنته وزوجة حفيده الأصغر، ثم بدا لو كان
يتمتع بنفس السباب الخبيث الذي اعتاد توجيهه إلى كو، مثل «العاهرة
تعاني من نوبة أخرى»، «تصرخ لأن زوجها هجرها في سبيل امرأة
أخرى» أو «لقد ولدت في عائلة حقيرة ولم تجد نموذجًا محترمًا تحتذي
به؛ هذه مشكلتها». كان يرشقها بمثل هذا السباب دون هوادة.

وفي تلك الأثناء، نضح مزاج السيدة كو العدواني المشتهي للشجار
في نهاية الأمر، لدرجة أنها لعنت العشيرة بأكملها من الأجداد والأحفاد،
ووصمت الأسرة طولًا وعرضًا، بماضيها وحاضرها، بأنهم جميعًا أقل
من البشر. وبذلك، لم يكن السيد الأستاذ يون يرغب في إضاعة هذه

الفرصة مطلقاً، فقرر الانضمام إلى المعركة.

«اسمعي!».

فتح السيد الأستاذ يون باب الغرفة المنزلق بصوت يصم الأذان، ثم اقترب من القاعة. كان قد ألقى بالفعل ملعقته بعيداً، فارتطمت بعنف عند زاوية طاولة الطعام.

«أخبريني ما الشيء العظيم الذي فعلته في حياتك؟ ما الشيء العظيم الذي فعلته أنت؟! هيا، افتحي فمك واخبريني! تكلمي!».

كان الصراخ عالياً لدرجة تدفعك إلى ترك المنزل. شخص عظيم البجته مثله؛ لا بُدَّ أن صراخه كان مُدَوِّياً أيضاً.

كانت تلك افتتاحية الشجار المُنتظر، هل تظن أن كو كانت متفاجئة؟!

«لم أقترف أي ذنب! لم أقترف ذنباً تجاه أصغر ذبابة حتى لتشتكي مني! حظي العثر هو ما قادني لأصبح كُنَّة هذا البيت البغيض؛ هذا ذنبي الوحيد! لماذا تصرخ في وجهي دائماً كأنك تريد ابتلاعي حية! هل هذه مكافأتي بعد ثلاثين عاماً قضيتها في خدمتك؟ هل أثير شهيتك للحوم، لمجرد أنني سمينه؟ تباً! لقد سئمتُ كل هذا! هذا مشير للاشمئزاز».

لا علم لنا أكان الأمر مقصوداً أم لا، ولكن كانت ثمة آداب رياضية مُنصّفة في ساحة المعركة بين هذا الرجل وهذه المرأة على حد سواء. فحين يتحدث أحدهما، لم يكن الآخر ليقاطعه أبداً، بل ينتظر صامتاً حتى ينتهي الخصم من كلامه، ثم يبدأ دوره.

«كلامك صحيح. أحسنت، أحسنت حقًا! هكذا تخاطب زوجة الابن والد زوجها، أليس كذلك؟ هذا حديث أم لرجلين ملعونين وحماة لكُتَّين وجدة لفتى بلغ من العمر ما يكفي لحلاقة ذقنه، أليس كذلك؟ حسنًا، هل هذه حسناتك التي تمنين بها علينا؟!».

«وهل من اللائق أن يتفوّه الجد أمام حفيده بمثل هذا الكلام، ولا يتورع عن سبها بالعاهرة التي ستخرب بيت زوجها أمام حفيدها؟ هل هذا ما تعتبره لائقًا؟ يا للسخرية! وكما يقول المثل: كلبٌ مُغَطَّى بالروث، يسخر من آخر مُغَطَّى بقشور الحبوب».

مهما كان الرجل بارعًا في القدح، لن يتفوق على امرأة ذات موهبة طبيعية. وبعد تعرضه للقصف بهذا الوابل من القذائف اللفظية، لم يكن أمام السيد الأستاذ يون سوى خيارين: أولهما التراجع الفوري، والآخر هو التحول إلى تكتيكات حرب العصابات. في الواقع، كان يُعوّل بشكل كبير علي دهائه الساخر، ولكن حين تعرّضت كُتَّته لأسلافه بهذه السخرية اللاذعة في إحدى جولات هذه المعركة، شعر بحق خانق.

كان أفضل رد هو الذي استخدمته زوجته الراحلة؛ أي الانقضااض عليها وإمسакها من شعرها، ثم رميها على الأرض وضربها حتى الموت بمطرقة أو بإحدى هذه الأدوات. كان ذلك يُسفر عن نتائج مُرضية تمامًا. غير أن من المؤسف أن والد الزوج لا يتمتع بنفس حرية التصرف التي تتمتع بها الحماة في مثل هذه المسائل. لقد وقفت الآداب العامة المعمول بها حائلًا بين ضرب السيد الأستاذ يون لكُتَّته، كما كانت تفعل زوجته الراحلة. لم يتمالك نفسه في لعن المسؤول عن اختراع تلك

الآداب التي منحت امتيازات لطرف دون الآخر. لم يسعه إلا أن يصب
جَمَّ لعناته على الأجيال الثلاثة.

«أنت! كيونج-سون، أيها الوغد!».

في تلك اللحظة خرج السيد الأستاذ يون من غرفته يصرخ، محدثًا
جلبة كبيرة وصوتًا مدويًا على أرضية المنزل، بفضل جثته الضخمة.

أجاب الصبي بصوت منخفض من غرفته، بينما استمر السيد
الأستاذ يون في الصراخ، سواءً أكان قد سمع ردَّ الصبي أم لا.

بعد فترة، خرج كيونج-سون بحذر من غرفته، مرتديًا سروالًا
قصيرًا.

«اسمع! اذهب حاليًا واحضر جدك! استدعِه الآن على الفور».

«حسنًا!».

«أسمع أن الكثيرين ينفصلون هذه الأيام. وستحصل على طلاقها
هذا المساء بالذات، وإلا سأفعل بها...».

ثمّة قول مأثور، أن حتى الخادم حامل الجرس سيرفع صوته بلا
شك في منزل المطلقة^(١). وبالمثل، وكلما انخرط السيد الأستاذ يون
في معركة مع زوجة ابنه، لجأ دائمًا إلى تهديدها بالطلاق، وأرسل في
طلب ابنه. رغم ذلك، عندما كان الرسول يُبلغ يون تشانج-شيك الابن
بالوضع، كان يرفض الحضور رفضًا قاطعًا. وإن حدث وظهر بعد
استدعائه مرارًا وتكرارًا، كان يجيب والده بأنه سينظر في الأمر غدًا، ثم

(١) يعني المثل أن بيتًا بلا رجل (بيت المطلقة) سيأتيه الأذى من كل اتجاه، حتى من الخدم.

ينسى الأمر برمته بمجرد مغادرته للمكان. لحسن الحظ، لم يكن يضغط عليه السيد الأستاذ يون، في اليوم التالي أو في أي يوم آخر، للمضي قدماً في الطلاق.

«تَبّاً لك! ماذا تنتظر؟ هيا، اذهب في الحال واحضر جدك، لا تتسمر هكذا، هيا!». هكذا، هيا!

صرخ الجدّ في وجه حفيده المتردد. حينها فقط، أجاب كيونج-سون وهَمَّ لارتداء ملابسه ذاهباً باتجاه الجزء الخلفي من المنزل.

لم يكن طلبه بالشاق؛ كل ما كان عليه هو الخروج من المنزل لوقت محدد ثم العودة مرة أخرى، أو البقاء في المنزل بحسب الأحوال الجوية وهبوب الرياح، وحينها سينسى مهمته ويبقى في غرفته، ثم يُبلغ جده الأكبر لاحقاً بأنه لم يعثر على جده، ولذا حضر بدونه.

«انتظري وسترين!» كان السيد الأستاذ يون يتمتم متذمراً وهو ينزل إلى الباحة الأمامية، «انتظري وسترين! حتى الآن كان الأمر كلاماً فقط، لكن هذه المرة سترين حقاً! عليه أن يُطْلَقك، وإلا فلن يكون ابني بعد اليوم. على كل حال، سننهي الأمر قبل حلول الليل. انتظري وسترين!».

عاد السيد الأستاذ يون لغرفته، وهو يتمتم بوعيده لزوجته ابنة. وسرعان ما ألقت السيدة كورداً من وراء ظهره، أن بإمكانه فعل ما يشاء، وأنها ليست خائفة من الطلاق، وأنه مخطئ لو ظن بأنها ستنتحب حزناً من هذا الأمر.

هكذا توقفت هذه الحرب، بلا بداية ولا نهاية، بهدنة. وما إن تراجع

المقاتلان من ساحة المعركة، حتى عَمَّ السلامُ مجددًا في أرجاء المنزل، وأصبح الجميع ينعمون بالهدوء.

كانت سام-وول، إحدى الخادِمات، تغسل الصحون مع خادمة أخرى، بينما تولى خادم آخر إشعال النيران. وتجمع بقية أفراد الأسرة، عدا السيدة كو، في الغرفة الرئيسية لتناول العشاء.

وهناك حضر كلُّ من سيدة سيئول، والكُتَّين، وكيونج-سون، وتيه-شيك، ورئيس الخدم. لم يكثرث أيُّ منهم بالعاصفة التي مرت منذ قليل، أو من أن عشاء السيد الأستاذ يون قد فسد، أو أن السيدة كو رفضت تناول عشاءها. لم يفقد أيُّ منهم شهيته، ولم يكن هناك أي سبب من الأساس يدفعهم للإعراض عن وجبة العشاء.

وفجأة، اندلع شجارٌ آخر أصغر من المعركة السابقة، كأن اندلاعه كان فقط لتغيير طعم المعركة السابقة.

كان تيه-شيك مندمجًا تمامًا مع المعركة بين السيد الأستاذ يون والسيدة كو، ثم عاد ليُكمل عشاءه بعد انتهاء المعركة. فجأة، دخل كيونج-سون مسرعًا وجلس حيث وسادة جده، وبدأ في دس الطعام في فمه بملعقة العجوز، دون أن ينبس بكلمة.

ذلك المنظر بالنسبة لتيه-شيك، كان كفيلاً بأن يجعله يستشيط غضبًا، بعد أن رأى ذلك الوغد اللص الأثاني يأكل من أرز والده مُستخدِمًا ملعقته الشخصية. وما زاد حنقه، خشيته من أن يلتهم كيونج-سون جميع الأطباق الجانبية اللذيذة وحده. لم يكن هناك مفر من انفجار حنقه.

«ماذا؟ هذا طعام أبي!».

لم يرمش كيونج-سون حتى، وبدأ في مضايقة تيه-شيك على الفور.

«ما الذي تتحدث عنه؟ وهل نُقش اسمه على الطبق؟» قال له ذلك ليضايقه.

«أيها الوغد!».

«ماذا تقول؟ حري بك أن تسكت، لا تستدعِ المتاعب بلا مبرر».

«أيها اللص!».

«أيها المعتوه! يا صاحب الرأس الكبير!».

«وغد! لص!».

«لا تستدعي المتاعب! انظر لنفسك، هل ستضربني بملعقتك؟! هل تريد تذوّق بعض ضرباتي؟ هل رأيت هذه؟!».

ضم كيونج-سون قبضة يده، وكان يهَمّ بالصعود فوق طاولة الطعام حين دخلت أمه السيدة بارك في الوقت المناسب، وقد فوجئت من المنظر، ونادته.

«كيونج-سون!».

«هذا المعتوه يعاني من نوبة فجائية، وأنا كذلك. ينعني بالوغد اللص، هل هذا اسمي؟».

«وماذا لو سمعت بعضاً من هذا الكلام؟ اصمت وتناول طعامك».

«أيها المعتوه، إياك أن تتفوّه بهذا الكلام مجدّدًا، هل فهمت؟ وإلا أوجعتك ضربًا!».

«كيونج-سون! توقف حاليًا! أنت تعرف ما ستلقاه من توبيخ جدك إن لم تكف عن ذلك».

«لست خائفًا».

«استمع لنفسك! إن لم تتأدّب سيتم إقصاؤك بعيدًا! سيتم طردك!».

”سأحظى بوقت جيد وأنا أجمع الحشرات، وأصبح وأتسلق الجبال، ثم سأعود بعدها. لا يوجد ما يدعو للقلق».

دخلت سيدة سيئول إلى الغرفة تمسح يديها. ثم عبست حين رأت تيه-شيك لا يزال ملتصقًا بمائدة العشاء؛ لا يلمس طعامه، عابس الوجه، ويشهق بمخاطه الأخضر.

«أختاه!».

«ما الأمر؟».

نادى تيه-شيك على أخته على أمل الحصول على بعض المؤازرة. لكن حين هاجمته للتو، لم يجد سوى ملاذه الوحيد: الانفجار في البكاء بصوت عالٍ بما يكفي لجعل والده يهرع إليه.

بدأت شفتا تيه-شيك ترتعشان، ووجهه يستعد للانطلاق في النحيب في أي لحظة. كان دَفَع تيه-شيك للبكاء يعني مشكلة كبيرة؛ ليست كالعاصفة التي اندلعت في الشجار السابق مع السيدة كو، بل رعد وبرق حقيقيين بقوة تكفي لهدم قسم كامل من المنزل. كقاعدة

عامّة، لم يكن السيد الأستاذ يون متسامحاً مع أخطاء الآخرين، ومن بين هؤلاء كل من تسوّّل له نفسه دَفْع تيه-شيك للبكاء. هذا الشخص على وجه التحديد، لن يكون جُرمه مغفوراً على الإطلاق.

«والآن هيا، تناول عشائك. لا يمكنك العبوس هكذا على مائدة الطعام».

استخدمت سيدة سيئول نبرة حانية لتهدئة تيه-شيك، وبدأت السيدة بارك والدة كيونج-سون تمسح أنفه، وهي ترسل نظرات مُتوَعِّدة لابنها. «جدي الأكبر؟».

فهم كيونج-سون مغزى نظرات والدته، وبدأ في التظاهر بممازحة تيه-شيك:

«هيا، تناول طعامك! الفضل لك يا جدي، حفيدك سيأكل من هذا الطعام الشهى، ألا توافقني الرأي؟ جدي، كم أنت طيب، أليس كذلك يا جدي؟!».

بالبحث في نسب تلك العائلة سيتضح لنا أن كيونج-سون، البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، هو في الحقيقة ابن الأخ الأكبر لتيه-شيك، ويبلغ نفس عمره. تيه-شيك كان في الحقيقة، بمثابة جده. لو تخطّينا انحطاط هذه العائلة، الذي وصل لجميع أجيالها، لكان تعبير المأساة أدقّ وصف لتلك العلاقة بين الجد وحفيده.

الفصل السابع

الثوريلد الحديد

كان السيد سوک الشرغوف يجلس في غرفة الضيوف الذکور، ولا ندري متى وصل. كان جالسًا يضم بطنه المتنفخ، مثل الشرغوف، بين يديه.

كان يعمل سمسارًا، كما يُطَلَق عليه هذه الأيام، تحت جناح السيد الأستاذ يون كوسيط يتكسب من العمل معه.

وكان بطنه المتنفخ يظهر أمامه كلما، حان موعد استلامه للنقود. كان قبيحًا، ببطنٍ مملوءة بالقاذورات الصلبة، مع قامة قصيرة ولا أثر لوجود رقبة. كأن لقب الشرغوف فُصِّل له تفصيلًا بسبب بطنه البارز. «هل تناولت عشائك يا سيدي؟».

انتفض الشرغوف على قدميه، وهو يرحب بالسيد الأستاذ يون بأدب ودود.

كان لدى السيد الأستاذ يون سببٌ باطني ليشعر بالسعادة عند رؤية الشرغوف يعود مجددًا هذا المساء، لكنه لم يُظهر أي بصيص من هذا الانشراح على وجهه مطلقًا. بدلًا من ذلك، تمت بغضب:

«وفرضاً أنني لم أتناول عشائي بعد، هل ستشتري لي وعاءً من مرق اللحم البقري؟ لماذا تهتم بالسؤال ما إذا كنت أكلت أم لا؟».

كان يحدثه بنبرة مُستهجِنة، ممزوجة بنظرة استحقار.

«إن شئت تناول العشاء، فلمن دواعي سروري أن أشتري لك الطعام».

رغم مظهره القبيح، كان قد تعلم مهارة تفرّس الوجوه والإطراء وقت الحاجة، وإلا لما كان أهلاً لتولي العمل كسمسار مسؤول عن تحويلات نقدية بلغت عشرات الآلاف من اللونات.

حلل الشرغوف سوك الأمر، متذكراً الصراخ المُدوّي الذي سمعه من الغرفة المجاورة قبل قليل. لا بُدَّ أن خطباً ما أثار حفيظة السيد الأستاذيون ودفعه للخروج دون إكمال العشاء، ومن ثمَّ صَبَّ جم غضبه عليه في نهاية الأمر. ما أن عبأ السيد الأستاذيون غليونه، الذي يبلغ طوله ذراعاً، بالتبغ، حتى أشعل له الشرغوف عودَ ثقاب.

«ولكن، يا سيدي، ليتك تعلم أنني لن أشتري لك حساء لحم بقري رخيصاً. على أقل تقدير، ستكون مائدة طعام عامرة بأصناف الأرز والحساء، وبكل ما لذَّ وطاب».

«هراء. كما يقول المثل: الحماة المُعمَّرة ينتهي أمرها بالغرق في ماء غسيل الصحون. لقد عشتُ بما يكفي لأرى الكثير من المفاجآت! عرضك موضع ترحيب؛ مرَّ وقتٌ طويل منذ أن انزلت قطعة لحم في حلقي!».

انبعث الدخان من فم السيد الأستاذ يون مُشكِلاً سحابة كثيفة. مد الشرغوف ساقيه ليوسع جيب سرواله الضيق، وأخرج منه لفافة تبغ ليدخن هو الآخر.

«يا سيد يون، عرضي لشراء عشاء فاخر لك ليس بالأمر العظيم كما تعلم، فما الداعي لهذا الكلام؟!».

«حسنًا، بإمكانني أن أخبرك أنني أعرف الكثيرين ممن قد يعدوك بأمر ما ولكنهم لا يوفون بوعودهم مطلقًا. لم لا تتوقف عن الثرثرة وتطلب الطعام على الفور؟ ما رأيك في ذلك؟! واعلم أنك لو استهنت بكبار السن، فلا ينبغي لك أن تستهين بالشباب. ومع ذلك، فطوبى للشباب الذي يعامل كبار السن بلطف بين الحين والآخر، ألا توافقني الرأي؟».

علت ابتسامة عريضة على وجه السيد الأستاذ يون، ثم انقلبت إلى الضحك. ونظرًا لهذا التعبير المسالم على وجهه، بدا أنه قد نسي تمامًا أمر ثورته التي كانت منذ فترة قصيرة. كان ذلك طبيعيًا، فلو بقي على غضبه بعد كل معركة على مدار تلك السنوات الطوال، ولم يبدد ذلك الشعور السلبي، لكان العجز هو مصير الإنسان المحتم في تلك الحالة، لا مفر.

«ولكن يا سيدي، دعوتي لم تكن مجرد كلمات فارغة!».

ظل الشرغوف يتلململ في مقعده، كأنه سيقفز من مقعده ويخرج على الفور.

«بإمكانني الخروج في الحال وطلب بعض الطعام والخمر، لن

يستغرق الأمر دقيقة لو طلبته بالهاتف. ألم تأكل حقًا؟ حسنًا، سأطلب الطعام!». «

«هاهاهاها! يبدو أنك لا تنحني (للتحية) إلا لو طُرِحَتْ أرضًا. كفى كلامًا فارغًا. أعرفُكَ جيدًا؛ لا بُدَّ أن لديك دوافع أخرى وراء هذا الكرم المفاجئ».

«ماذا، دوافع أخرى؟ أنا؟ أبدًا!». «

«الأمر يتعلق بما تحدثنا حوله صباح اليوم، أليس كذلك؟».

«الأمر ليس كذلك على الإطلاق يا سيدي. كان ذلك حينها، أما الآن فأمر آخر. كيف تسيء الظن بي هكذا؟ هاهاها!». «

«أيا ما كان. لكن كما ذكرت لك صباح اليوم، حصتي ستكون عشرين بالمائة، وإلا فاعتبر الأمر لاغيًا، هل فهمت؟».

أخرج السيد الأستاذ يون غليونيه من فمه حتى يعطي انطباعًا رصينًا. اعتدل الشرغوف في جلسته، ليميل مقتربًا من السيد الأستاذ يون.

«صادف أن تحدثت مع المدعو كانج في طريقي منذ قليل، وهذا أمر ينبغي أن أتحدث فيه معك الآن».

«هل تقصد أنه وافق مقابل نسبة العشرين بالمائة؟».

«في الواقع كنت آمل لو راجعت نفسك قليلًا وفكرت في الأمر، على الأقل حفظًا لماء وجهي».

«فيم أفكر؟! سأقرضه النقود».

«بالطبع ستقرضه النقود. ولكن، هلا خَفَضْتَ سعر الفائدة لعشرة في المائة فقط؟!».

«هذا ليس محلّ نقاش!».

«أعلم ما قلته يا سيدي. ولكن دعني أريك ورقة بسبعة آلاف وون مثل هذه، والتي ستحصل عليها شهرًا، ويوم سدادها سيحل بعد ثلاثين يومًا، في حالة ما إذا وافقتَ على نسبة العشرة بالمائة. وبما أنك ستخصم الفائدة مقدّمًا، فسوف تقرضه فعليًا مبلغ ستة آلاف وثلاثمائة وون، وبعد شهر سيسدد لك الرجل سبعة آلاف: الستة آلاف وثلاثمائة، إضافة للسبعمائة. صفقة ليست سيئة على الإطلاق، أليس كذلك؟ بغض النظر عن مدى حاجة الرجل المُلِحّة للمال، لا بُدَّ أن نراعي قلق الشخص الذي سينفقه. وها أنت الآن تطلب نسبة عشرين بالمائة!».

«بالطبع! اسمعني جيدًا! كلما كانت الحاجة للنقود مُلِحّة، زادت معها الفائدة بما يعادل قيمتها. ولذا عليه أن يدفع فائدة أكبر مقابل استخدام رأسمالي الخاص، ألا توافقي الرأي؟».

«وحتى لو افترضنا ذلك، حينها سيحصل الرجل فعليًا على خمسة آلاف وستمائة وون مقابل ما قيمته سبعة آلاف وون، وفي المقابل سيكون عليه تسديد مبلغ ألف وأربعمائة وون قيمة الفائدة في نهاية الشهر. ألا تظن أن هذا مجحف للرجل؟».

«إن كان يظن الأمر مجحفًا، فليس عليه أن يقترض نقودي. أنا لا أتبعه في كل مكان متوسلاً إليه ليقترض مني، أو أفرض الأمر عليه حتى. لا أجد أي منطق في كلامك».

أراد السيد الأستاذ يون تحويل العرض لأمر إما أن تغتنمه أو تتركه. ولكن حتى بدون حجة الشرغوف، فقد كان يعلم أن فائدة سعر سبعمائة وون في شهر واحد ليست شيئاً يُستهان به. كان يساوم الرجل في البداية على عشرين بالمائة، وهذا في أفضل الأحوال، واعتماداً على الظروف، فخمسة عشر بالمائة لن تكون نسبة سيئة، وإن كان لا مفر من الأمر، فإن عشرة بالمائة لن تسبب له أي ضرر. في نهاية الأمر، ذلك المبلغ لم يكن مُستثمراً على أي حال، بل كان محفوظاً في المصرف حتى فسد.

«وأعلم يا سيدي أن في حال إصرارك على نسبة العشرين بالمائة، لربما عدل عن قرار الاقتراض منك».

كان الشرغوف يعي تماماً طبيعة تفكير السيد الأستاذ يون، فاستحوذ على انتباهه أخيراً. وبعد أن انتظر لحظة، تابع كلامه قائلاً:

«حسنًا، ودون الحاجة لمزيد من الجدل، ما رأيك لو خفضنا النسبة لخمسة عشر في المائة؟ حتى مع نسبة خمسة عشر في المائة فعشر سبعات تساوي سبعين، وخمس سبعات تساوي خمسة وثلاثين، مما يساوي ألفاً وخمسين وون».

«عجبت لك! المفترض أنك سمسار يعمل لصالحه، وأنت تتكسب من هذه المهنة؟ كيف إذن تريد تحويل الخسارة تجاهي في كل مرة؟»

«يا سيدي العزيز، هذه الصفقة لن تسبب في خسارتك! كل ما أريده هو إتمام الصفقة فحسب. ألا يقولون أوقفوا القتال وأبرموا الصفقات؟ وهذا ليس شأن شخص آخر حتى أكون جاهلاً به، بل هو شأنك أنت؟ كيف لا أعرفه؟».

«حسنًا، اسمعني جيدًا! هل كنت ستستمر في الإصرار على الموضوع لو لم تقبض عمولة في جيبيك؟».

«مممم.. هاهاها.. الآن، بما أنك ذكرت موضوع العمولة يا سيدي، كلما زادت نسبة الفائدة زادت معها عمولتي كما تعلم. ولكن أمور العالم لا تُدار وفق أطماعي الشخصية، أليس كذلك؟».

«مجرد كلام فارغ! إن عشت بلا أطماع في هذا العالم، سينتهي بك الحال وأنت تستخرج أحشائك وتهبها للغير!».

«هناك بعض الحقيقة في كلامك يا سيدي. على كل حال، ما قرارك؟ ما رأيك في نسبة الخمسة عشر بالمائة التي اقترحتها؟ هل أنت موافق؟!».

«تبًا! لا أعلم! افعل ما تراه صوابًا!».

«هاهاها. كان عليك أن تقول لي ذلك من البداية. في هذه الحالة، سأحضر السيد كانج بنفسه غدًا. ما أفضل وقت بالنسبة لك؟ هو يحتاج النقود قبل موعد إغلاق المصرف!».

«في الحقيقة، يجب أن يكون ديه-بوك حاضرًا. قال إنه سيعود الليلة، لذا من المتوقع وصوله قريبًا. ستكون النقود جاهزة وقت وصوله، مما يعني أي وقت غدًا. ولكن، هذا الرجل مأمون، أليس كذلك؟ أو أوافق أنت من أنه لن تقع أي أخطاء؟».

«بإمكانك أن تدع الأمر لي! يملك الرجل متجرًا يُدعى متجر «مان-تشانج»، يقع بالقرب من كوبري تشول-مول. ليس الرجل متشددًا يريد

النقود لإنفاقها على النساء والخمر، كل ما في الأمر أنه يريد النقود ليودّعها في حسابه المصرفي قبل موعد الإغلاق غدًا، حتى لا يتم إشهار إفلاسه. المصرف يسيطر على جميع النقود ولا يسمح بالإقراض لأي أحد، وبات الجميع يصرخون. لا تقلق بشأن كانج؛ لو استقصيت عنه لعلمت كل ما في الأمر».

«ماذا سأعرف عنه بالضبط؟».

وضع السيد الأستاذ يون غليونيه ووقف على قدميه، ثم استخرج دفترًا سميكًا من خزانة الحائط. كان الكتاب يدرج لائحة تضم أسماء الشركات المتوسطة والكبيرة الواقعة في سيئول، وتظهر اللائحة أدائهم وجدارتهم الائتمانية. إنه نوع من القائمة السوداء، كما أنه أحد ابتكارات ديه-بوك نفسه.

لم تكن الجدارة الائتمانية الموصوفة في هذا الدفتر معنية بمخاطر الائتمان بالمعنى العادي للكلمة فحسب، بل كشفت عن إجمالي ثروة الشركة بالإضافة إلى جميع ديونها المستحقة. حرص ديه-بوك على تحديث الكتاب يوميًا، والتحقق من الصحف وتقارير الأعمال، وتدوين أي معلومات جديدة تتعلق بالجدارة الائتمانية المتغيرة لكل مؤسسة. وبالتالي، وعلى الرغم من أنه كان مجرد دفتر ملاحظات مُرَقَّع من الورق العادي، لكن نظرة سريعة على الصفحة اليمنى توفر جميع المعلومات اللازمة لتحديد ما إذا كان العمل التجاري آمنًا، وكذلك تحديد المبلغ الذي سيكون من الآمن إقراضه للشخص.

حين يرغب رجل من القرية، خصوصًا إن كان شخصية مشبوهة، اقتراض بعض المال، حرص السيد الأستاذ يون حينها على أخذ رهن

عقاري ضمانًا للقرض، مع عدم إتمام الإقراض دون أن يكون في يده سند مختوم أولًا. أما بالنسبة لأولئك الذين لديهم أعمال في سيئول، كان عادةً ما يُجري المعاملات على أساس المذكرة، ويمنح القرض إذا كان يعرف المقترض جيدًا بما يكفي ليشعر بالأمان.

لا يوجد في العالم ما هو أكثر رعبًا للمستدين، أو أكثر ملاءمة للدائن، من مُذكِّرة المعرفة. ففي اللحظة التي يتأخر المُستدين فيها عن سداد الدين، ومهما كانت الظروف، يُنفذ أمر الحجز على بضائع المُستدين، وتُباع بالمزاد حتى تفي الحصيلة بالقيمة الاسمية للسند. وحتى لو كان القرض عملية احتيال، فليس أمام المُستدين خيار سوى الدفع، إذا اتخذ القرض شكل مُذكِّرة تعهّد. كيف يمكن لأي شخص ألا يخاف من مثل هذا المأزق؟

ومن خلال هذه الطريقة المريحة والمضمونة لبيع السندات التجارية، يطرح السيد الأستاذ يون ما يتراوح بين عشرين ألفًا إلى ثلاثين ألف وون على شكل قروض كل شهر، ويحصل على ما لا يقل عن ثلاثة إلى أربعة آلاف وون من الفوائد. بمعنى آخر، كان رأسماله يدر أرباحًا تتراوح بين عشرة إلى عشرين بالمائة شهريًا.

وفقًا للأسطورة، أمكن التنبؤ بسقوط مملكة كوريو^(١)، حين أتت

(١) في حكايات التراث الشعبي، كان يُنظر إلى زوال السلالة الحاكمة باعتباره مؤشرًا مُسبقًا ونذيرًا يشي بنهاية العالم الغريب. ووفقًا للأسطورة الكورية الشعبية، يتزامن مع اقتراب نهاية سلالة كوريو (٩٣٢-١٣٩٢ م) انتشارٌ واسع النطاق لشائعات عن «بول-جا-ساري»، وهو وحش أسطوري يأكل الحديد، له جسم دب وجذع فيل وعينا وذيل ثور وأرجل نمر.

الثيران على كل الحديد الموجود في البلاد. لكن كل شيء تغير في العصر الحديث، وانقلب رأساً على عقب. وفي الوقت الحاضر، فمن المفترض أن تضع الثيران الحديد. ترى، أي نذير شؤم هذا؟ على أي حال، يبدو أن المال بارع في التمسك بجنسه. المال يجلب المال، أليس كذلك؟!

أخرج السيد الأستاذ يون نظارته من العلبة المعلقة على حزامه، وأسندها على حافة أنفه، ثم بدأ يتصفح الكتاب الكبير. أصبح الشرغوف أكثر استرخاءً الآن، بعد أن شارفت الأمور على الاستقرار، ودخن لفافة تبغ وهو ينتظر القرار النهائي.

بعد تحديد موقع كانج ومتجره في مان-تشانج، أجرى السيد الأستاذ يون عملية حسابية تقريبية، وأدرك أن كانج في حالة مالية مستقرة بما يكفي لتمرير قرض بقيمة عشرين أو ثلاثين ألف وون، على الرغم من وجود بعض المديونية. لذا فإن سبعة آلاف وون تعتبر مبلغًا تافهًا. وحتى مع وجود أي خطر ولو ضئيل، مما يسبب أي مشكلات خلال الشهر التالي، فلن يشكل ذلك عائقًا لإتمام الصفقة.

«حسنًا! أعتقد أن وضعه لا بأس به، ولكن...».

وهكذا، وبعد أن أعلن السيد الأستاذ يون نصف موافقته، أعاد الدفتر لخزانة الحائط، وخلع نظارته ثم جلس ولقم غليونه مرة أخرى. وعلى الرغم من أنه لم يفصح عن أي شيء، إلا أن الموافقة السابقة دلت على أنها موافقة مشروطة بالتحقق من عدم وجود مشاكل في الفحص الائتماني. كان هذا التعبير عن الموافقة هو الإذن الحقيقي للمضي قدمًا في عملية الإقراض.

مع ذلك، ترك السيد الأستاذ يون كلمة «لكن» مُعلَّقة في نهاية جملة. لذلك، لم تكن الموافقة كاملة، بل بالأحرى كانت نصف موافقة. كان ينوي مناقشة الأمر مرة أخرى مع ديه-بوك حين يصل، وإن أقرّ الأخير بأن الصفقة غير مجدية، فما يزال بإمكان السيد الأستاذ يون الانسحاب بسهولة شديدة، فهو لم يقدم أي التزام كتابي من جانبه؛ كل ما في الأمر أنه أعطى موافقة نصف شفوية فقط.

«حسنًا، ماذا بعد؟» حاول الشرغوف التغطية على كلمة «لكن» لتمرير الصفقة، «إذن، سوّيت المسألة، أليس كذلك؟ ستكون النقود متاحة غدًا خلال ساعات العمل المصرفية، أليس كذلك؟».

«حسنًا. فلنطبق الاتفاق على ما هو عليه الآن».

«كيف يمكنني إلزام كانج على هذا الأساس؟ أنت الرئيس، لذا وجب عليك أن تعطيني إجابة محددة، وإلا فلن يشعر الرجل بالأمان».

«أنفهم الأمر، ولكن كما تعلم جيدًا، لا أعرف شيئًا عن هذه الأمور. ديه-بوك هو الخبير، ولا أتصرف إلا بناءً على نصيحته؛ إن قال افعل هذا فعلته، وإن قال افعل ذلك فعلته. وهل يُعقل أن ألزم دون وجود معلومات كافية حول الألف والخمسين التافهة؟ لماذا، حتى الألف والخمسين كلها ليست لي، أليس كذلك؟ بعد أن خصصت مائة وخمسة وون مقابل عمولتك، فلن أحصل حتى على ألف. وإذا حدث خطأ ما، سأخسر حينها ستة آلاف من نقودي!».

«يا سيدي، لو كان كانج غير جدير بالثقة، لما رشحته لك أبدًا، أبدًا! كيف يمكنك أن تقول مثل هذه الأشياء، بعد أن عرفتني لأربع

أو خمس سنوات؟ هل سبق أن خسرت تشون واحدًا في أي صفقة أوصيتك بها؟».

«يقولون إن من الحكمة أن تستقصي، حتى عند السفر على طريق تعرفه جيدًا. هناك أشخاص، كما تعلم، لديهم قدرة على خطف مقلتيك، دون أن يرمش لهم جفن».

«هاهاهاها. حتى في عمرك هذا، لن ترتكب أي أخطاء! التحقق من كل شيء هو السبيل لتجنب الأخطاء. حسنًا، على أي حال ديه-بوك سيعود اليوم، أليس كذلك؟ هل أنت متأكد من الأمر؟!».

«قد يتأخر، لكنه سيحضر بكل تأكيد».

«وإن صدق ديه-بوك على الأمر، فلن تكون هناك مشكلة في تحويل النقود، أليس كذلك؟».

«هو كذلك».

«على أي حال، سأحضر كانج غداً إلى منزلك وقت الظهر تقريبًا. والآن، أستطيع القول بأنني أشعر بالراحة».

«ربما شعرت بالارتياح، لكنني لا أزال مترددًا إلى حد ما؛ يبدو لي أنني سأحصل على أقل مما أسعى له بنحو ألف وون».

«هاهاهاها. في المرة القادمة سأجلب لك صفقة كبيرة حقًا. فقط كن صبورًا يا سيدي، هناك الكثير من الأسماك في البحر. ومع تشديد البنوك على عمليات الإقراض، أصبح الجميع يائسين. إن الأشخاص الذين كانوا يشترون الأراضي والعقارات بأموال مُقترضة يتألمون حقًا،

وسيكونون سعادة جدًا لو كان عليهم دفع خمسين تشون تقريبًا في اليوم».

«في الظروف الحالية، من الذي يتمتع بكامل قواه العقلية بحيث يُقرض المال مقابل خمسين تشون في اليوم؟ ليس أقل من وون واحد. المستميت في البحث عن النقود ليس المُقرض على أي حال، أليس كذلك؟ إن كان المقترض يائسًا بما فيه الكفاية، فسوف يدفع هذا المبلغ طواعية».

لم يكن السيد الأستاذ يون على علم مطلقًا باللوائح القانونية الصادرة حديثًا للتحكم في تضخم الأرباح. ولكن حتى لو كان على علم بها، فمن غير المرجح أن تخيفه مثل هذه الأشياء. قبل عشر سنوات، كان يتقاضى بالفعل فوائد تزيد عن المعدل المسموح به قانونًا. علاوة على ذلك، فحتى لو وقع في مأزق معقد، سيمكنه دائمًا إيجاد طريقة للخروج منه والعودة إلى العمل على الفور.

«حسنًا! تمت تسوية الصفقة».

بذلك كان الشرغوف قد أتم ما حضر من أجله، وكان عليه أن يقف على قدميه. لكنه قرر الاستفادة بشكل كامل من فرصة كَسْب ود السيد الأستاذ يون، من أجل علاقات العمل المستقبلية معه:

«والآن، أخبرني يا سيدي. ألم تتناول عشائك حقًا؟».

«تمت مقاطعتي في منتصف وجبتي. كنت غاضبًا».

اندفع غضبه، الذي كان قد نسيه حتى تلك اللحظة، من جديد.

دَكَرَتْه معدته على الفور أنها شبه فارغة. بدا صوت غليونه وهو يطرقة على منفضة السجائر حادًا بشكل غير طبيعي.

«رفقًا بنفسك، خصوصًا مع شيخوختك!».

«إنه قدرتي البائس فحسب، هذا ما أقول لنفسي!».

ولمفاجأة الشرغوف، أصبح السيد الأستاذ يون هادئًا بدلًا من أن ينفجر في نوبة غضب أخرى. وجهه، الذي لم يُظهر أي أثر للقلق قبل لحظات قليلة، أظلم فجأة. حتى صوته، الذي كان صاخبًا قرب المغرب، صار بلا حياة.

«أجمع عشرة آلاف شوالًا من الأرز في كل موسم حصاد، بخلاف عشرات الآلاف من الوون نقدًا. رجل ثري مثلي، يرقد على كل هذه الثروة، ويجلس أحيانًا بلا وجبة! هل تصدق هذا؟!».

في الواقع، كان الأرز الذي يحصل عليه من محصول الحصاد الواحد كافيًا بأن يملأ معدته لمائة عام، أو حتى لألف عام، وسيبقى لديه الكثير منه. لم يستطع العجوز إلا أن يندب حظه البائس بمجرد التفكير في الأوقات التي يعاني فيها من الجوع.

«انظر، على سبيل المثال، أنت ستكون أول من يدعوني بالمحظوظ، أليس كذلك؟ وما هو الحظ الجيد؟! تقول ذلك لأنك لا تعرف عني شيئًا. الرجل في مثل حالتي لا يختلف عن الكلب الذي ينبح طوال الليل ليمنع اللصوص من سرقة مخزن الحبوب. ذلك هو مصير الكلب بعينه! مصير الكلب بلا شك!».

توقف السيد الأستاذ يون للحظة، ثم أطلق تنهيدة طويلة وهو ينفخ بعض الدخان ويحدق في الفضاء.

لم يتوقع الشرغوف أبدًا، في أعنف أحلامه، أن يرى هذه النظرات الخطيرة والعلامات المثيرة للشفقة من رجل لا يظهر على وجهه عادةً سوى الهياج أو الرضا عن النفس أو العدوان. ولكونه مجرد وسيط أموال صغير الحجم، لم يكن الشرغوف مُصمَّمًا للسبر في أعماق المشاعر الإنسانية للرجل العجوز. لم يسعه سوى أن يرى الرجل الذي أمامه، رجلًا ذي ثروة طائلة، وجماعة من الورثة، ومُعمر. كان ما زال يتمتع بصحة جيدة تنافس صحة الرجال الأصغر سنًا. ومع ذلك، حظي بأفضل عناية إلهية، بينما كان هنا يئن ويئن من الجوع، ويشتهي مصيره البائس كمصير الكلب، وما إلى ذلك. كان مثيرًا للشفقة حقًا! عاش الرجل العجوز فترة كافية، وكان يقترب من نهايته. ومع وضع هذه الأفكار في الاعتبار، لم يستطع الشرغوف أن ينظر إلى وجه الرجل العجوز مرة أخرى.

الفصل الثامن

ثلاث عملات قديمة

كان الشرغوف يميل لمضايقة السيد الأستاذ يون، وودّ لو طلب منه النباح بصوت عالٍ حين وصف نفسه بالكلب. ومع ذلك، ستكون مثل هذه الدعابة في منتهى الوقاحة. ابتلع الشرغوف مشاعره الحقيقية، وواسى السيد الأستاذ يون بكلمات متملقة، وأخبره أن المسؤوليات المؤرقة لأسرة مزدهرة لها الكثير من الأطفال والأحفاد البالغين، لهي أمر واقع لا محالة على عاتق ربّ تلك الأسرة.

«بالمناسبة...».

تلك المواساة التي تكبد الشرغوف عناء قولها، لا علم لنا إن كان السيد الأستاذ يون قد سمعها بأذنيه، أم شمّها بأنفه. فجأة، تبدلت تعبيرات وجه السيد الأستاذ يون إلى الجدية، ثم رفع رقبته وسأله:

«.. هل سبق أن شاهدتَ مراسم غسل وتكفين الموتى؟».

بدا أن هناك سبب لمثل هذا السؤال المفاجئ، ولكن ذلك لم يمنع القشعريرة التي سرت في بدن الشرغوف، حين سمع سؤاله عن غسل وتكفين الموتى.

«في الغالب ستكون قد شهدت أحدها. ما أقصده هو...».

تجاهل السيد الأستاذ يون تردد الشرغوف في إعطاء إجابة سريعة على سؤاله، وأردف قائلاً:

«.. كما تعلم، توفيت زوجتي في شهر يناير من مطلع العام».

«بالطبع! كان ذلك مطلع العام؟! لا أصدق كيف يمرّ الوقت سريعاً!».

«على أي حال. طلب مني الناس آنذاك أن أشهد مراسم الغسل والتكفين، ولذا ذهبت إلى الغرفة التي وُضِعَتْ فيها الجثة، وراقبت الطقوس بعناية. بعد أن ألبسوها الكفن، وقبل أن يربطوا العقد السبع، لا أذكر مُسمّى تلك العملية، أخذوا ملعقة الأرز وبدأوا مناولتها للجثة كأنهم يطعمونها، وهم يرددون «ألف شوال من الأرز!»، ثم يطعمونها ملعقة ثانية ويقولون «ألفي شوال من الأرز!»، ثم يتبعونها بثالثة ويقولون «ثلاثة آلاف شوال من الأرز!». هذا بالضبط ما فعلوه. ثم أحضروا بعض العملات النحاسية التي ما عادت تُستخدم الآن، لكنها كانت تُستخدم قديماً ويُطلَق عليها اسم «سينج - بيونج تونج - بو»^(١)، ووضعوها في الكفن وهم يقولون «ألف نيانج»، ثم يضعون قطعتين ويقولون «ألفي نيانج»، ثم الثالثة ويقولون «ثلاثة آلاف نيانج»..».

«حقاً؟ كل ذلك؟!».

(١) عملة نحاسية من عهد مملكة جوسون، على شكل دائرة ذات ثقب من المنتصف على شكل مربع.

كان الشرغوف واعياً لمقصد السيد الأستاذ يون، فأخذ يهز رأسه بالموافقة:

«نعم، يريد الناس أن يحصل الموتى على المال اللازم في رحلتهم للعالم الآخر، متمنين لهم الثروة والازدهار، أليس كذلك؟!».

«نعم. هذا صحيح. أنا أيضاً على علم بذلك. سبق أن رأيت تلك الطقوس حين توفي والديّ، ليست المرة الأولى لي. لم أقصد الإشارة إلى ذلك. ما أعنيه هو.. ألم تكن زوجتي زوجة رجل ثري؟ أنا رجل ثري، أليس كذلك؟ إذن كانت امرأة ثرية.. ولكن، في النهاية، حين ماتت وتصلبت ساقها، كان كل ما استطاعت أن تأخذه معها إلى العالم الآخر هو ثلاث ملاعق من الأرز وثلاث عملات معدنية قديمة فقط. هل فهمت؟! حين يموت الرجل الثري، لا يأخذ معه لرحلته سوى ثلاث ملاعق أرز وثلاث عملات معدنية رديئة مثقوبة من المنتصف، لا أكثر!«.

لم ينبس الشرغوف بكلمة؛ كان ينصت بأدبٍ جم وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية. نفخ السيد الأستاذ يون غليون بهدوء لفترة من الوقت، ثم تنهد بعمق قبل أن يتابع حديثه:

«حين شاهدتُ الأمر دفعني ذلك للتفكير ملياً، وأدركت أن اليوم الذي سأغمض فيه عيني آتٍ لا محالة، وحينها لن يكون لديّ خيار آخر؛ سأرحل للعالم الآخر مع ثلاث ملاعق أرز وثلاث عملات معدنية، أليس كذلك؟ وبالطبع لن يحفروا لي مقبرة عملاقة، ولن يلقوا بالآلاف من أشولة الأرز وعشرات الآلاف من العملات الورقية في قبري، أليس

كذلك؟ وحتى لو فعلوا، بم سيفيدني ذلك؟ هل فهمت قصدي؟!».

«هاهاها. فعلاً يا سيدي، تلك هي الطريقة التي تُدار بها الأمور».

«أنت توافقي الرأي، أليس كذلك؟ ما أقصده هو، حتى أنا وما أملكه في جيبي من عشرات الآلاف من أشولة الأرز، وغيرها من عشرات الآلاف الأخرى من الوون، حين أرحل للعالم الآخر، لن آخذ معي سوى ثلاث ملاعق من الأرز وثلاث عملات معدنية. وإن كان الأمر سينتهي على هذا النحو، فلم العناء لجمع الثروة حين أفقد معها محبة الآخرين وأجلب على نفسي كراهية أبنائي وأحفادي، وأنا لم أنفق كما يحلو لي ولم أعش كما يحلو لي؟ هل فهمت ما أقصده؟!».

«نعم، نعم.. هاها.. حقاً هذا...!».

«والأهم من ذلك، هل سأعيش مائة عام أخرى، بل هل سأعيش خمسين عام أخرى حتى؟! لو كنت محظوظاً بما يكفي، فعلى الأرجح سأعيش عشرة أعوام أخرى، ثم تتيسر ساقى. وحين يباغتني الموت سأنسى كل شيء عن هذا العالم اللعين. لم أنا مُقَيَّد إذن؟ ولم ألْهَث هكذا لجمع كل عملة نقدية؟ كل عاهرة ولقيطة أعرفها تكرهني، ولا أتمتع بالراحة أو الرغد في شيخوختي. هذا ليس كل شيء؛ إنني أحاول باستماتة أن أكشط كل عملة أخيرة، واحدة تلو الأخرى. كيف أصبحتُ مثيراً للشفقة إلى هذا الحد؟ ما كل هذا الجنون؟! لقد باتت هذه الأفكار تشغلني كثيراً، بعد ما رأيته ذلك اليوم».

بالنسبة للسيد الأستاذ يون، كان إطلاق أفكاره العميقة بشكل تلقائي هكذا أمراً غير معهود على الإطلاق، ولا يسع المرء سوى أن

يظن أنه يمر فعلاً بتغيير جذري في قناعاته، ناجم عن اقترابه من حافة الموت.

بقي المضيف وضيفه صامتين لبعض الوقت، ثم أخذ الشرغوف يتفحص مزاج السيد الأستاذ يون، بحثاً عن كلمات مناسبة لمواساته.

بدا الكلام لو أنه نتيجة خرف الشيخوخة، أو أن الرجل يتأرجح على حافة الجنون. إذا ما كان هذا الكلام حقيقياً بأي حال من الأحوال، فقد تمنى الشرغوف لو قال له الرجل: «اسمع أيها الشاب، لا حاجة لي في ثروتي. لا حاجة لي فيها. خدها كلها واستمتع بها ما بقي من حياتك». ظن الشرغوف بأنه لا يوجد ما يمنع الرجل العجوز من منحه بضعة آلاف من النقود في الحال، وقد ازداد جشعه لتحقيق مكاسب خيالية، خصوصاً مع وضعه المتخيم بالفقر، ومعه ازدادت رغبته اليائسة أكثر فأكثر في أن يعلق النعل القديم للسيد الأستاذ.

«سيدي!».

«ماذا هنالك؟».

كان صوت الشرغوف متملقاً، والرد الذي تلقاه ودوداً.

«ثمة ما أود أن أقترحه عليك بشدة!».

«اقتراح؟».

«نعم، كل ما في الأمر...».

«انتظر! ستقترح عليّ ما أخبرتني به سابقاً في ذلك اليوم؛ بأن أخصص تبرعاً. ذكرني ماذا تطلقون عليها؟ آه، مدرسة تحت الإنشاء.

ستعود لذكر ذلك الموضوع مجددًا، أليس كذلك؟ إن كان هذا قصدك، فلا تقل شيئًا!».

بذلك الاعتراض السريع، اتضح أن السيد الاستاذ يون قد أفاق بالفعل من أحلام اليقظة. وعاد لوعيه، ومن ثم عاد لطبيعته.

اختفت تمامًا نبرة صوته الحزينة وتعبير وجهه الكئيب، اللذين لازمهما حتى تلك اللحظة، فعاد لطبيعته المفعمة بالحياة.

«الأمر ليس كذلك! سيدي...».

تهاوت آمال الشرغوف أمام عينيه. وكلما زاد الأمر، أدرك أن عليه استدعاء المزيد من الحيلة، فتابع كلامه بشكل مبالغ فيه:

«ليس الأمر كذلك على الإطلاق. أنت رفضت الفكرة بالفعل، فلم استدعى الأمر مجددًا؟ ماذا سيعود عليّ من تكراره؟! وفي المرة الوحيدة التي نصحتك فيها بالفكرة سابقًا، لم يكن ذلك قصدي كذلك. كل ما هنالك أنك إذا أنشأت مدرسة، فستحتفي بك الصحف، ويُصَبِّب لك تمثال، وحينها سيستمر تكريمك لأجيال قادمة، ألا توافقني الرأي؟! لهذا السبب وحده طرحت عليك الأمر، بشكل عابر فقط. ولكن بعد أن تدبرت الفكرة، انتهيت إلى أنها مضيعة للمال، وليست بالأمر المُجدي!»

«سواءً أكان أمرًا مجديًا أم لا.. لماذا يُضَيِّع شخص عاقل نقوده لإنشاء مدرسة مثلها؟ لماذا تساهم في ما سيؤول لغيرك؟ أخبرني! إني أنذركم يا أولاد العاهرات تحت سقف السماء، وأقول لهؤلاء الأوغاد من المُحسِنين: ستحل عليكم اللعنة جميعًا، وستفقدون البركة، قريبًا

ستخرجون إلى الشارع تستجدون طعامكم! انتظروا، وسترون!».

في الحقيقة لم يكن السيد الأستاذ يون خَرَفًا، ولم يفقد عقله بعد. كان عقله صافيا ورصينًا. وعلى الأغلب، كان ما قاله منذ قليل مُجرّد ثرثرة شخص أثناء نومه. ولذلك، نشعر بالأسى حيال الشرغوف، ولكن ما باليد حيلة.

انتهت محاولات الشرغوف لتملق العجوز، بتحوّل الأمر لسوء حَسِّ الدعابة لديه. بدأ يتصبّب عرقًا وهو يحاول حشد مهاراته البلاغية لحصر الأسباب التي تجعل من التبرع للقضايا العامة أمرًا عديم القيمة على الدوام. بعد أن أكمل هذه المهمة، وفي وقت لاحق، غامر أخيرًا بالعودة إلى المسألة التي طرحها أول الأمر، قبل أن تحيد المحادثة عن مسارها.

«يا سيدي، خدمتي لك ليست وليدة اليوم ولا الأمس حتى، والحق أن قلبي ينفطر وأنا أراك تعيش هذه الحياة الصعبة، ولا تتناول وجباتك، مع كبر سنك هذا. لا يسعني إلا أن أشعر بالخزي، وأنا أراك على هذا النحو. أنا أيضًا لديّ والدين شيخين، فهل سأغض الطرف عن وضعك الحالي لمجرد أنك لست والدي؟! وأنا كما تعلم، أنتبه دائمًا لمثل تلك الأمور. أؤكد لك أن هذا ليس مجرد كلام ألصقه بتمي».

«ألهذا عرضت أن تشتري لي حساء اللحم؟».

«سيدي! اسمعني يا سيدي!».

«ماذا هنالك؟».

«أعتقد حقًا من صميم قلبي أن عليك التفكير في اتخاذ زوجة جديدة، ما رأيك في الأمر؟».

ابتسم السيد الأستاذ يون، وألقى نظرة حادة تجاه الشرغوف، بدلاً من التعليق على كلامه. كانت رسالته واضحة، كأنه يقول له: هذه وقاحة منك، لكنها ليست فكرة سيئة على الإطلاق.

أجابه الشرغوف بابتسامة، ثم دنا بإحدى ركبتيه مقتربًا من السيد الأستاذ يون، وأمال رأسه عديم العنق نحو الرجل العجوز.

«حسنًا، ما زلت تتمتع بصحة ممتازة. ما الذي قد يكون أفضل لك من العثور على امرأة مُقتَصِدة، في منتصف العمر، تسكن معها في منزل منفصل بمكان قريب، وتجعلها تعني بك؟! والآن، بعد أن انتقلت ابنتك إلى المنزل، أنا متأكد من أنها تستطيع إدارة كل شيء. ولكن، إذا اتخذت زوجة، ففي أفضل الأحوال أو أسوأها، ستجد خدمتها مُرضية لك. علاوة على ذلك، فأنت ما زلتَ رجلًا نشيطًا. وإذا ما شعرت بالوحدة في المساء أو في الليل، يمكنك دائمًا الحصول على بعض المواساة، ها، ها..».

«ماذا تقول؟!».

وجد السيد الأستاذ يون في كلام الشرغوف قدرًا كبيرًا من الصواب، خصوصًا في الجزء الأخير، إذ بدا واقعيًا ملموسًا لدرجة أن العجوز، الذي لم يعد يكتفي بالابتسام وإلقاء نظرات الازدراء المصطنعة، قد بدأ يسيل لعابه الآن وهو يرفع غليونه من فمه.

«هاها.. أَلن يكون ذلك لطيفاً يا سيدي؟ لذا لا تزدد في الكلام، وانطلق للبحث عن زوجة، ما رأيك؟».

«حسنًا، بما أنك فهمت وضعي!».

أخيرًا، كشف السيد الأستاذ يون عن مكنون قلبه.

«بما أنك فهمت وضعي، وأثرت الموضوع.. الأمر ليس أنني لا أحبذ وجود امرأة معي، حتى وإن كانت تعاني من القمل في رأسها. ولكن في عمري هذا، أين عساي أبحث عن زوجة؟ ألا توافقني الرأي؟!».

«صحيح. بطبيعة الحال، ليس بإمكانك القيام بالأمر بنفسك! وكنت أحسب أن هذا ما ستقوله».

«هذا مأزقي بالضبط. ليس لي حظ مع أقاربي كما تعلم. تشانج-شيك وتشونج-سو، هما أكثر الأوغاد الجاحدين على وجه الأرض! عليَّ إخصائهما! وإن سألتني عن السبب، فكل منهما له من العشيقات اثنتين أو ثلاث، لكنهما يديران ظهرهما لي. لو كان هذان الوغدان بارّين بي، لعثرا لي على امرأة ولو بعين واحدة. النساء كثيرات، ألسن كذلك؟ ولو عثرا لي على امرأة بعين معطوبة وأنف معقوف لجعلتها تنتظرني كما ذكرت، أو تسليني من حين لآخر، أليس كذلك؟ لكن هذان الوغدان، مشغولان جدًا بالثروة وإنفاق ثروتني التي ادخرتها. بالطبع على نفسيهما فقط، لا يفكران في شأني مطلقًا! لذا أخبرني: ألا يستحق هذان الوغدان الإخصاء؟».

عَكَسَ ذلك الانفجار طبيعة السيد الأستاذ يون الماكرة وقدرته على إقناع نفسه بأنه ضحية. في حقيقة الأمر، كان وحيداً لمدة أقل من عام، وبالتحديد، فقط منذ الخريف الماضي. وحتى ذلك الوقت، لم تكن تنقطع عنه المحظيات.

كان يُبقي محظياته في منازل منفصلة حين كان يسكن في القرية. والأكثر من ذلك، أنه كان يحافظ على علاقة قوية بينه وبين الفتيات اللواتي يعملن في الحانات ممن يُرَقْنَ له. وكلما وقعت عيناه على فلاحه ممتلئة، كان يحتفظ بها كخادمة في منزله بحجة تدليك قدميه، ليستمتع بها. وبغض النظر عن تلك الحالات، مرَّ في السنوات العشر التي تلت انتقاله إلى سيئول ما لا يقل عن عشر محظيات، تنوعن بين مغنيات الكيسينج، والتلميذات المزيفات، ومُدَّعيات العُذرية، وما إلى ذلك. وكانت المحظيات تأتي بمختلف الأصناف، لكنه كان يتخلَّص منهن جميعاً بعد أن يمضين معه عامًا واحدًا، وفي بعض الأحيان بضعة أشهر فقط.

بعدها عثر السيد الأستاذ يون على سيدة في منتصف الثلاثينيات من عمرها، مقبولة المظهر. لم تكن تافهة بعكس معظم الفتيات الحديثات، بل هادئة ومتفهمة، ومدبرة منزل جيدة أيضًا. باختصار، كانت اكتشافًا مثاليًا. وكان لديه خطة سرية لإعالتها، بشرط أن تحافظ على صحتها وتبقى مخلصه له ما بقي من حياته. كان ينوي، حين يكون على فراش الموت، أن يمنحها المنزل وقطعة أرض تدرّ عليها إيجار مائة شوال من الأرز، خشية أن تواجه حياة صعبة حين تُترك وحيدة من بعده.

ولكن بعد ذلك، حدث ما كان واثقاً أنه لن يحدث أبداً، على الأقل ليس مع هذه المرأة. لا بُد أنها سمة اكتسبتها عندما كانت تعيش كمحظية، وكما يقولون: العادات السيئة لا يمكن إصلاحها، حتى مع الكلاب. لكنها بطريقةٍ ما، بدأت تعتاد النزاهات السريّة من الباب الخلفي. في النهاية، وجدت نفسها ملتصقة بأحد المقيمين في الحي؛ موظف مبيعات شاب بإحدى شركات التأمين. وفي إحدى الليالي، جمعت كل ممتلكاتها، والأشياء الثمينة من المنزل، وانطلقت في نزهة بلا رجعة مع حبيبها.

كان عليها الاختيار بين أن تتمسك بعجوز لم يبقَ له الكثير ليعيشه فيضيع معه ريعان شبابها، أو أن تلتصق بشابٍ مُفعم بالرجولة فتغنم الحاضر. كان عليها الاختيار بين الاثنين، وحساب الأفضلية والمنافع هو ما يُعتبر أمراً متبايناً، بحسب كل حالة. مع ذلك، لعنها السيد الأستاذ يون لفترة طويلة جداً حين أدرك أنها قد تخلّصت من حظها السعيد، وتمنّى لو سقطت ميتة في أحد حقول الأرز الموحلة.

لم يكن ذلك بسبب شعوره بأدنى شفقة على حظها، بل بسبب الفراغ الذي شعر به، شعر كما لو أنه فقد شيئاً ما، ليس كنزاً، بل شيئاً كإحدى أدواته المفضلة، أو طبقه المفضل. وهكذا، أخذ يُنفس عن حنقه بسببها، من باب الحقد المطلق.

على أي حال، بعد أن ذاق الحياة مع تلك المحظية المقتصدة، لم تعد لديه القدرة على القبول بأي كيسيّنج أو تلميذة مزيفة. أراد فقط نفس النوع من النساء، ونفس النوع من المتعة، كما كان من قبل. ولولا

هذا الذوق المكتسب، لما قضى الأشهر السابقة بمفرده، ولاحتفظ بمحظيتين أو ثلاث على الأقل في هذا الوقت.

أما الشخص الذي كان يتصَبَّب عرقاً في مهمة العثور على المحظية المثالية للسيد الأستاذ يون، بائعاً جَوَّالاً للحلي، في وجهه ندوب من الجُدري، فقد كان رجلاً يراعه السيد الأستاذ يون لسنوات. كلما قَدَّمَ هذا البائع الجَوَّال، بعد بحثٍ طويل، إحدى المُرشَّحات، يجد فيها السيد الأستاذ يون في أغلب الأحيان بعض الأخطاء التي تبرر رفضها، ثم يهاجم المسكين متهمًا إياه بالمماطلة في المهمة المطلوبة. من ناحية أخرى، لم يكن الرجل صبوراً بطبيعته. وبعد مرور عام كامل من العيش وحده دون خلية، باتت ثورته إزاء التأخُّر في العثور على محظية أمراً طبيعياً. وهكذا، لم يجد العجوز قديم الطراز المشاكس سوى توجيه السباب واللعنات لابنه الأكبر تشانج-شيك ويون وحفيده، لفشلهم في العثور له على محظية.

عاش ابنه وحفيده كما يحلو لهم، يتنقلون بين المحظيات على هواهم. كان بإمكانهم العثور بسهولة على امرأة استثنائية لتقديمها لوالدهما (أو جدهم) السيد يون لو كانت قد توفرت لديهم النية الحقيقية، لكنهم كانوا غير مهتمين بالأمر على الإطلاق. ولذلك، لا نعجب لرغبة السيد الأستاذ يون في خَصْصِي هؤلاء الأوغاد.

كلما استدعى السيد الأستاذ يون، ابنه وحفيده إلى المنزل لتوبيخهم بشأن شيء أو آخر، كان دائماً ما يختم محاضراته بنفس اللوم: «أيها العاقين غير المحترمين! تحتفظون لأنفسكم بامرأتين وثلاث،

ليلاً ونهاراً. وأنا رجل عجوز، تتركوني هكذا. أترجون موتي؟ يجب أن أخصيكم!».

اعتاد السيد الأستاذ يون على شن هجمات صريحة ومباشرة. وكانت جلسته الآن مع الشرغوف، وتدقيقه بتلك الطريقة، أمراً هيناً ومحترماً، مقارنةً بمعاملته المعتادة لابنيه وحفيده.

في هذه الأثناء، وبعد أن أحرز الشرغوف تقدماً مرضياً في محاولته المتملقة لإظهار إحسانه، رأى الشرغوف أنه إذا وصل لأسوأ الظروف وبات بحته غير مُجِدِّ، فبإمكانه دائماً استرداد قطعة فاسدة من الخشب القديم. ولكن، بعد أن صارت الأمور مكشوفة الآن، قرر أن يتمادى في إثارة شهية العجوز:

«سأجد من تروق لك في غضون الأيام القليلة المقبلة، أقصد زوجة. صحيح أنني طرحت الفكرة للمرة الأولى هذا المساء، لكن الأمر يشغل ذهني على الدوام، ولقد شرعتُ بالفعل في السؤال بحثاً عن هذا المطلوب في كل مكان!».

«تفكيرك هذا محل تقدير، ولكن بإمكانك التوقف».

كانت تلك كلمات السيد الأستاذ يون، لكن عينيه اللامعة وابتسامة شفثيه وتعبيره الراضي، قالت خلاف ذلك. في الواقع، هذا ما كان يفكر فيه بالفعل. إن الشرغوف رجل له دائرة معارف واسعة، علاوة على كونه لبقاً. باختصار، كان رجلاً يمكن الاعتماد عليه في معالجة الأمر بنجاح. «بالطبع لا! دع الأمر لي!».

«ماذا لو جلبت لي كيسينج أو فتاة في مرحلة الدراسة؟ تلك الأصناف لا تهتم إلا بسرقة أموال الرجال، نوع وقح وسيء الخلق، ممن يذهبن ليلاً ونهاراً لتناول الأكلات الخفيفة بين الوجبات. صنف سيئ وعديم الفائدة».

«لن أجلبُ لك من تلك الأصناف مطلقاً، ولن أرشحُ لك من تلك الأصناف من الأساس. سترى بعينيك. على كل حال، ستكون أرملة ناضجة في حدود الخمسين».

«اللعة عليك! وماذا أفعل بعجوز في الخمسين؟!».

«هاهاها. حسناً، حسناً. قلتُ ذلك لقياس ردة فعلك فحسب. هاهاها..».

«ها! يالك من رجل!».

«هاهاها.. إذن، ما رأيك في امرأة في منتصف الثلاثينيات، أو في من تخطت الأربعين؟!».

«أنت على حق؛ الشابات صغيرات السن لا رجاء منهن. أعلم ذلك».

«حسناً، فهمتُ طلبك. اترك الأمر لي! على ألا تكون صغيرة السن، ولا قبيحة. حسنة الخلق، ترعى المنزل، مقتصدة. على كل حال..».

حينها، سُمع صوت عالٍ من الزقاق الخارجي. كان ذلك صوت الفتى بائع الصحف. الضجيج الذي أحدثه قطع المحادثة بين الرجلين، وساد معه التوتر في أجواء الغرفة مرة أخرى. كان الفتى يُوزع طبعة خاصة، تُنذر بأخبار عاجلة.

كانت الجبهة تتحرك تدريجيًا نحو المناطق الجنوبية الوسطى من الصين، منذ وقوع الهزيمة المحلية وحادثة منشوريا^(١)، فتصاعدت الأمور لحرب صينية يابانية. ومع انتشار الصراع، كانت الصحف تُصدر المزيد من الطباعات بشكل متكرر.

حين يكون الإنذار بكارثة طبيعية ما، مثل الفيضان العادي، فسرعان ما يتلاشى التوتر المفاجئ، حتى مع استمرار رنين جرس بائع الصحف، نظرًا لفقد الناس اهتمامهم بالأمر. لكن هذا الجرس كان يعني خبرًا كارثيًا هائلًا لما يُطلق عليه «الحرب». كانت الطباعات المتلاحقة لأعداد الصحف تنبئ باتساع رقعة المعركة وتفاقم الوضع. لذلك، ومع كل قرع للجرس، يزداد الناس توترًا، وتندفع أعصابهم إلى حافة الهاوية، بمجرد سماع جرس بائع الصحف.

توقف الحديث بين المُضيف وضيفه، بمجرد سماع صوت قرع جرس بائع الصحف، وساد الصمت. كان كلاهما يتصوّر المسار المُحتمل للحرب، بناءً على معرفته بظروف الصراع الجاري.

«ربما سقط هدف آخر في مكان ما، أليس كذلك؟» كسر السيد الأستاذ يون الصمت، حين تراجعت أصداء الجرس أخيرًا.

(١) في عام ١٩٣٠، وكجزء من تفاقم الأزمة الاقتصادية العالمية، قام فصيل من الجيش الياباني بافتعال حادث تفجير عند خطوط السكك الحديدية بمنشوريا، وألصقوا تهمة الحادث بالصين، واستُخدم الحادث لتبرير التوغل العسكري. نتيجة لذلك، قام اليابانيون في العام التالي بتأسيس دولة مانشوكو الدمية (العميلة) التابعة للإمبراطورية اليابانية، مما أدى لاحتجاج الصين لدى عصبة الأمم. اقترحت بعثة تحقيق ليتون حلًا وسطًا، لكن اليابان رفضت الوساطة وانسحبت من عصبة الأمم عام ١٩٣٣.

«في الغالب. ربما يكون الوضع كذلك فعلاً».

«سمعتُ أن الصين ليست خصماً مُكافئاً. صدقاً، كيف يجروئون على مقاومة اليابان؟ كيف يجروئون على محاربة أكبر قوة في العالم؟!»
«لا شك في ذلك! الجنود الصينيون فظيعون. عندما سمعوا صوت إطلاق النار أمامهم، ألقوا بنادقهم وسيوفهم وهربوا للنجاة بحياتهم، أتعلم هذا؟ لهذا السبب لديهم نوعان من الجنود. بعضهم يُحشدون في المقدمة للقتال، والبعض الآخر في المؤخرة. والجزء الأخير مهمتهم توجيه فوهة بنادقهم نحو من هم في المقدمة لمنعهم من الفرار. ويتم إطلاق النار على الفارين من مسافة قريبة!».

«أبناء العاهرات، لماذا يقاتلون أصلاً بحق الجحيم، ما دام يتعيّن عليهم تحمّل ظروف كهذه؟ وأخبروني هذه المرة أيضاً أن القتال اندلع لأن مخالبتهم كانت في اليابان، هل هذا صحيح؟»
«حقيقة؛ إنهم حمقى ملاعين!».

«أما كان من الأفضل لهم لو أنهم تفرّغوا لبيع الفطائر الساخنة، أو التحرير الصناعي. من العبث أن يقاتلوا!».

«سمعتُ أنهم اختاروا الحرب لأنهم، ورغم عجزهم، لديهم قوى أخرى يمكنهم الاعتماد عليها».

«يعتمدون عليها؟».

«أقصد، يعتمدون على روسيا».

«روسيا؟».

«هذا صحيح. والصين ما كانت لتتصرف على هذا النحو لو لم تستمر روسيا في الهمس في أذن تشانج-كيه سوك قائلة «اسمع، لماذا لا تحاول مهاجمة اليابان؟ ألا تريد أيها الأبله اللعين؟ هل أنت مرتعد من الإقدام على هذه الخطوة؟! هيا، قاتل، قاتل! بمجرد أن تبدأ، سندعمك، حسنًا؟ لا تقلق بشأن أي شيء. فقط اذهب وقاتلهم. نأمرك أن تقاتلهم، هذا كل ما عليك فعله. ستُجني الخير من تلك الخطوة». هكذا كانت روسيا تعرض الصينيين على القتال!«.

«هذا صحيح، إذن كانت روسيا السبب! ولكن ما الذي يدفعها لذلك؟ هل السبب خسارتهم في الحرب اليابانية الروسية؟ هل السبب ذلك الجرح القديم، فأرادوا تصفية حسابات قديمة؟!«.

«كلا، ليس الأمر كذلك. فعلت روسيا ذلك لأن لديها نية لابتلاع الصين!«.

«نية لابتلاع الصين؟ لو كان هذا ما تريده روسيا، فلم لا تقاتل الصين بدلاً من ذلك؟!«.

«أنت لا تفهم الأمر يا سيدي! الروس، - لا أدري ماذا يطلقون عليها؟ - آه، تذكرت؛ جماعة اشتراكية!«.

«نعم، صحيح. سمعتُ الناس يقولون إن هؤلاء الروس الأوغاد نهبوا كل شيء من الأثرياء، ووزَّعوا ثرواتهم على الفلاحين والعمال الملاعين، أليس هذا صحيحًا؟«.

«بالضبط!«.

«آه! هراء...!».

«لكن روسيا لا تريد فعل الأمر وحدها، والآن تحاول جرّ الصين
لفعل الأمر نفسه».

«الصين؟ يريدون تحويل الصين للنظام الاشتراكي، ليصبحوا
عصابة من قُطّاع الطرق أيضًا؟! لا يهمني ما يُطلق عليهم، لكنني أعلم من
تجربة سابقة أن هؤلاء الاشتراكيين مجرد حفنة من قُطّاع الطرق. ربما
لم تسمع بهم، ولكن قديمًا، في جوسون أيضًا، كانت هناك مجموعة
يُطلق عليها «هوال-بين-دانج»^(١). نفس نوعية أولئك الأوغاد، ماذا
تطلقون عليهم؟ الاشتراكيون؟!».

«سمعتُ عنهم يا سيدي».

«إذن ستفهم قصدي. هوال-بين-دانج لم يكونوا شيئًا على
الإطلاق. مجرد حفنة من اللصوص. ليسوا أكثر من مجرد عصابة قُطّاع
طرق، هل تفهم ذلك؟!».

«صحيح، يُروّجون لسرقة الفقير لممتلكات الغني والاستحواذ
عليها!».

«صحيح، وذلك هو الجنون بعينه. هؤلاء الأوغاد، يصابون بالخبل
فقط لأنهم فقراء. ولكن ماذا كنتَ تقول؟ هل سمعت أن هؤلاء الأوغاد
الروس يحاولون تحويل الصينيين إلى مجموعة من قُطّاع الطرق مثلهم؟!».

(١) أقوى فرقة بين مجموعات جيش الفلاحين الذي تكوّن في الجزء الجنوبي من كوريا بين عامي

١٨٩٩ و ١٩٠٤.

«بالضبط. والأمر لا يقتصر على الصين فحسب؛ إنهم يريدون تحويل العالم بأسره!». .

«ماذا، هل تعني جوسون أيضًا؟! انتظر لحظة، كنت أظن أن هؤلاء الأوغاد، حتى آخر وغد اشتراكي، قد ألقي القبض عليهم وُرُجَّ بهم في السجن. ألم ينتهي ذلك الأمر بالفعل؟».

«ولكن، إذا أصبحت الصين مثل روسيا، فلن يأتي منها أي خير. لن يؤثر ذلك على كوريا فحسب، بل على آسيا بأكملها!». .

«معك حق! أعني أن كوريا تقع بجوار الصين؛ بالتأكيد سوف يمسننا الأمر! هذا لن يفيدنا في شيء، لن يفيدنا على الإطلاق. اسمع، يمكن للآخرين الاعتناء بأنفسهم، لكن ماذا عني؟ ماذا سيحدث لي؟! إنها مشكلة كبيرة. لا أعرف ماذا سأفعل. وحتى اليوم، إن الصدمات التي خضتها مع تلك العصابات قبل سنوات مضت تجعلني أرعد. والآن، هل عليّ خَوْض كل هذا من جديد؟ أبدًا، على جثتي! كيف تجرؤون أيها الأوغاد؟ اللعنة عليكم، إلى الجحيم!». .

صرخ السيد الأستاذ يون الهائج بكل قوته، كما لو كان يرى الأعداء أمامه مباشرة.

«ولذا علينا أن...».

«اخبرني، من يمنعهم أن يصبحوا أثرياء؟ مَنْ سرق أيًا من ممتلكاتهم؟ لماذا يستمر هؤلاء الأوغاد في الصراخ والهذيان؟ أقول إن كل رجل يعيش بحسب نصيبه الذي ولد به: البعض أغنياء، والبعض

الآخر فقراء. كل شيء تحدده السماء؛ مصير الميلاد. فقط لأنهم فقراء والآخرين أغنياء، يسرقون من الغرباء لملء بطونهم؟ هل تجد هذا منطقياً؟ أجبني! يجب القبض على كل هؤلاء الأوغاد وقطع رؤوسهم! ماذا سأفعل لو عاد العالم إلى ما كان عليه في الماضي؟! لا أعرف حقاً!». «لا داعي للقلق بشأن ذلك يا سيدي».

«لست مضطراً إلى القلق؟».

«بالتأكيد لا!».

«حسناً، هذا مُطمئن، ولكن...».

«الهجوم الحالي على الصين يهدف تحديداً لمنع ذلك. كما ترى، تشانج-كيه-سوك لا يعرف أنه يحفر قبره بنفسه. لقد خدعته حيل روسيا، وهو يتجه نحو السقوط. كما قلت، سينتهي بهم الأمر جميعاً ليصبحوا نفس العصابة».

«بالضبط، سينالهم ما هو أكثر من السقوط والفشل؛ ستصبح الصين مثل كوريا تماماً، حين كانت العصابات القديمة في حالة هياج».

«بعبارة أخرى، الصين تتجه نحو حالة هياج عمياء بعد الخدعة الصغيرة التي أوقعها فيها روسيا. إذا تُرك هذا الجنون مستمراً، لن يؤدي إلى سقوط الصين فحسب، بل سيهدد آسيا بأكملها، ولا بُدَّ من وقف الأمر. لذا تدخلت اليابان لإعادة الصين إلى رشدها، صفعتها على وجهها حتى تستيقظ. بإمكانك أن تعتبر أن هذا ما تدور حوله هذه الحرب يا سيدي!».

«هاهاهاها! جيد، جيد جداً! الآن أفهم كل شيء عن هذه المعركة، أصبح الأمر منطقيًا! هذا ما يجب عمله فعلاً! هذا ما يجب عمله، لا شك في ذلك! وهذه المرة، لا تدع هؤلاء الأوغاد يفلتون بصفعة، بل يجب أن يُضربوا حتى الموت. اضربوهم ضربًا مبرحًا، حتى لا نرى ذلك العمل الشرير مرة أخرى. اضربوهم حتى الموت. ليست فكرة سيئة أن تُكسر أرجلهم. حسنًا، يجب أن أقول إن هذا رائع. لا يوجد نهب وسلب في هذه الحرب، كما تقول، وهي ليست مثل الحرب العادية على الإطلاق؟!».

«مختلفة تمامًا!».

«كم هذا رائع! حسنًا، هل هناك من يجد الحياة محبطة للغاية، فيبدو له مثل هذا التغيير موضع ترحيب؟! انظر حولك. تم إرسال الكثير من المسؤولين الحكوميين ورجال الشرطة إلى بلدنا للقضاء على تلك العصابات من الشياطين. وبفضلهم جميعًا، يمكننا نحن الأشخاص العاديون أن نعيش بسلام! ومرة أخرى، ستحمينا تلك الحرب من هؤلاء الشياطين الاشتراكيين، فما الذي يستحق إعجابنا وترحيبنا أكثر مما تفعله اليابان من أجلنا؟! حقًا، إنه لأمر جدير بالثناء. نحن ممتنون حقًا. بالمناسبة، أنت متأكد أن اليابان ستفوز في المعركة، لا شك في ذلك، هاه؟!».

«لا شك يا سيدي! اليابان سوف تتصدر، لا شك في ذلك!».

«هذا ما اعتقدته أيضًا. نعم، هذا ما ظننته. يقولون إن اليابان أغنى وأقوى دولة في العالم كله، وهذا مريح!».

عاد الشرغوف الذي كان مستغرقاً في المحادثة إلى رشده، وأخرج ساعة جيبه للتحقق من الوقت، ثم غادر على عجل قائلاً إن لديه عمل آخر عليه أن يحضره. في طريقه للخروج، لم ينسَ أن يُطمئن السيد الأستاذ يون بأنه سيضع في اعتباره الأمر الذي تحدثنا فيه، وأنه سيعود في أي وقت آخر لتقديم مرشحة مُحتملة.

الفصل التاسع

التوفير من أجل التوفير نفسه

تمدّد السيد الأستاذ يون على السرير المريح، المفروش على أرض الغرفة، بعد أن غادر الشرغوف. أضواء الغرفة بمصباح كهربائي لا يتعدى ثلاثة عشرة واط، والتي كانت شاغرة إلا من العجوز الذي اشتعل رأسه شيئاً، وبدا في هيئته تلك بداخل الغرفة الشاغرة كرية المظهر، وإن كان بدا في الوقت ذاته كأنه جزء من أطلال منزل خرب.

تمدّد السيد الأستاذ يون هناك وقد أصابه ملل شديد، ولم يستطع أن يظل على حاله تلك لفترة أطول. تمنى لو حضرت تشون-شيم في أسرع وقت. قالت إنها ستتناول العشاء ثم تحضر سريعاً. لا بُدَّ أن تحضر لا محالة. لكن تلك اللعوب كثيراً ما كانت تتلكأ وتفتعل حركات كالثعلب الماكر، وكان هذا يثير حنقه منها.

كان ينتظر ديه-بوك كذلك، فقد كان يريد أن يعرف كيف سار الأمر الذي أرسله فيه، وقد قاربت الساعة الثامنة مساءً، وعليه أن يُشغل له المذياع ويضبطه على القناة التي يستمع لها. كان يشعر بالجوع بعض

الشيء، إذ تناول القليل وقت العشاء ولم يتسنَّ له أن يكمل وجبته. في مثل هذه الأوقات، لو أن ابنته أو كُتَّبه لحفديده دخلن عليه ببعض الطعام وحشنته على الأكل، لأكل وهو يتصنَّع عدم قدرته على ردّ طلبهن. ولكن لم تفعل واحدة منهن ذلك، فازداد حنقه.

فكر أن يبعث سام-نام ليشتري له طبقًا من مكرونة الأودنج اليابانية الساخنة، سال لعبه لمجرد التفكير في الأمر، لكنه تراجع خوفًا أن يراه أحد الأولاد بالمنزل وهو يأكل.

كان السيد الأستاذ يون يخمن من سيأتي أولاً. في النهاية، كان ديه-بوك أول الحاضرين.

كان ديه-بوك يرتدي سروالًا كاكي اللون، مع سترة سوداء تلتف حول ياقتها المهترئة ربطة عنق سوداء، ويتعلل حذاءً رياضيًا، ويعتمر قبعة من القش مرَّ عليها أكثر من أربع سنوات، وقد لفحت الشمس وجهه النحيل غائر الوجنتين. لم تكن هيئته هذه في العموم توحى إطلاقًا بمنصبه كشخص يعمل مدير أعمال وسكرتيرًا خاصًا وكاتبًا، وغير ذلك، لمليونير فائق الثراء. كانت هيئته أقرب إلى الصورة النمطية لموظف فقير في أحد المكاتب الحكومية الصغيرة المنتشرة في أنحاء البلاد، وقد خرج في مهمة عمل وعاد أخيرًا إلى المنزل بعد أن أنهكه التعب والجوع. لا يعني ذلك أن ديه-بوك لم يسبق له العمل كموظف حكومي.

دخل ديه-بوك الغرفة، وقبل أن يتمكن حتى من إلقاء التحية، نهض السيد الأستاذ يون سريعًا وسأله:

«ماذا فعلت؟».

لم يكن هناك ما يدعو السيد الأستاذ يون إلى القلق على الإطلاق من نتيجة المهمة التي أرسله في شأنها، فهو لم يقم بشيء سوى ملاحقة المُحضّر الذي أتى لتنفيذ أمر الحجز المؤقت على أحد ممتلكات الدائنين المتأخرين عن السداد للسيد الأستاذ يون. لكن طبيعة ذلك الأخير المتعجلة، حالت دون انتظاره للحظات قصيرة، حتى يخبره ديه-بوك بما لديه.

«نعم، تم حلُّ كل الأمور».

جلس ديه-بوك في هدوء منتظرًا رد السيد الأستاذ يون؛ كان ذلك نتيجة للتدريب طويل المدى على كيفية التعامل مع سيده. بدلًا من أن يقول رأيّه، كان ينتظر حتى يخبره سيده بما يرغب في فعله.

«علام وقع الحجز؟».

«كان هناك خمسين شوال من الأرز بالفعل».

«أشولة أرز! قمنا بالتصرف الصحيح في الوقت المناسب إذن. هل تأكدت من الحجز عليها؟».

«نعم، نعم!».

«أحسنَت صنعًا. والآن لم يتبقَّ سوى أن نشترى هذا الأرز بأنفسنا بسعر ملائم في المزاد».

«بالفعل يا سيدي، لقد قمت بالتحضير لذلك».

بالطبع، لم يكن ديه-بوك بالخدام العادي، وما كان ليستهتر في

تنفيذ أمر السيد الأستاذ يون. كان هدفه واضحًا، أن يضرب عصفورين بحجر واحد. فبعد أن يقع الحجز على ممتلكات الدائن، وتنتهي مدة السماح الممنوحة له، ستعرض الممتلكات في مزاد عام، وحينها سيشتريها السيد الأستاذ يون بسعر زهيد، فيحقق ربحًا إضافيًا. كان هذا الربح السهل حلو المذاق، حتى أن السيد الأستاذ يون ما كان يستطيع أن يمتنع عنه إن واثته الفرصة.

«هذا رائع، تم كل شيء على أكمل ما يرام. حسنًا، لم تنس أن تدعو ذلك الموظف على كأس من الخمر؟».

«نعم، اشتريتُ له خمراً بعشرة وون تقريباً. ولكن، لا شك أننا سنسترد ذلك المبلغ وأكثر».

«أحسنت صنعًا في هذا الأمر كذلك. لا بُدَّ أن تنفق على الطعام والشراب في هذا العصر، لتحصل على ما ترغب فيه بسهولة. اسرع الآن وعُدْ إلى غرفتك وتناول عشائك. لا بُدَّ أنك جائع. أمر آخر. لا، حسنًا، اذهب الآن وكُل، وستحدث لاحقًا».

كان السيد الأستاذ يون يرغب في مناقشة ديه-بوك في أمر شروط الصك المصرفي المُجمَّد، الذي عرضه عليه الشرغوف الوسيط في المعاملات المالية. ولكن ذلك الأخير أخبره أن الأمر غير عاجل، كما أن ديه-بوك بدا جائعًا ومتعبًا، فأثر تأجيل مناقشة الموضوع لوقتٍ لاحق.

كان السيد الأستاذ يون مهتمًا برعاية ديه-بوك، بغض النظر عن المصلحة المالية الصرفة. كان الرجل ثروة بالنسبة للسيد الأستاذ يون، بل إنه امتداد له نفسه. اسمه بالكامل جون ديه-بوك، وعلى عكس اسمه

الذي يعني «الحظ العظيم»، لم يحز ديه-بوك في حياته حتى الآن على أي شكل من أشكال الحظ، بل ربما كان النقيض من ذلك تمامًا.

وُلِدَ ديه-بوك في نفس مسقط رأس السيد الأستاذ يون. عمل موظفًا حكوميًّا بأحد المكاتب الإدارية الصغيرة المنتشرة بأرجاء البلاد لخمسة أعوام، أربعة منها قضاها موظفًا في قسم الحسابات. لطالما كان شخصًا مُجِدًّا وحريصًا ودقيقًا في عمله، ولذلك أعجب به السيد الأستاذ يون. وعندما قرر السيد الأستاذ يون الانتقال إلى سيئول، اصطحبه معه ضمن متاعه الذي انتقاه، ووظَّفه كمحاسب وكاتب ومُخَلِّص لمختلف الأعمال، وغير ذلك من المهام المتعددة التي عهد له بها. وعلى ذلك الحال، مرت عشرة أعوام وديه-بوك يعمل لدى السيد الأستاذ يون دون تذمُّر، وكأنه قد فُصِّلَ من أجل السيد الأستاذ يون تحديدًا. دقيق، وحريص، وماهر في الأعمال التجارية. وبالتأكيد، لا يمكن أن يقع في أي خطأ.

كانت له قدرة مُميَّزة على توفير المال، وكان شخصًا حريصًا بالفعل. على سبيل المثال، إذا أراد أن يشتري ثلاث قطع من قوالب التوفو، ليجهزها كأطباقٍ جانبية لسيدة، فسيشتري قطعتين ونصف قطعة فقط، لتكفي يومًا واحدًا. ولأن ما من متجر في سيئول بأكملها يبيع نصف قطعة من قوالب التوفو، سينتهي به الأمر بشراء قطعتين فقط. ليس قراره هذا هدفًا في حد ذاته، بل إنه كان يجد متعته في العثور على أفضل الطرق للتوفير. لا يهتم مال مَنْ ينفقه، ولا لمن يدبر النفقات. فقط يشعر بمتعة عظيمة حين يشتري قطعتين من قوالب التوفو، لأنه لم

يمكن من شراء قطعتين ونصف قطعة بدلاً من ثلاث قطع، أو عندما ينظر إلى الخمسة تشون التي وفّرها، بعد أن ذهب سيرًا على الأقدام في إحدى المهام، التي أرسله السيد الأستاذ يون لقضائها خارج أسوار المدينة، ولم يركب سوى في طريق عودته إلى المنزل. ولكن هل كان يأخذ هو الخمسة تشون التي وفّرها؟ بالطبع لا، لم تكن هذه الأموال تدخل لجيبه.

كان شخصًا له هواية مميزة، وتنطبق عليه كل صفات محبي الهوايات الخاصة. هناك من يستمتعون بجمع الكتب القديمة النادرة، يجمعون أنواع الكتب التي لا يهتم بها أحد آخر. يستمتع آخرون بزراعة النباتات، يضعون جميع أنواع النباتات المزهرة في أصص صغيرة ويولونها عناية فائقة، مستخدمين في ذلك فرشاة صغيرة ذات رأس مشعر لتنفض الغبار عن أوراقها. مثل هذه الهوايات قد تبدو لطيفة للآخرين، وإن كانت عديمة الفائدة في نفس الوقت. ولكن بالنسبة لمن يمارسونها، لا يوجد شيء آخر على هذه الأرض يمنحهم الفرح والسرور أكثر منها. وكذلك بالضبط، كان إنفاق المال موهبة وهواية لدى ديه-بوك. الحد من النفقات لما هو ضروري للغاية، مهارة نمت ووصلت إلى أقصى درجات الكمال لديه. وبذلك، أتقن فنون الادخار والتضحية والمساومة، وأصبحت هذه المهارة في حد ذاتها، هواية يستمتع بها ويجتهد في ممارستها.

أما في العلاقة بين ديه-بوك والسيد الأستاذ يون، ليس هناك ما يدعى «هذا لي وهذا لك». كان كل شيء ملك السيد الأستاذ يون، ولا

شيء لديه-بوك. والسيد الأستاذ يون بالطبع لم يكن يحدد مبلغاً من المال كأجر شهري له على أي حال، بل طلب منه أن يأخذ مصروفاً من ماله كما يرغب. كان بإمكانه أن يأخذ مليون وون وينفقها إن أراد. ولكن كان كل ما ينفقه في الشهر هو مبلغ ضئيل وثابت؛ ما يحتاجه لشراء ثلاثين علبة تبغ من النوع المحلي «تانج-بونج» (وفي شهور الواحد وثلاثين يوماً، كان يدّخر من باقي الشهر ما سيُدخّنه في اليوم الأخير)، وخمسة وعشرين تشون ينفقها على قص شعره، إذ كان يحلقه تماماً، وسبعة تشون على الاغتسال في الحمام العام. كانت هذه نفقاته العادية، مع بعض النفقات الطارئة مثل شراء الملابس ذات الجودة المنخفضة، ونفقات المواصلات التي لا تتخطى عشرة تشون في الشهر.

كان ناجحاً حقاً في توفير النفقات الخاصة بمنزل السيد الأستاذ يون وأعماله التجارية. وإلى جانب ذلك أيضاً، كان ناجحاً في توفير النفقات البسيطة الخاصة به. على سبيل المثال، كان يغتسل في الحمام العام مرة واحدة في الشهر، وهي عادة لا يتركها، وينفق سبعة تشون من أجل ذلك. كان حريصاً ألا يتجاوز السبعة تشون، ولتحقيق ذلك لم يكن يستخدم الصابون، ولم يشتر منشفة جديدة، حتى ولو اهترأت منشفته. لكنه بدأ منذ فترة معينة في تأخير موعد اغتساله الشهري في الحمام العام إلى شهر وخمسة أيام، أي أنه كان يستحم كل خمسة وثلاثين يوماً. وبهذا، ولأنه تأخر خمسة أيام كل شهر، يكون قد اغتسل في الحمام العام ست مرات في كل سبعة أشهر، بدلاً من سبع مرات، ونجح في توفير سبعة تشون من نفقات الاغتسال الشهري. وحينها، يصبح في قمة سعادته لتحقيق

هذا الإنجاز. وبالفعل كان يستحق التقدير على هذه المهارة الإلهية.

أما والدا ديه-بوك اللذان يقطنان في بلدة ومسقط رأس السيد الأستاذ يون، فقد وهبهما ذلك الأخير قطعة من الأرض للانتفاع بها، وبذلك لم ترهقهما قسوة الحياة. وكانت زوجة ديه-بوك ترعى حمويها في البلدة، حتى توفيت قبل سنوات. نعم، ديه-بوك أرمل بالفعل. كان يأسى على زوجته المتوفاة، وفي نفس الوقت يرثي لحال والديه الوحيدين في البلدة، كما لم ينس أن يتحسّر على حاله كأرمل. لكنه اعتبر كل ذلك حظاً مُؤَجَّلاً. بالطبع، لا علم لنا إن كان ذلك الحظ سيصله أم لا، ولكن على أي حال كان أمله في الحياة أن يحصل على ذلك الحظ المُؤَجَّل.

من ناحية أخرى، كان رجلاً بلا زوجة، بينما في المنزل امرأة بلا زوج، هي سيدة سيئول. كانت الظروف سانحة لاجتماع رجل فقد زوجته بامرأة فقدت زوجها. ولكنه بالطبع لم يكن من أولئك الرجال الذين يقتنصون من الظروف حجة لتحقيق أغراضهم. وبذلك، لم يكن أحد يعرف إن كان سيحصل على حظه المُؤَجَّل، أم لا. علاوة على ذلك، كانت هناك عدة عوائق، أولها أن يوافق الطرفان (أو بالأحرى، الطرف الآخر) على الأمر. والعائق الثاني، هو مباركة السيد الأستاذ يون لهذا الزواج. أو أن يموت فيزول بموته العائق. كان التخلص من هذه العوائق أمراً في علم الغيب. وفي الوقت نفسه، لم تكن بالعوائق السهلة، التي يمكن تخطيها عنوة.

وحتى وإن منعهما السيد الأستاذ يون، رغم اتفاقهما على العيش معاً، فإن إيرادات الأرض التي تبلغ الخمسمائة شوال من الأرز، والتي

سترثها سيدة سيئول، لن تؤول لها. سيصبح هذا الأمر بالنسبة لديه-بوك تحقيقاً لنتيجة بعيدة عن الهدف الأصلي، وبذلك يصبح الأمر بلا معنى. ديه-بوك في الأصل ليس من الرجال الذين يقعون في حب النساء، ولم يكن يرى في الأمر حاجةً ملحة حتى. فضلاً عن ذلك، من المستبعد أن يجد سيدة سيئول بعنقها الأوقص ووجهها المسطح وأنفها الأفطس، مُغريةً ومرغوبة. كل ما رآه فيها أنها مناسبة لوضعه كأرمل، وهي أرملة تأتي مع أرض تحقق إيراداً يُقدَّر بخمسمائة شوال من الأرز.

أما أكثر ما يههمه الآن، هو أن تكين له سيدة سيئول مشاعر من نوع ما. وإن كانت تكين له مشاعر بالفعل، فهذه خطوة ناجحة على الطريق المؤدي للهدف، وهذا كفيل بأن يُسعدّه بلا شك. ولكن، حتى لو مالت له سيدة سيئول وأعلنت أنها لا تستطيع العيش من دونه، بدون موافقة السيد الأستاذ يون ستصبح سيدة سيئول مُجرّدة من الأرض التي تحقق إيرادات تقدر بخمسمائة شوال من الأرز. وحينها، لن يقبل ديه-بوك مشاعرها على الإطلاق.

على أي حال، لا بُد أن السيد الأستاذ يون سيترك له عندما يموت بضعة آلاف وون من ثروته، وكان من الأجدر له أن يعيش بما يلائم وضعه الحالي، بدلاً من المخاطرة فيفقد ما يملكه حتى.

«وصل السيد جون، حَضُّروا له طاولة العشاء».

وقف سام-نام بمدخل الغرفة الداخلية، وسأل بصوت عال:

«هل حضر السيد جون بالفعل؟».

ردت عليه سيدة سيئول بترحاب. كانت تتحدث في الغرفة مع كيونج-سون وتيه-شيك في أمر ما، ثم انتقلت إلى المطبخ لتحضر العشاء. سواء أكان السيد جون أو غيره، لم يكن لدى سيدة سيئول سبباً يدفعها لتحضير العشاء لديه-بوك. وحتى لو توجب عليها ذلك، يمكنها بسهولة أن تأمر سام-وول، أو تطلب من زوجتي أبناء أخويها أن يُحضرن العشاء. كان من الغريب رؤيتها وهي تسرع إلى المطبخ الذي لم تكن تقربه على الإطلاق. شهد كيونج-سون على المنظر، وحتى بعد أن تركت سيدة سيئول الغرفة، ظل يحرك رأسه لأعلى وأسفل، ويلعق شفثيه بلسانه. لم تنتبه سيدة سيئول أن كيونج-سون يتابع تحركاتها، بل لم تعتقد حتى أن تصرفها يبدو غريباً.

إذن، هل تكين سيدة سيئول بالفعل مشاعر ما تجاه ديه-بوك؟ في حقيقة الأمر، الإجابة عن هذا السؤال صعبة ومحيرة، فهو أمر لا يزال غامضاً، غير مؤكد بعد.

هناك مثل شعبي يقول: إن كان لسانك قصيراً، ابصق بعيداً. كانت سيدة سيئول ترى نفسها ابنة عائلة نبيلة وأرملة ابن عائلة نبيلة، كما أن دخل والدها السنوي يُقدَّر بعشرة آلاف شوال من الأرز، وسترث منه أرضاً تُقدَّر إيراداتها بخمسمائة شوال من الأرز. لم تفكر قط أن تضع نفسها مع ديه-بوك العامل في المنزل في نفس المستوى. ولكن حتى وإن فكرت أن نصيها قد يتغير على يد ديه-بوك، وأن العلاقة بينهما قد تتحول إلى شيء آخر، فهي لن ترفض الفكرة تماماً، ولكن الأمر ليس أنها مُعجبة بشخصيته، بل لأنه ذكر فحسب، ليس امرأة تلفح ثوباً طويلاً على جسدها.

قد يتساءل البعض ما إذا كان هذا سبب موافقة سيدة سيئول المُحتملة على ديه-بوك؛ لمَ هو بالذات من بين كل الرجال الآخرين من حولها، وهو لا يملأ عينها؟ سيدة سيئول ليست بالعدراء التي سيتاح لها الزواج من أي شخص يعجبها أو تعجبه، وليست امرأة عصرية مُتشرِّبة لعلوم العصر الحديث، ولمفاهيم المجتمع الحديثة كذلك. لم تكن سوى أرملة من الطراز القديم عن حق. كانت مدركة لحقيقة أن هناك بشر في هذا العالم، لكنها لم تكن تعي بالفعل أن هناك رجال بالخارج. لم تكن ذات فضيلة ثابتة لا تتزعزع كشجر الخيزران عميق الجذور، بل كانت كالحصان مُغطَّى العينين، يجر من خلفه عربة، وقد دُرِّب على الأمر تدريجاً صارماً، حتى أصبح جر العربة والركض فطرة وُلِدَ بها.

لم تكن تعرف السبب، لكنها عرفت بكل بساطة ووضوح أنه ليس من المفترض أن يكون للأرملة زوج ثانٍ.

إذن، هل ستلتزم بفطرتها التي دُرِّبَت عليها حين تُضطر إلى اتخاذ قرار حاسم في ما يتعلق بهذا الأمر مستقبلاً؟ هذا سؤال لا نعرف إجابته بعد. هي لم تعتزم بعد، حتى هذه اللحظة، أن تتزوج مرة أخرى. أو بالأحرى، لا تملك الشجاعة لذلك، فالزواج مجدداً لا يزال من المحرمات بالنسبة لها. لا يعني ذلك أنها لم تفكر في الأمر، بما هو متاح لديها من قدرات عقلية ومعرفة سطحية. لكنها مهما فكرت في الأمر، وجدت أنه جريمة عظيمة، وليس لها عذر. إذن، أليس إظهار أنها تَكِنّ مشاعر غير عادية لديه-بوك أمراً لا فائدة منه؟ ولكننا في الحقيقة، قد نجد لأي شيء في النهاية عذراً وسبباً.

لم تكن الأرامل جنسًا منفردًا مختلف النوع، وبالتالي لديهن أيضًا غريزة لا يستطعن تجاهلها، هي شوقهن للجنس الآخر. وسيدة سيئول هي الأخرى تشعر برغبة ملحّة للجنس الآخر. أصبحت الآن في التاسعة والعشرين، وقبل اثنتي عشرة سنة أمضت عامًا واحدًا فقط مع زوجها، ثم توفي فأصبحت أرملة طيلة تلك المدة. ومع اقترابها من عمر الثلاثين، زادت حاجتها الملحة للجنس الآخر. ومع افتقادها للتدرب على الانضباط الجنسي كالذي يقوم به الرهبان، من خلال العادات المفروضة عليها كأرملة، لم تكن كافية لتعيق رغبتها القوية المتمثلة في اندفاع الهرمونات. لذلك، كانت تفتقد الجنس الآخر بشكل طبيعي، وكنوع من ردود الفعل الجسدية، ولم يكن بوسعها أن تمنع أي تقارب مع الجنس الآخر، وإن كان ذلك من جانبها بشكل لا شعوري.

من ناحية أخرى، كان عالمها محصورًا بشكل كامل داخل جدران هذا المنزل المُسيّج، وكان ديه-بوك هو الرجل الوحيد الموجود في عالمها الضيق هذا. وبمجرد ذكر اسمه، كان جسدها يطلق استجابة لا إرادية أسرع من عقلها، كاشفًا عن حماسها تجاهه. وأصبحت تلك الاستجابة، مع مرور الوقت، أكثر وضوحًا في أعين الآخرين.

غير أن استجابتها الجسدية لم تكن وحدها كافية لإحداث أي تقدّم يُذكر، ولم تكن سوى مكونات مادية لاحتمالات مستقبلية. كما أن من الصعب قياس مشاعرها ورغبتها الفعلية في ما يتعلق بعلاقتها. ولذلك، لم يزل الوقت مبكرًا جدًّا على تقديم نخب المباركة لديه-بوك.

ومن ناحية أخرى، لو كان عند سام-نام ذرة عقل أو حس مرهف

بعض الشيء، لألقى ببعض التلميحات لديه- بوك وهو يُخرج صينية الطعام بنفسه، كأن يخبره كيف سارعت سيدة سيئول إلى المطبخ وأعدت طعامه بنفسها، وهو أمر لم تفعله لأحد من قبل، وكيف انتقت أفضل الأطباق الجانبية وسَخَّنت الطعام، وغير ذلك مما قد يدفع ديه- بوك للقيام بحركة مُشجعة قد تُغيّر من مسار الأمور. لكن سام-نام لم يكن بالشخص الذي قد يستشعر الأمور التي تخصه، فما بالك بما يخص الآخرين؟!

لاحظ ديه-بوك أن وجبة عشائه كانت أفخم من المعتاد، لكنه لم يمعن النظر في الأمر أكثر من ذلك. غير أن كيونج-سون كان فتى لماحاً وذكياً، فاكشف التغيّر الذي طرأ على عمته الكبرى، وكان يشاور عقله في أن يتلاعب بهما في هذا الشأن، وأعتقد في الوقت نفسه أن الأمر ربما يتطور بينهما في النهاية، ولكن قد لا يحدث هذا بالضرورة في الواقع.

الفصل العاشر

قصة بلا عنوان

تصاعدت الأنغام الكورية من إذاعة كيونج-سونج، بمجرد أن ضغط ديه-بوك على زر المذياع القابع على الطاولة المجاورة للسيد الأستاذ يون.

«تanj جي جي، جنج جنججي تانج جننج دانج...»، كانت أنغام أغنية «جبل جان-يونج»^(١).

تداخلت النغمات الحزينة للمزمار الكوري التقليدي، المصنوع من الخيزران، مع صوت القانون الحاد. وفي المنتصف بينهما، كان صوت آلة العود الكورية الرفيع، يقود النغمات الباردة بالمقطوعة.

«دانج دانج دونج، دانج دونج دانج دانج، جنججي، دانج دانج دونج دانج، دانج تانج».

زاد حماس السيد الأستاذ يون مع اقتراب انتهاء الفصل الأول من المقطوعة، وأخذ يربت على مؤخرته وهو مستلقٍ على جانبه ينفث دخان التبغ، ثم قال: «رائع!».

(١) مقطوعة موسيقية تراثية من أربعة فصول، وتستخدم فيها الآلات الموسيقية التراثية كآلة القانون الكوري، وغيرها من الآلات الأخرى.

يقال إن الفن راق ورائع بشكلٍ عام، غير أنه يختلف عن الغناء الشعبي. ولكن، مَنْ يضع هذه القوانين؟! إذا ما أعجب السيد الأستاذ يون بما يسمعه، فهو جميل على أي حال. ورغم افتقاده للمعرفة، كان شغوفًا بالموسيقى، وليس هذا بالغريب على الإطلاق، فقد كان قائدًا لثلة من النبلاء في أثناء عمله كأستاذ.

اصطدم ديه-بوك بتشون-شيم أثناء توجهه إلى غرفته بعد أن أدار المذباغ، فدخلت وهي تضحك ببشاشة.

«ادخلي بسرعة. أيتها اللعوب! لماذا تأخرتِ هكذا؟».

كان السيد الأستاذ يون سعيدًا بعودتها. وحتى إن صَبَّ عليها السباب، كانت تتلقاه دون امتعاض.

«ولماذا أسرع بالعودة؟ آتي حين أرغب وأرحل حين أرغب. نحن في عصر الحرية!».

تحدثت تشون-شيم بما في جعبتها دون تفكير. أخذ السيد الأستاذ يون ينظر إلى وجهها بتمعن، وهي مستلقية بجانبه تضحك.

«هل تضعين عجلةً في لسانك؟ ألا تملكين مكابح لكلامك الطائش هذا؟».

«ما معنى مكابح؟».

«لا تثرثري أيتها اللعوب. سأستمع للموسيقى فلا تقاطعيني، ومَسْدي قدمي، هيا!».

«كلا! كل ما تأمرني به طوال الليل والنهار هو أن أُمسِدَ قدميك!»

كان لدى تشون-شيم كل الحق في الاعتراض، فهي كيسينج تدفع ضرائبها، حتى إن كانت لا تتقاضى سوى نصف السعر المُتعارَف عليه، ولا يصح أن يطلب منها دائماً أن تُمسّد قدميه.

كانت تشون-شيم رفيقة السيد الأستاذ يون بدءاً من ربيع هذا العام. كان قد فشل في علاقاته الخمس السابقة، وهي سادس رفيقة له.

اشتدت وحدة السيد الأستاذ يون. والأشد من ذلك، حالة الإعياء من الضجر بسبب افتقاده لصاحب يسامره بالليل والنهار. كان ذلك منذ هروب عشيقته السابقة في خريف العام الماضي. يتذكرها السيد الأستاذ يون جيداً، فقد كانت ماهرة في تدبير أمور المنزل.

كان يتردد على غرفة الضيوف باستمرار رغم أن أحداً لم يكن يزوره. كان على استعداد للتخلي عن بضع لفائف من التبغ للضيوف، مقابل أن يلقي أحد الأصدقاء. لكنه لم يعتد لعب الغو، أو الشطرنج الكوري. لا يعرف حتى كيف يلعب الدومينو، رغم أن جميع أقرانه تقريباً يجيدونها إلى حدٍ ما. يرجع السبب في اجتنابه لُرُق الشطرنج وأو كار القمار، أن الآخرين اعتادوا السخرية منه وسَبّه في الصغر، وقد ألصقوا به اسم «ابن وجه الحصان»، فكان بُعده عن تلك الألعاب انتقاماً منهم.

لم يستطع السيد الأستاذ يون تحمّل الضجر أكثر من ذلك، فأخذ يستلقي تارة ويقف تارة أخرى، يُمسّد قدميه، أو يعطفهما وهو يدخن التبغ بمفرده، دون رفيق واحد في غرفة الضيوف الكبيرة، صباحاً ومساءً. وفي أثناء ذلك، أتاه اتصال من كيسينج قابلها العام الماضي في عيد الحصاد حين عاد إلى مسقط رأسه للاعتناء بمقابر العائلة. اجتمعا على

طاولة الخمر يتسامران. قالت له إنها في سيئول، وإنها ستأتي إلى منزله لتلقي عليه التحية، فهو بمثابة أحد أقاربها الكبار.

حين حضرت إلى المنزل اصطحبت معها كيسينج أخرى ربطت شعرها إلى الخلف، وقَدَّمت الفتاة الأخرى على أنها كيسينج صغيرة تحت التدريب. أَلقت السيدتان التحية عليه، ولكن السيد الأستاذ يون أعجب أكثر بالكيسينج الصغيرة.

«تعالى من وقت لآخر. اقرأ لي الكتب، ومَسْدي لي قدمي من وقت لآخر. وسأعطيك نقودًا لشراء بعض الكسثناء المشوي».

كان تصرفه هذا لا يختلف عن حيلة رجل بالغ تَخَطَّى سن الزواج، وبدأ في إغراء طفل بإعطائه الحلوى. أعني أننا سنفهم ذلك، لو أمعنا النظر في تصرفه بالطبع. ولكن يبدو أن الكيسينج الصغيرة لم تفكر كثيرًا في الأمر، واستمرت في الضحك دون أن تجيبه، في حين أجابت الكيسينج الكبرى، موجهةً كلامها للصغرى، بأن تأتي إلى منزل السيد الأستاذ يون من وقت لآخر لتسليته. أضاف شارحًا بأن الأولاد، أحفاده في المنزل، في نفس عمرها. بالتأكيد لم تشك الفتاتان في مقصد الرجل العجوز. لكنه أظهر نواياه بوضوح، حين قال إنه يأمل في أن يملأ المنزل بضجيج اللعب والمرح.

رأى السيد الأستاذ يون أن حضور الكيسينج الكبرى إلى المنزل أمرًا لا ضير فيه. فلربما أَلقت بعض الشعر، ولربما مزجته بمقاطع من الأغاني الشعبية، وقد تسرد القصص المختلفة، من هنا وهناك.

هذا ما أراده فقط. لم يكن هناك داع أبدًا لأن يَكِنَّ لها نوايا أخرى.

إن رغب في إقامة علاقة مع فتاة من الكيسينج، فما أكثر الجميلات الفريديات في سيئول. وإن لم يكن مهتمًا بجمال الوجه، وفَضَّل ما تنشده من الأغاني بصوت عذب، فما أكثرهن أيضًا في سيئول. إذن، ليس هناك داعٍ لأن يترك كل هؤلاء، من أجل كيسينج لا تملك جمال الوجه أو الصوت، ثم يعطيها نفس المال.

ولكن من ناحية أخرى، أي كيسينج تلك التي يتوفر لديها قدر من المحبة والتفاني، فهمل عملها ومصدر رزقها وتأتي إلى هذا الحُخُن لتتلقى الفتات من المال بدلًا من مستحققاتها الأساسية؟! وبذلك، كان من المنطقي أن ترفض الاستجابة لطلب عجوز أرعن.

الوضع إذن كالتالي: سيطلب السيد الأستاذ يون منها أن تأتي إلى منزله، حتى وإن كان سيعاملها كأصيص ورد. وإن حضرت، سيكون ذلك لمرة أو مرتين. أما في المرة الثالثة، سيجب عليه أن يعطيها على الأقل ورقة من فئة عشرة وون؛ هذا أقل ما يمكن فعله.

ولكن، إذا ما حسبناها بدقة، فالعشرة وون تعني عشرة ورقات زرقاء من فئة واحد وون، ومائة نيب نحاسية من فئة العشرة تشون، وألف نيب نحاسي من فئة واحد تشون. وإذا ما رجعنا للماضي أكثر، فإنها تساوي خمسة آلاف نيب من اليوب-جون. خمسة آلاف نيب نحاسي؛ مبلغ يكفي لأن يسافر الرجل الغني إلى العالم الآخر ويعود، على الأقل لألف وسبعمائة مرة. وبالطبع، ما كان السيد الأستاذ يون لينفق مثل هذا المال دون حرص أبدًا.

لكن الوضع مختلف مع الفتاة الصغيرة؛ فهي ليست كيسينج

بالمعنى المُتعارَف عليه، وليس عليه الالتزام بالتقاليد في معاملتها. يكفي أن يعطيها بضعة أوراق مالية من فترة لأخرى، تشتري بها الكستناء المشوي أو كيسًا من الأرز، أو أي شيء آخر. لا يخصه كيف تنفق هذا المال. كل ما عليه فعله أن يعطيها حقها فقط لا غير، وكان هذا يناسبه تمامًا.

الخلاصة كالتالي: مصاحبة الكيسينج الصغيرة هواية غير مكلفة بالنسبة للأستاذ يون. ومن ناحية الاستمتاع بالوقت، الأفضل أن يكون ذلك مع فتاة صغيرة، لطيفة ووديدة. الأمر بلا شك سيصب في مصلحته، فهو أقل تكلفة وغير رسمي، وبالتأكيد سيستمع بقضاء الوقت مع الكيسينج الصغيرة.

من الطبيعي أن يميل الرجال، حين يتقدم بهم العمر، للفتيات الصغيرات. ولكل رجل طريقته في الحب، وكان للسيد الأستاذ يون وسيلة مميزة في ذلك، وها قد واثته الفرصة في الوقت المناسب. قال السيد الأستاذ يون للكيسينج الكبرى، وهو يلقي عليهما تحية الوداع:

«حسنًا، ارسلها إلى هنا. كما ترين، ليس هناك من أتحدث معه، وأنا أشعر بالضجر الشديد. لذا رجوتك المجيء فقط من وقت لآخر».

جاء طلبه بنبرة يائسة، فاضطرت الكيسينج الكبرى إلى أن تجيب بالموافقة، ثم عادت أدراجها. بعد أربعة أيام، كان يستلقي الأستاذ يون وحده بالغرفة وقد ملأه الضجر، وفجأة شعر أن تلك الكيسينج قد تأتي، بل إنه ترقب حضورها وتمناه. «لا! لست واثقًا! ولربما قالت ما قالته لتشعرني فقط بالراحة ثم ترحل، لكنها قد لا ترسلها على الإطلاق.

ولكن، ماذا إن فعلت؟». ظل في حيرته ينتظر قدومها. وبالفعل، حضرت الفتاة متخيلةً، بعد أن قضى نهائراً اشتد فيه شوقه لها.

لا بُدَّ أن فرحة المحبين الشباب عند اللقاء بعد الفراق تماثل فرحته بلقائها. ابتهج السيد الأستاذ يون كثيراً، واندھش في الوقت نفسه. أجلس ضيفته العزيزة إلى جواره، وأخذ يُمسّد شعرها ويكلمها وينظر إلى شفيتها. قضى وقتاً ممتعاً معها وهو يستمع لغنائها، بعد أن طلب منها ذلك وهو ينغزها بإصبعه.

مع حلول الليل رغبت في الرحيل، فأغراها بمائدة عشاء لم يسبق أن قدّمها لأحد. بعد انتهاء العشاء، أسرع وناولها قصة «تشونج-هيانج»^(١)، وطلب منها أن تقرأها له، واستلقى بجانبها في عجالة وهو يمعن النظر لشفيتها، الأمر الذي كان أشبه بمنظر خلّابٍ نفيس، لإحدى ليالي الربيع.

منعها من الرحيل أول الليل أكثر من مرة. ولكن، ما إن دقت الساعة العاشرة، لم يعد بيده حيلة، فتركها تذهب. طلب لها عربة الركشة، ودفع له مقدماً، متأكداً من أن يُظهر مَنَّهُ عليها، بإعطائها ورقة من فئة واحد وون. كان ذلك أمراً جليلاً بالنسبة له.

ظن إنها ستأتي لمنزله في الغد مجدداً. وبالفعل، تناولت عشاءها مبكراً، ثم ذهبت إليه في اليوم التالي.

أجلسها السيد الأستاذ يون إلى جانبه كما فعل الليلة الماضية، وأخذ

(١) إحدى أشهر قصص الحب الرومانسية في التراث الكوري.

يحادثها، ويطلب منها أن تقرأ له. ومع بداية المساء، سألها أن تُمسّد له قدميه، ثم أرسل سام-نام يشتري له حلوى كرات السكر بعشرة تشون، وأطعمها إياها. وبالطبع، في أثناء ذلك، مسّد على شعرها عشرات المرات، ثم تركها ترحل ما إن أسدل الليل ستائره.

كان عليه استدعاء عربة الركشة، من قبيل أدب الضيافة. لكنه كان يعرف جيدًا أنه ليس بإمكانه استدعاء عربة الركشة في كل مرة، خصوصًا إن كانت ستتردد عليه كثيرًا، فأقنعها بأن يصطحبها سام-نام للمنزل، بدلًا من العربة.

لم تعد تركب عربة الرشكة، ولكن كان من المفترض أن يعطيها المال. وإذا استخسر إعطائها اللون كاملاً، فعلى الأقل عليه أن يعطيها خمسين تشون. لكنه خشي أن تعتاد ذلك، وتصبح تلك خصلة سيئة فيها، فتعمّد أن يخبرها حين تأتي، أن المال لركوب العربة فقط، لينال غرضه دون دفع المال. غير أنه كان يدسّ ورقة من فئة اللون كل ثلاث إلى أربع مرات تأتي فيها، مُتفاحراً بإحسانه عليها.

بعد ذلك، فهِمت الفتاة مقصد السيد الأستاذ يون، واعتادت أن تأتي لمنزله مرة كل يومين. ولكن، في بعض الأحيان كانت تتردد عليه يوميًا تقريبًا لتسليته وقضاء الوقت معه. وفي إحدى الليالي، بعد مرور نحو عشرين يومًا من تردها على منزله، حدث أمر مفاجئ.

كان المساء في بدايته، والفتاة ضئيلة الجسم تُمسّد قدمي السيد الأستاذ يون بيديها الصغيرتين كحبة الكستناء، حين سألها فجأة: «كم عمرك؟».

«أربعة عشر عامًا».

ردت عليه بلهجة مسقط رأسها، التي لم تستطع التخلص منها بعد.
ما المشكلة؟ السيد الأستاذ يون أيضًا ما زال يستخدم بضع كلمات من
لهجة مسقط رأسه، ولم يستطع التخلص منها نهائيًا، حتى بعد عشر
سنين قضائها في سيئول.

«هاااا! أربعة عشر عامًا!».

ظل السيد الأستاذ يون ساكنًا لفترة، ثم قال لها وهو يهز رأسه لأعلى
وأسفل:

«توقفي عن تدليك قدمي، وتعالني إلى هنا!».

وقفت الكيسينج الصغيرة على الفور، واستدارت نحوه، ثم جلست
بالقرب من صدره. نفخ لفافة التبغ التي يدخنها، ومسّد على رأسها
عدة مرات:

«أممم.. أربعة عشر عامًا. هذا يعني أنك أصبحت سيدة بالغة!».

«...».

«أيتها الفتاة!».

«نعم!».

«أممم.. هناك شيء ما، أعني...».

«...».

«أنت!».

«نعم!».

«هناك أمر، أنتِ...؟».

«نعم، نعم!».

«هل سمعتني؟».

«نعم، نعم!».

لم تستطع الفتاة فهم قصد السيد الأستاذ يون، فاتسعت حدقتا عينيها. ابتسم، وعَلَّت وجهه علامات الرضا، ثم مَدَّ يده التي كانت تُمسد شعرها إلى رقبتها، وجذبها نحوه.

«اسمعي كلامي يا فتاة، ها؟».

«يا إلهي!».

قفزت الفتاة من مكانها سريعاً من المفاجأة، كأن النار أحرقت وجنتيها، وصفقت الباب خلفها، فأوشك طرفه أن ينخلع من قوة صفقها. أحس السيد الأستاذ يون بالخزي يسري في جسده الضخم. ولكن، ماذا في ذلك؟ لم يرَ أحد ما حدث. وحتى إن شاهده أحد، فماذا؟ إن الأغنياء النبلاء لهم أن يفعلوا ما يشاؤون. ليس هناك ما يقلل من شأنه.

فقد السيد الأستاذ يون الفتاة التي استلطفها، واعتاد قضاء الوقت بصحبتها، فعاد إلى حالة من الملل والضجر كما مضى دون أن يجد ما يُسلِّيه. بالتأكيد يقع الخطأ على عاتقه. ولكن، بمرور الوقت، نسي الخزي الذي شعر به لحظتها، ولم يتذكر سوى الوقت الممتع الذي قضاه بصحبتها، وشعر بخسارة عظيمة بعد ضياعها. ليس هذا فحسب،

فقد كان على وشك تذوق شيء رائع، إلا أنه لم يذقه. وما زاد الطين بلة، أن غرائزه التي ثارت من وقتها، ما زالت مشتعلة لا تتمد.

لم يكن ولع السيد الأستاذ يون بالفتيات حديثاً؛ ظهر الأمر مبكراً منذ أن كان في مسقط رأسه، حين جَرَّبَ تحسُّس أجساد الفتيات القرويات. ولكن أولئك الفتيات، كُنَّ بين السابعة عشر والثامنة عشر، بل إن أصغرهن كانت في نحو السادسة عشر عاماً. لم يسبق له تجربة فتاة صغيرة في الرابعة عشر، ما زالت رائحة لبن أمها تفوح من جسدها.

بمعنى أن ذوقه المائل للفتيات، (حتى وإن كن صغيرات، فهن سيدات نضجت أجسادهن)، في أثناء إقامته بالقرية في الماضي، مختلف تماماً عن شراهته المتزايدة نحو هذه الفتاة ذات الأربعة عشر ربيعاً، وكان مختلفاً تماماً عن إلحاحه المستمر على بائعة مستحضرات التجميل المُتجوّلة، بأن تبحث له عن خليلة ترضيه.

ولكن، هذه الشراهة الجديدة كانت تزداد يوماً بعد يوم، لدرجة لم يعد يطيعها.

في النهاية، تصدَّى ديه-بوك للأمر. وكما يقولون: إذا كان الرجل نبياً، فالمهمة محسومة. ولم تكن هذه بالمهمة التي يمكن أن يقوم بها أي رجل. طلب ديه-بوك من السيد كيم، الحَلَّاق بالزقاق المجاور، أن يساعده، وقَبِلَ السيد كيم بالمهمة في سرور. لحسن الحظ، كان يعرف كيسينج جارة لهم في حي «آن-كوك». في الحقيقة، لم يكن الأمر بهذه الصعوبة، فما أكثر الفتيات الصغيرات من هذا الصنف في المدينة. وبالنظر إلى ظروفه، فهو غني ويقطن في منزلٍ راق، عجوز وقور في

العقد الثامن من العمر، وكل ما يرغب فيه فتاة تُسلِّيهِ بالحديث أو تقرأ له، وقد يطلب منها أن تغني له وتُمسِّد قدميه من وقت لآخر. بشروط كهذه، لن يشعر أي أم أو أب بالقلق من إرسال ابنتهما إليه، حتى وإن كانا والدي تشون-هيانج^(١).

علاوة على ذلك، إذا كان هناك أبوين يخططان لبيع ابنتهما ككيسينج، لأنهما عرفا مسبقاً بنواياه الخبيثة، فعلى الأرجح سيرحبان به ولن ينتابهما أي قلق. بفضل تخطيط السيد كيم، عثروا على الفتاة المناسبة في أربعة أيام. ورغم أنه طلب أن تكون في الخامسة عشر على الأقل، كانت في الرابعة عشر. لم يكن هناك شيء مُميِّز في شكلها. فقط كان في طبعها بعض الشراسة، فبدت أشبه بقطعة وليدة.

لكن السيد الأستاذ يون كان راضياً عنها، ولم يعلق على شيء. تقبَّلها بغبطة شديدة، وطلب منها أن تغني له، وأخذ يمسح على رأسها، ويجعلها تقرأ له الكتب، وتدلك قدميه، كما اشترى لها كرات حلوى السكر وأغدق عليها بالكثير.

بعد فترة، حين زال الحرج عنه، سأَلها: «كم عمرك؟ ها؟! أنتِ ناضجة بما فيه الكفاية! هلاً سمعتي كلامي؟»، وأرسل ذراعه التي كانت تمسح على شعرها وراء خصرها، ليضمها.

حين فعل ذلك، فطنت الفتاة لمراده، فهي وُلِدَت وتربت بالعاصمة

سيئول.

(١) بطله قصة من التراث الكوري الأدبي، عن فتاة عفيفة لأم كانت كيسينج في السابق.

«ما بالك أيها العجوز؟ هل جُننت؟!».

انهالت عليه بالشتائم، ثم خرجت وتركته.

شعر بالخزي مجدداً. غير أن وجهه كان شديد الحمرة في الأصل، فلم تكن مشكلة أن يشعر ببعض الخزي؛ لن يضيف ذلك حمرة على ما هو عليه أصلاً.

«آخ! يا للأسف!».

فغر فاهه، لكنه لم يستطع الضحك. لم يتراجع عن رغبته، حتى بعد ما حدث. أصر على طلبه مرة تلو الأخرى. وفي كل مرة، كان يتجرع كأس المرارة الفارغ، لا الممتلئ.

يا له من أمر مؤسف حقاً! لم يستطع السيطرة على فتاة صغيرة، ولم تكن جميلة حتى. باءت محاولاته بالفشل التام بعد خمس محاولات، منذ نهاية الربيع وحتى بداية خريف هذا العام، وأصبح الأمر شائبةً في حقه.

في الحقيقة، ما كان يضره الرفض ولو كان لمئات المرات. كل ما في الأمر أنه لم يعانٍ في حياته قط ليحصل على أي شيء، وبالتأكيد لم يفشل في مساعيه خمس مرات من قبل. كان هناك سبيل مؤكد يقوده لمراده. بمجرد أن يهمس فقط، كان بوسعه استدعاءً موكبٍ من الفتيات الصغيرات الجميلات، ممن بلغن الرابعة عشر، لا واحدة فقط، من قريته. فالفلاحون المُستأجرون، شاؤوا أم أبوا، مفروض عليهم أن يتبعوا الأوامر كما هي. حتى ولو أومروا بأن يقدموا أمهاتهم العجوزات عوضاً

عن بناتهم الصغيرات. لا مفر من تقديم فتياتهم الصغيرات أو أخواتهم كقرايين حية، سواء كان ذلك متبوعاً بسرور وغبطة، أو بزفرة استسلام تنشق لها الأرض. وأمرهم سهل؛ يكفي أن يذهب لهم حاملاً دجاجة سمينة في عيد رأس السنة، أو عيد الحصاد.

فكر بالفعل، بعد فشله الثالث، أن يُرسل إلى قريته باحثاً عن فتاة كيسينج صغيرة. ودَّ أن يكتب رسالة إلى قريته، ليرسلوا له فتاة صغيرة كصوص خرج لتوه من البيضة. لكن ما جعله يمتنع عن ذلك، أنه كان يضع هدفاً معيناً نصب عينيه. إن كان سيرسل إلى قريته ليحضر فتاة ما، لن تكون كيسينج صغيرة تُسلِّي بشرتها، بل أراد أن تكون خليلته على الفور. لكن حصول رجل في العقد الثامن على خليله، أمر لن يستطيع معه أن يتحاشى نظرات الناس له، وحتى وإن لم يعأ بها، إن فتيات القرية لا يستطعن الغناء ككيسينج المدينة. وفضلاً عن ذلك، هناك مشكلة المال الذي يجب أن يُخصَّصه للأمر، بما يشمله من مصاريف استئجار عربة لإحضارها أو إرسالها، وغيرها من المصاريف الإضافية.

كانت تلك المصاعب هي ما تمنعه أن يرسل في إحضار فتاة من القرية على الفور. لكن الخزي الذي تعرض له سابقاً، جعله يتردد في تصرفاته مع تشون-شيم. لذا، بوسعنا القول بأن الوضع الحالي مع تشون-شيم له معانٍ مهمة.

بدا أن متطلباته كلها تنطبق على تشون-شيم. وبعد مرور نحو أسبوعين على تردها على منزله، زالت الحواجز بينهما، إذ أنه أوالها بالفعل اهتماماً أكبر بكثير من الأخريات. استلقى السيد الأستاذ يون في

دعة، بالقرب من كفيّ تشون-شيم التي رفضت لتوها في دلال أن تدلك له قدمه. نظر إليها، وقد علت وجهه علامات الرضا. مال رأسها في خفة، وظهر شعرها القصير من الخلف. كانت لتبدو طالبة صغيرة بالفعل لو أنها أزالَت الشعر المستعار الذي تتميز به الكيسينج. القميص الأبيض، والتنورة الواسعة، والجوارب البيضاء كذلك، كانت جميعها أشياء ترتديها طالبات المدارس. أحبت تشون-شيم ارتداء هذه الملابس، التي اعتادت ارتدائها إذا لم يكن عليها الذهاب إلى مقر تدريب الكيسينج أو مكان تجمعهن. بالتالي، كانت تحضر إلى منزله مرتدية تلك الملابس، في الأيام التي لم تكن تأتي فيها من مقر التدريب مباشرة.

جلست إلى جانبه بتلك الملابس، وأخذت تغني له إحدى تلك الأغاني الشعبية. لم يكن هناك ما يصفها، فبدأ يمازحها: «أيتها اللعوب، أتغني فتيات المدارس أيضًا مثل هذه الأغاني؟». لكنها لم تكن من الشخصيات التي قد تسمح لكلام أحد بتعكير مزاجها.

في تلك اللحظة، انتهت فقرة الأغاني المُداعة في جهاز المذياع. وبعد قليل، ستتصاعد الألحان الكورية التقليدية من الآلة الوترية «الهيغم». أسرع السيد الأستاذ يون بإغلاق الجهاز وهو مقطب الحاجبين.

«أيتها اللعوب، ألن تدلكي لي قدمي حقًا؟».

«لا أرغب في ذلك. أتحبسني مدلكة؟!».

«آخ! أيتها الفتاة، أنتِ حقًا...! حسنًا، لن تدلكي لي قدمي، فلتغني لي إذن!».

«سأغني لك! قلت إنه يجب أن تكون هناك أغان شعبية مثيرة، بدلاً من الألحان المملة بعد فقرة الأغاني، أليس كذلك؟!».

«أتعرفين كل هذا؟ يا لك من فتاة!».

«يا إلهي! ماذا تظن بي؟ حسنًا؛ دندن باللحن لأغني لك!».

«وكيف ذلك أيتها اللعوب؟ يتطلب الأمر وجود طبلية جانجو لأعزف لك!».

«أوافق من كلامك هذا يا سيدي؟! حسنًا، إذا كان هناك طبلية، هل تعرف الدق عليها؟».

«آه! يا لك من ثعلبية مأكرة!».

«حسنًا، حسنًا. أنا ثعلبية مأكرة، وأنت فرس نهر يا سيدي. هاهاها!».

«أيتها الوضيعة! هاهاها.. أنت تتلاعبين بي مثل «تشوراني»».

««تشوراني»؟ ما هذا؟».

«ثمة فرقة استعراضية اسمها «تشوراني» كانت تؤدي مسرحيات الأقنعة الكورية، تتكون من عجوزين: العجوز بارك، والآخر هونج. يرتديان دوماً أقنعة غريبة الشكل، يشاكسان ويضايقان بعضهما البعض. أنت تشبهينهما تمامًا بحركاتك الطائشة هذه وكلامك غير المحسوب. وأنت تغنين مثل العجوز بارك «تيرو تيرو»».

«هاهاها. أيمكن أن تقول هذا مرة أخرى؟ يا له من منظر ممتع، من المؤسف أن لا أحده يراه غيري! هاهاها!».

«آآخ! أيتها اللعوب!».

علت أصواتهما وهما يغازلان بعضهما البعض، حتى ليتوهم من يسمعهما بالخارج أنهما طفلان يلعبان معًا. ولكن ماذا لو استرق النظر للدخل؟ لتصوّر أنهما فرس نهر وثعلب يلعبان معًا في مرج.

«تشون-شيم!».

«نعم؟».

«أنت...».

«نعم!».

«هناك أمر أود...».

تردد في الحديث، وهو يتحسس قدميه تارة ويعطفهما تارة أخرى. لم يستطع التحمل أكثر، سألها: «ما عمرك؟ أصبحت ناضجة الآن، فهلا سمعتني؟». كان لا بُدَّ أن يقدم لها ما يشبه اعتراف الحب، ولكن الكلام يقف في حلقة. كان تردده مُبرّرًا، بعد أن تلقى الرفض خمس مرات في السابق.

قد يعترف الشاب ببساطة ويقول: «أحبك»، ولكن هذه الكلمة البسيطة، ليست بالسهلة أبدًا، سواء للعجزة أو للشباب، أيًا ما كانت الظروف.

«توقفي عن مضايقتي، وغني لي».

تردد كثيرًا، وفي النهاية تراجع عن استغلال الفرصة.

«حسنًا، حسنًا. ماذا أغني لك يا سيدي؟ ما رأيك في الأغنية التي

كنتَ تغني معها صباح اليوم في المهرجان وتقول «رائع! هذا جميل»؟! هل أغني لك «جوكيوكا»؟^(١).

«يا إلهي! أنتِ أيتها الفتاة.. ألا تعرفين المثل الذي يقول: «يجدر بالمرء أن يبصق بعيداً حتى وإن قطع لسانه»! حسناً، أيتها اللعوب، سأتي لكِ بنجمة من السماء لو استطعتِ أن تغني لي «جوكيوكا»!». «أوه، حسناً، إذن سأذهب إلى مقر تدريب الكيسينج غداً وسأتعلمها! سأغنيها لكِ بالتأكيد، فهلا جلبتِ لي نجمة من السماء؟».

«ومن طلب منك أن تتعلميها؟ أقول لك أن تغنيها لي الآن، حالاً». «يا إلهي! يمكنني أن أغني بالطبع، أيّا ما كانت النتيجة، المهم أن أغني. حسناً!».

«أيتها الفتاة، تواصلين الشرثرة، وأنا آمرُكِ بأن تغني!».

«حسناً، حسناً، إحم.. سأغني، إحم.. «أتجول في أراضينا بين الجبال والأنهار البائدة»!».

كان اختياراً موفقاً للمقطوعة بلا شك، ولكن كان من الصعب تجاهل الخطأ في كلمة «البائدة» بدلاً من «الخالدة».

وبالطبع، كان من المستحيل أن تضبط نغمة الصوت، أو طول وقصر الإيقاع. كانت تجتهد في إخراج الصوت، كما تفعل أمام معلمة الغناء، فكان ذلك أقرب للصراخ منه للغناء. وكان من الصعب الاستماع لها إذا لم يكن لك ذوق مثل ذوق السيد الأستاذ يون. يبدو أن مقاطعته لها من

(١) إحدى الأغنيات الخمس المتبقية من فن البان-سوري الكوري.

وقت لآخر بقوله «رائع» و«جميل»، كانت في محلها. ما إن انتهت من الأغنية أخيرًا بشق الأنفس، حتى غمرها بسيلٍ من الشاء، كأنها أَلَقَتْ لتوّها شعرًا عظيمًا لا مثيل له.

«تشون-شيم، أَلَسْتَ جائعة؟».

تحسس بطنه الكبيرة. تعجبت تشون-شيم من سؤاله، وأجابته وهي لا تعرف نواياه الخفية.

«لا، لماذا؟».

«كنتُ أعترم أن أشتري لك طبقًا من مكرونة الأودونج».

«يا إلهي! ظننتُ أنني أرملة فقدت زوجها ولن تتذوق طعم الحياة مرة أخرى».

«لسانك هذا! احذري منه!».

«كل ما قصده.. يعني.. بالطبع، سأكله وأتلذذ به إذا اشتريته لي، حتى ولو كنت شبعانة».

«حسنًا! سأشتري طبقين، واحد لي وواحد لك».

«أودونج فقط؟».

«وماذا تريدان أيضًا؟».

«طبقًا من اللحم المقلّي الحلو».

«وخرم البطن هذا يدخل به أكثر من طبق أودونج؟».

«بالطبع يدخل، كل شيء يدخل. ولكن للأسف، لا أملك ما يكفي

لشرائه».

«آآخ، يا لك من لصة صغيرة! وبكم طبق اللحم الحلو ذلك؟!».

«نحو عشرون تشون، ربما في هذه الحدود».

أصبحت الفتاة الصغيرة ثعلبة حقًا؛ حتى بدون سؤال السيد الأستاذ يون، كانت تعلم تمامًا أن سعر الطبق ليس أقل من أربعين تشون.

«طبقان من الأودونج وطبق من اللحم الحلو اللاذع بسرعة. طبقان من الأودونج وطبق من اللحم الحلو اللاذع بسرعة»، ردد سام-نام هذه الكلمات ليحفظها عن ظهر قلب، كأنه يحفظ تعاليم بوذا، وأسرع في طريقه لشرائها. كان مهمًا جدًا له ألا ينسى الطلب، كحرصه على تناول وجبات الطعام الثلاثة اليومية. لذا شعر بالتوتر، واحتاج لبذل المزيد من الجهد كي لا ينسى.

هدأت الغرفة لوهلة كأن ظلاً قد مر بها. مكّنت لحظات الهدوء تلك السيد الأستاذ يون من أن يأخذ قراره. عزم في نفسه ألا يخبرها بالأمر دفعة واحدة كما اعتاد مع الأخريات، وكانت وسيلته أن يستنبط رأيها في ترو. يمكن أن نطلق على ذلك «استراتيجية التقدم البطيء».

وجب عليه أن يعرف ما يدور بداخلها، دون أن يفسد الأمر أو أن يعرض نفسه للخزي، وأن يستعد لهجمته التالية إذا ما رأى منها ما يثبت له أن انتصاره محتم. كان يمني نفسه في ذات الوقت بأفكار ترضيه، كأن يتخيّل أنها ستقبله بالفعل.

«تشون-شيم!» ناداها بصوت ناعم وهو يُمسّد شعرها.

«نعم!».

«كم عمرك؟».

«لماذا تسأل فجأة؟».

«لا يوجد سبب معين».

«خمسة عشر. أتخشى أن أكون كبرت أكثر فأختفي؟!».

«يا لك من مشاكسة! لقد كبرت كثيرًا يا تشون-شيم!».

«أنا طويلة فقط، لا أكثر. كما ترى، لا زال جسدي نحيفًا جدًا!»

«بالحق يا سيدي، كم عمرك؟».

«أنا؟! حسنًا، دعيني أفكر! لقد تقدم بي العمر كثيرًا، لدرجة نسيت

معاها كم بلغت».

«وكيف هذا؟ كيف للمرء أن ينسى عمره مهما تقدّم به الزمن؟!

على أي حال، بما أن رأسك وذقنك كساهما البياض، لا بُدَّ أنك طاعن

في السن».

مَشَّطَت تشون-شيم بيدها اللحية البيضاء الشعثاء الشبيهة بذيول

حصان أبيض، فيما أمسك السيد الأستاذ يون يدها الأخرى وضغط

عليها برفق.

«تشون-شيم!».

«نعم؟».

«أتكرهيني لأنني كبير في السن؟».

«وما الداعي لذلك؟ كم عمرك حقًا؟!».

«أترغبين أن تعرفي؟».

«ليس بالأمر الملح، ولكن...».

«هل أخبركِ؟!».

«نعم!».

«ستون.. إمامم.. خمسة وستون عامًا».

«يا إلهي!».

فغرت تشون-شيم فاهها، وكذلك السيد الأستاذ يون، فهو أيضًا لديه مشاعر تتعرض للأذى.

كان عمر السيد الأستاذ يون اثنين وسبعين عامًا، وهي حقيقة يعرفها الجميع. لكنه يخدع حبيبته ويخبرها الآن، في هذه اللحظة، أن عمره أصغر بسبع سنوات. وذلك أمر لا يُستخَف به، ولا يجب أن يمر بشكل عابر، كمزحة يضحك الجميع عليها. بل أمر يجب أن يُسأل عنه ويُمسَك به من كتفيه ويُجَبَر على إعادة التفكير في فعلته. كيف لعجوز بلغ الثانية والسبعين أن يكذب على حبيبته ذات الخمسة عشر ربيعًا، ويقول لها إنه في الخامسة والستين، ويصغر نفسه سبعة أعوام كاملة؟!!

في الحقيقة كل الكيسينج معتادات على أن يُنْقَص الضيوف الرجال من أعمارهم أمامهن، كما يمكن للفتيات الشابات أن يُصَغَّرن أعمارهن أمام عشاقهن. يمكن اعتبار ذلك أمرًا عاديًا، إذا ما اطلعنا على نفوسهم وعرفنا خباياها.

لكن الوضع هنا مختلف؛ العجوز الطاعن في السن، البالغ اثنين

وسبعين عامًا، يحاول خداع فتاة صغيرة بكلام معسول، ويكذب عليها قائلاً إن عمره أصغر بسبع سنوات عن الحقيقة. لو كانت هيئته تبدو أصغر وكأنه في الخمسين، لربما خدعها بادعائه ذلك. أتستحق فعلاً السبعة أعوام ذلك الكذب من أجلها؟ وقد يتسائل المرء إذا ما كان هناك فرق كبير فعلاً بين الخامسة والستين، والثانية والسبعين. لكن السيد الأستاذ يون أراد أن يبدو أصغر ولو قليلاً، أمام الفتاة ذات الخمسة عشر ربيعاً. ولذلك، كذب حول تلك الأعوام السبعة، وأخبرها أنه في الخامسة والستين.

كيف لهذا الصوت اللطيف الناعم أن يخرج من ذلك الجسد الضخم؟! لكنفوشيوس مقولة شهيرة هي: «إذا غلب الفراغ وقت المرء، فلا بُدَّ أن ينتهي بالتخطيط لفعل السوء». لكن تصرفات السيد الأستاذ يون قد تغيّر من تلك المقولة بعض الشيء، فيمكن القول أنها أصبحت: «إذا ما انشغل عامل الأرض بالعمل، فإن صاحب الأرض يلعب».

الخصال الجنسية التي يُولّد بها المرء قدر الكائن الحي ونصيبه، ولذلك لا يمكن أن يُعاب المرء بسببها. وعلى أي حال، حتى إذا عبناه على ذلك، لا إمكانية لتغييرها، ونقع في النهاية في خطأ النقد غير المبرر والتدخّل السافر.

لكن الرغبات الجسدية البربرية للسيد الأستاذ يون، التي لا تعرف حدوداً، حتى إن طعن في السن وتخطى السبعين، لا يمكن فقط حصرها في إطار الخصال القدرية. لنفترض أنه قد وُلِدَ مفطوراً على حسن الخلق

كالراهب البوذي المشهور شين-دون، لآل مصير هذه الفطرة في النهاية إلى الفناء، إذا لم يُؤلَد السيد الأستاذ يون بقدره الشبيه به. من الوارد جدًا ألا نجد من ضمن المئات الذين يعملون تحت إمرته في مزارعه، من يمتلك نفس خصاله. وحتى إن وجد، فلا بُدَّ أن تلك الرغبات قد جفَّت إلى أقل مما هو طبيعي، مع عملهم الشاق دون وجبة مُغذية ترم عظامهم، في محاولة لتسديد ديون استئجار الأرض من السيد الأستاذ يون. ولو افترضنا أيضًا أن بمعجزة ما، لا يزال أحدهم يمتلك قدرات تشبه قدرات السيد الأستاذ يون في التعامل مع النساء، فلن يجروا على التفكير في اقتناء خليلة.

ملخص القول إذن، أن رغبات السيد الأستاذ يون المُلحَّة ليست بالفطرة الجسدية. والقول بأنه ولد على هذه الشاكلة، ما هو إلا عذر. وليس ما هو عليه سوى خطة مُحكَّمة مُدبَّرة من الطبيعة. لقد خلق الأرز بحيويته وقوته، والتي يرجع الفضل فيها إلى الفلاحين العاملين في الحقول الذين سهروا عليه، همَّة ونشاط السيد الأستاذ يون الذي هو عليها اليوم. وهذا كلام يستحق أن يصر عليه بعناد، في تفسيره لرغباته المُلحَّة.

هلعت تشون-شيم من رد السيد الأستاذ يون بأنه في الخامسة والستين، وأخذت تفكر أمامه: «يا إلهي، لقد تخطيتُ الحَدَّ في معاكستك! كيف لك أن تكون كبيرًا هكذا؟ لقد طعنت كثيرًا في السن! انتظر لحظة، لأحسب الفرق بيننا إذن! حسنًا، أنت خمسة وستين، وإذا ما أنقصنا منها خمسة عشر..! إممم، خمسون، يا إلهي! أنت تكبرني بخمسين عامًا!». .

ظل السيد الأستاذ يون ساكنًا، وقد علت وجهه ابتسامة واسعة. بدا مستكينًا ومرتاحًا وهو يفكر أن هناك ما يخفى وراء مقارنتها للفرق بين عمريهما، رغم أنها فعلت ذلك بعفوية دون تفكير محدد. بالتأكيد هناك قصد وراء كلامها، لقد فوجئت من عمره، ولكن وجود مقصد خفي من مقارنتها علامة جيدة. بالفعل، أمر جيد. حسنًا، كان هذا ما فكر فيه السيد الأستاذ يون.

هناك قول ماثور بأن الحب أعمى، وهو كذلك بالفعل. وللأسف، ينطبق هذا على السيد الأستاذ يون، وبأشكال عدة أيضًا.

«هل تكرهيني لأنني كبير في السن؟».

كان ينتقل الآن إلى المرحلة الثانية. سيقدم لها أعذارًا وحججًا بأن كبر السن ليس بالأمر السيئ مطلقًا، أو أن يدعي بأنه ليس كبيرًا في السن، رغم كبره.

«ولماذا أكره ذلك؟ أحب الكبار في السن، إنهم محبوبون إلى القلب».

«بالطبع، بالطبع. فضلًا عن ذلك، فأنا ما زلتُ قويًا رغم كبر سني. انظري، أنا متين جدًا!».

«حقًا، جسدي قوي ومتين يا سيدي، رغم كبر سنك».

«يمكنني أن أصطاد نمرًا بيدي فقط، لو أردتُ».

«هاهاها. ما رأيك إذن أن تذهب إلى حديقة الحيوان، وتجرب أن تتصارع مع النمر هناك؟ آه، برأيك من قد يكسب، فرس النهر أم النمر، إذا تصارعا؟! هاهاها، هاهاها!».

«أوه، أنتِ تشاكسيني مرة أخرى، أيتها اللعوب!«.

وضع السيد الأستاذ يون لفافة التبغ بين شفثيه مجدداً، ولم يدرك أن لعبه يسيل عليها. أخذ يتفحص تشون-شيم، من رأسها لأخمص قدميها، وجسده يميل عليها أكثر فأكثر.

«تشون-شيم!«.

«نعم؟«.

«أنت.. حسناً.. هلا أنصتي لي؟«.

«ماذا هناك، يا سيدي؟!«.

سألته وهي تضحك، وبدا أنها استشعرت ما يرغب في قوله. اطمئن السيد الأستاذ يون، واكتسب الشجاعة معتقداً أن الأمر سيسير على ما يرام هذه المرة.

«هل ستسمعين كلامي؟!«.

«أي كلام؟!«.

ضحك منشرحاً، واستند على ذراعيه وقال:

«أيتها اللعوب، اقتربي مني!«.

جذبها من خصرها، وضمها. كان مطمئناً تماماً لرضاها. ولكن..

الآن.. ما الذي حدث في لحظة؟!!

«أيها العجوز الماكر!« نهضت الفتاة سريعاً، وهي تصرخ فيه.

ست مرات.

اندهش السيد الأستاذ يون حقًا. لو كان شابًا في حموة فرس النهر،
لعلّق رأسه وحصل على الخلاص أكثر من مرة.

ولكن ما بال تلك الفتاة؛ إن لها قدرة استشعار عظيمة لما قد
يحدث. كان على وشك الاطمئنان لاستجابتها له، ولكن ماذا حدث!
شعر بالخزي، ولكن في خضم ذلك حاول أن يتلصص النظر تجاهها.
غريب حقًا! اعتادت الفتيات الخمس السابقات على البكاء أو إغراقه
بالشتائم، ثم الفرار. لكن هذه اللعوب صرخت في وجهه فقط، وفكّرت
من حضنه كسمكة اللوش في البركة. لم تبك ولم تغضب. بل على
النقيض، جلست في ركن بعيد تضحك، كأنها تقول: أمسكني إن
استطعت. لقد حطمت كل خطوطه الدفاعية.

حسنًا إذن، لا بُدَّ أن يستدرجها بلطف مجددًا. ضحك وقال لها:
«انظروا لتلك الفتاة! ماذا تفعلين، أيتها اللعوب؟! كُفّي عن ذلك
وتعالِ هنا فورًا! اقتربي يا تشون-شيم!».

«لا أريد».

«لماذا؟».

«ولماذا تسأل؟».

«أيتها اللعوب، ألن تسمعي كلامي؟».

«أدركتُ الآن كم أنت ماكر يا سيدي!».

«آخ، أيتها اللعوب! أنتِ حقًا!.. أنت!.. أتفعلين هذا بي؟!».

«وماذا في ذلك؟ ها؟!».

«لا تفعلني، أرجوك! وتعالني هنا، سأحدثك بأمر ما!..»

«قل لي وأنا هنا!..»

«وإن يكن، اقتربي قليلاً فقط!..»

«أوه! أتريد أن تمسك بي مرة أخرى؟..»

«إذا سمعت كلامي، سأشتري لك طعاماً لذيذاً!..»

«وما هو ذلك الطعام اللذيذ؟..»

«يا إلهي! قلتُ لك طعاماً لذيذاً!..»

«حسنًا، ما هو ذلك الطعام؟ أخبرني!..»

كان أشبه بالمجذوم الذي يختبئ بين الحقول، و ينتظر الأطفال الصغار ليمروا من هناك فيغيريهم بكرات الخرز الزجاجية أو الحلوى. لكن ذلك الوصف قد لا ينطبق عليه بالضبط. فهو لم يكن يفكر حتى في شراء شيء لها، لكنه صرح بعرضه هذا فجأة، فقط ليستعطفها. ولذلك، لم يستطع أن يجيبها، رغم إلحاحها في السؤال.

«سأشتري لك ما تريدين».

«أحقاً ستشتري لي ما أريد؟..»

«بالطبع!..»

«حقاً؟..»

«نعم».

«إنك تكذب!..»

«لا، أنا صادق حقًا!».

«حسنًا، اشتر لي خاتمًا!».

«خاتم..؟ خاتم؟ أيتها الفتاة، لم أقل أنني سأشتري لك شيئًا غاليًا هكذا!».

«هّا! وما الغالي في ذلك؟ يمكنك أن تشتري خاتمًا يتوسطه ياقوت أحمر من حي «بون-جونج» مقابل سبع وون وخمسين تشون.. خاتم من الذهب، ثمانية عشر قيراط، رفيع جدًا..».

«حقًا! مقابل سبع وون وخمسين تشون؟!».

«نعم!».

«صدقًا؟!».

«يمكنك أن تتأكد بنفسك إذا ذهبت إلى هناك!».

«حسنًا، سأشتري لك واحدًا.. سأشتري لك واحدًا، فاقتربي مني الآن، تعالي هنا!».

«ماذا؟ لا بُدَّ أن تشتريه لي أولًا، هّا؟!».

«أشتري لك مقدمًا؟ لا أرغب في ذلك!».

«حسنًا، وأنا أيضًا لا أرغب في ذلك!».

«يا لك من لعب كسمكة اللوش! أيتها اللعوب، لا تعبينني وتعالي هنا، هّا؟ تشون-شيم؟!».

«نعم؟».

«لا تجلسي هناك وتعالِي هنا! هّا؟ وسأصحبكِ غداً إلى حي «جين -
جوجيه» لأشتري لكِ خاتماً!».

«لا أرغب في ذلك! ولكن ربما أُغيّر رأيي لو اشتريت لي واحداً
الآن».

«كيف ذلك، وقد تأخر الوقت جداً؟! لنذهب ونشتري واحداً في
صباح الغد. لا تجلسي هناك، واقتربي مني!».

«لا!».

يبدو أن السيد الأستاذ يون سيشتري لها خاتماً بالفعل. بالطبع، إذا
ما فكرنا في الأمر، قد يكون صعباً عليه إنفاق مبلغ سبع وون وخمسين
تشون، وسيأسف عليه. لكن سيكون الخاتم الأول لها ككيسينج صغيرة،
وإغراؤها بسبع وون وخمسين تشون في الحقيقة سعر زهيد جداً. فما
إن ترفع شعر رأسها لأعلى^(١) ستستحق ما قيمته مائتين أو ثلاثمائة، أو
ربما حتى أعلى من ذلك، ليصل سعرها إلى خمسمائة أو ستمائة وون.
حسناً، لن يفوت الفرصة. حتماً سيشتري لها الخاتم غداً أو بعد
غد. لكن القلق لم يغادره على الإطلاق، فربما لا تثق به تشون-شيم،
وربما تمازحه ولن تسمع كلامه. كلما فكر في الأمر ضاقت نفسه منها،
وودَّ أن يصفع خدها بقوة، لذلك الضيق المتمكن منه.

ولكن إن لم يكن حريضاً في معاملته لها، فقد تغضب في أي لحظة

(١) تضع الكيسينج بعد انتهاء مدة التدريب باروكة شعر كبيرة مُصَفَّة على رأسها، كعلامة على أنها
قد أصبحت كيسينج خبيرة.

وتهرب ولا تعود. حينها سيضيع جهده هباءً، بعد أن استطاع الحصول على نصف نجاح على الأقل، بعد خمس محاولات فاشلة.

أعلن استسلامه؛ لا بُدَّ وأن يشتري لها خاتماً في الغد كما طلبت؛ هكذا أذعن في قرارة نفسه.

«حسناً، سنذهب غداً إلى جين-جوجيه لأشتري لك خاتماً. ولكن يجب أن تسمعي كلامي بعدها، هل فهمتِ؟».

«نعم! سمعاً وطاعة، بالتأكيد».

لم يبدُ عليها أي نوع من الخجل على الإطلاق. لقد تملصت من ذراعي السيد الأستاذ يون وصرخت فيه، ولكن لم يعلُ وجهها أي حمرة تشي بالخجل.

«لا بد لك من ذلك».

«لا تقلق!».

«إذا تصرفت بعناد، أو لم تسمعي كلامي كما فعلتِ اليوم، فسأخذه منك، أتفهمين؟».

«اشتره أولاً قبل أن تأخذه مني».

«حسناً! تعالي غداً بعد تناول الغداء، وسنذهب معاً وأشتريه لك».

«سأتي قبل ذلك حتى».

أخيراً، توصلنا إلى اتفاق. في نفس اللحظة، علا صوت تخبط أطباق الطعام الصيني في الصندوق المعدني، ثم دخل سام-نام.

«أحضرت ما طلبته يا سيدي، طبقين من مكرونة الأودونج، و طبقاً من اللحم المقلي الحلو».

ضحكت تشون-شيم بصوت عالٍ. بينما أطلق السيد الأستاذ يون شخيراً من أنفه، ثم تأفف وقال: «انظروا من حضرا!».

يقولون إن الطعام يفقد بريقه إذا ما وقع المرء في الحب. لكن السيد الأستاذ يون، ولأنه لم يتناول عشائه، كان جائعاً لدرجة أنه أكل طبق مكرونة الأودونج بأكمله، ومعه طبق اللحم المقلي الحلو.

كانا قد اتفقا على كل شيء، فظن أن القلق سيرحل عنه، لكنه شعر بالندم لأنه لم يطلب منها أن تشاركه كأساً من الخمر الصيني.

كانت تشون-شيم متحمسة، وهي تتخيل نفسها تضع الخاتم وتباهى به أمام صديقاتها من الكيسينج في مركز التدريب، فأخذت تمسح الأكل من أمامها ملعقة من المكرونة وملعقة من اللحم الحلو.

«ولكن يا تشون-شيم»، قال السيد الأستاذ يون، بعد أن أكل طبق المكرونة وتجشأ بصوت عالٍ، ثم أخذ يسلك ما بين أسنانه مستخدماً خنصره ثم يمسحه في الباب، وبيده الأخرى ينفض لفافة التبغ في المنفضة، «لا تقولي شيئاً من هذا لأحد، أتفهمين؟».

«أقول ماذا؟».

«أقصد.. ما أن أشتري لك الخاتم.. لا تتحدثي عن الأمر، أتفهمين؟ أنا أعني ما أقول».

«نعم، نعم. لن أفعل».

«لا يجب أن تفعل ذلك».

«قلتُ لك، لن أفعل».

«سألتقى وحدي سيلاً من الشتائم، بينما سينهمر عليك سيلاً من الضربات بالعصا. أترغبين في ذلك؟ لذا، لا تقولي أي شيء، أنفهمين؟».

«لا تقلق. ولكن.. أنت تقلق كثيراً يا سيدي، مع أنك كبير وضخم هكذا!».

«أنتِ أيتها اللعوب! فمك هذا يتحدث دون تفكير، لا يعجبني على الإطلاق».

ارتاب السيد الأستاذ يون، وزاد قلقه. كل أمر حسن لا بُدَّ وأن يتبعه شرٌّ ما. لن تنتهي الحسبة أبداً عند سبع وون وخمسين تشون إذا ما عرف والداها. لا بُدَّ أنهما سيتتهزان الفرصة ويهاجمانه، ويحدث الكثير من الأمور البغيضة. وقد يسلبا منه في النهاية ما لا يقل عن مائة وون.

كانت تشون-شيم سعيدة لأنها ستحصل على خاتم، بينما انصب كل تفكيرها على هذا الأمر فقط. كانت تجيب إجابات مُقتضبة على تحذير السيد الأستاذ يون بألا تخبر والديها، وتستجيب له موبخة إياه فقط لما بدا عليه من القلق. لم يعبأ السيد الأستاذ يون ما إذا كانت توبخه، أم أن الأمر قد ينتهي مجدداً بخزي وإهانة، فقد ضاع ماء وجهه منذ زمن بعيد، وأثر أن يصدق كلام حبيته كما هو فهدأت نفسه. وكما يقولون: الحب لا يعرف كبيراً أو صغيراً، والمحب يصدق كلام الحبيب ولا يكذبه.

الفصل الحادي عشر

فائض من الناس ونقص في السلع وأمور أخرى

كان الجد العجوز البالغ اثنين وسبعين عامًا (أو خمسة وستين على حد قوله) يتفاوض مع محبوبته الصغيرة ذات الخمسة عشر ربيعًا، بينما كانت أحداث أخرى تجري داخل المنزل.

كان كيونج-سون يناكف عمه الكبير ذا الخمسة عشر عامًا ويلعب معه، وتناولوا العشاء، ثم استلقى على الأرض الدافئة وتمطى.

رحل كل أفراد العائلة الآخرين، ولم يبق معه في الغرفة سوى عمته الكبيرة، سيدة سيئول سيئة الطباع، والتي لم يكن يتفق معها للأسف، وعمه الكبير الذي لا يطيق رؤيته، والذي لازمه كضيف ثقيل لا يبرح مكانه. كانت سيدة سيئول تقرأ رواية العصر الرومانسية «قمر الخريف المضيء»، وتتنهد بصوت عالٍ، بينما جلس تيه-شيك يتلو الكتاب المدرسي المُقرَّر من قبل السلطات اليابانية «القراءة بلغة جوسون». ووسط هذه الأصوات النشاز المزعجة، عصفت مشاعر مختلطة بكيونج-سون. بدا وكأن ثمة قطرة وكلب وقرد تحت سقف واحد، يلعبون دون أن يتقاتلوا.

كان كيونج-سون غارقاً في تفكيره، ونسي كل ما حوله. وكل ما كان يفكر فيه هو رغبته في مشاهدة إعادة عرض فيلم «كازابلانكا»، أو مشاهدة الفيلم الإخباري عن الحرب اليابانية الصينية الثانية. لكنه لم يكن يملك فلساً واحداً حتى. شغل باله أمران، أولهما من أين سيحصل على النقود، والآخر كيف سيقنع ذلك الشخص بإقراضه. كان هذا كل ما يشغل تفكيره.

العجوز السمين؟! مستحيل!

الفتوة في الغرفة المقابلة؟! مستحيل! كان هذا اللقب الذي أطلقته جدته عليه، لأنه يفتعل الشجار مع أي شخص بالمنزل.

سيده سيئول؟! مستحيل!

زوجة عمي؟! مستحيل!

ديه-بوك؟! لا أعتقد. ذلك العابس اللئيم؛ لا أعرف لماذا يستاء هكذا، وهي ليست أمواله حتى.

أمي؟! لا أعتقد ذلك أيضاً.

كان ديه-بوك ووالدته هما الأكثر ترجيحاً أن يوافقا على إعارته بعض النقود. ديه-بوك هو وزير مالية المنزل، وأمه لأنها أمه.

أيُّعقل أن يتساقط شعره من التفكير، ذلك الشعر الخفيف، قلقاً من أنه لا يملك عشرين أو ثلاثين تشون الآن، وهو سيرث بعد ثلاثين عاماً أكثر من مليون وون؟!!

عاني كيونج-سون من صداع قوي، بينما كانت سيده سيئول تتلوى بألم من نوع آخر، وقد رفعت صوتها وقالت وهي تنشر رذاذ لعابها:

«وفي تلك اللحظة، جاء....».

خرج صوتها رفيعاً جميلاً، وتعمدت أن يخرج بنغمة ناعمة.

«آآخ»، قالت وهي تنفث الهواء من أنفها، وتتنغم بالكلمات.

لا بُدَّ أنها موسيقى ما. من الصعب معرفة أي نوعٍ من الموسيقى هذه، لكنها بالتأكيد موسيقى.

يرغب الإنسان في الغناء، إذا كان هناك ما يشغله. وحتى إن لم يكن هناك ما يشغل تفكيره، فإنه يدندن بموسيقى خفيفة إذا ما شعر بأي نوع من القلق.

كما أنه يغني إذا كان حزيناً، أو سعيداً، بل ويرقص أيضاً. ولكن، ثمة نوع معين من الموسيقى يتغنى به البشر عندما تغشى قلوبهم حاجةٌ ملحة، كشقشقة الطيور التي تبحث عن وليف لها في موسم التزاوج. تلك الموسيقى، بمثابة فطرة تجتمع عليها كافة الكائنات.

لكن البشر لهم فطرة أخرى تطغى على تلك التي لغيرهم من الحيوانات. الشاب في مقتبل عمره، حين يسير في طريقه إلى الجبل لجمع الحطب في يوم ربيعي جميل، يغني مُتَّخِذاً من ضربات قدميه لحنًا:

«ها هو المطر يتساقط هناك، أعلى قمة جبل كالمي...».

والكيسينج التي تعرف كيف تغني، تضرب بأصابعها على الأرض الخشبية المستلقية عليها مُصدرةً أَلحانًا تغني عليها، سارحة الفكر في يوم مطير من أيام الخريف:

«ونحن جميعنا نحيا حالمين...».

فلَمَن يغنيان، سواء أكان ذلك الشاب، أو تلك الكيسينج؟ فوق الجبل وفي الغرفة، حيث لا يوجد أحد؟! هذه هي الإثارة القابعة في النفس البشرية. يغني ذلك الشاب بحثاً عن زوجة في الحقول المجاورة، غناءً مثل شقشقة الطيور، وتغني الكيسينج ليسمعها المحب أينما كان. في هذه المسألة، يتشابه الطير والإنسان؛ كلاهما يغني غناءً نابغاً من الفطرة. ولكن، ما بعد ذلك مختلف.

الإنسان عندما يغني لا يهتم الآخرين، فهو قبل كل شيء يغني لأنه يرغب في ذلك.

هو لا يفكر ما إذا كانت ستسمعه فتاةٌ ما من القرية، وهي لا تفكر ما إذا كان هناك رجل يستمع لأغنيتهما. إنهما لا يضعان ذلك في حسابانهما. كل ما في الأمر، أنهما شعرا بالاضطراب بعض الشيء، فصدحت أصواتهما بالغناء دون شعور منهما. وبعد أن أنشدا، شعرا بشعور غريب، شعرا بالفرح، وبأن ثقلاً قد زال عن صدريهما. هذا هو ما ندعوه يا سادة، حس الإثارة البشري.

وهذا بالضبط ما تفعله سيدة سيئول، وهي تقرأ «قمر الخريف المضيء».

يُقَال إن كونفوشيوس قد قرأ كتاباً ما كثيراً، لدرجة أن حافظة الكتاب الجلدية اهترأت ثلاث مرات، بينما قرأت سيدة سيئول قصة «قمر الخريف المضيء» ما لا يقل عن ألف مرة. ولعلها تخطط لقراءته

عشرة آلاف مرة، فهي لا تتركه من يديها. ومن يعرف؟ فقد تقرأه مائة ألف مرة، أو مليوناً.

لم تكن قراءة فقط، فقد استطاعت سيدة سيئول أن تحفظ «قمر الخريف المضيء» عن ظهر قلب، وبوسعها أن تُسمِّعه كاملاً وهي مستلقية على ظهرها مغمضة العينين. هي للأسف، تتعمَّق وتُسهب في الإطلاع على كتاب ليس بديوان شعر عظيم ولا كتاب مقدس ولا «تعاليم منسيوس»، ولا هو «خلاصة قوانين العالم». كل ما تستطيع سيدة سيئول قراءته بسهولة وسهولة، ليس سوى كتاباً واحداً هو «قمر الخريف المضيء»، فقط لا غير.

وكلما انتابها شعور بسيط بالقلق أو الاضطراب، أسرع لسحب كتاب «قمر الخريف المضيء» واستلقت على الأرض وقرأته بصوت عال.

«في تلك اللحظة، جاء متسول...»، فيأتي صوتها ناعماً مثيراً، كأنه موزون على لحن موسيقي (وكانت كثيراً ما تلوَّى بجسدها وقدميها). وفي بعض الأحيان تتأوه «آآخ...»، وتتغنى بالكلمات. وما إن تقرأ الكتاب هكذا بصوت عالٍ، حتى تنتابها مشاعر غريبة، فهي تبدو سعيدة، وتحس كأن ثقلًا زال عن صدرها. كان هذا ما يُعرَف باسم «حس الإثارة الشرطي» دون شك. إذن، لا يختلف ذلك كله عن غناء الحطَّاب الشاب أعلى الجبل، أو غناء الكيسينج في يوم ممطر من أيام الخريف، على الأرض الخشبية بغرفتها. وكلما كانت الأغنية مألوفة للمغني، صار غناؤها سهلاً عليه. وبالمثل، كان «قمر الخريف المضيء» مألوفاً لعين

وفم سيدة سيئول، وكان يمكنها قراءته بسهولة، وهذا ما كان يعجبها فيه. هي على الأرجح، لم تكن راضية بالكامل عن محتويات الكتاب.

وقد يتساءل المرء: أليس الأيسر على سيدة سيئول أن تستلقي خالية الوفاض وتُسمّع الكتاب؟ ولكن هذا بالتأكيد ليس بالأمر الممتع. الجري دون عربة الركشة، غير ممتع على الإطلاق بالنسبة لمن يجرها. وكذلك، لا يمكن لراقص المراوح الورقية أن يغني دونها، حتى في أكثر الأيام برودة. وكذلك كانت سيدة سيئول؛ لا بُدَّ أن تمسك «قمر الخريف المضيء» المألوف بين يديها وإن كانت تحفظه، لتستطيع أن تتغني بكلماته وتزداد إثارتها، وهذا كل ما في الأمر. لم تعباً سيدة سيئول بسخرية الآخرين منها، أنها تتأوه وهي تقرأه، أو أنها لا تتركه من يدها طوال اليوم وطوال السنة. لم تكن تعباً مطلقاً بما يقولون. كل ما فعلته زيادة هذا المساء، أنها بدأت عاداتها في قراءته مبكراً.

«.. وفي النهاية، لم يبدُ أن هناك أمل في عودته...».

وهكذا وصلت أوبرا «قمر الخريف المضيء» إلى ذروتها، ليقاطعها فجأة صوت غريب كصوت جيتار البيز، وإن كان يصعب معرفة أصله الفني.

«ممم... مطر.. الممم... المطر.. يه.. يه.. يهطل...».

كان تيه-شيك مستلقياً في وسط الغرفة على بطنه، يمسك العدد الأول من «القراءة بلغة جوسون»، ويقرأ جملة «المطر يهطل فينمو الأرز».

قد يكون تشبيهاً مخجلاً لبعض الشيء، لكن صوته ونطقه غير الدقيق بدا كنتيق الضفدع.

كان يقرأ بجدية، جدية مخيفة. اشترى «القراءة بلغة جوسون» العام قبل الماضي، وقد درس محتواه لعامين ونصف العام تقريباً، لكنه نسي كل ذلك بالتأكيد. ورغم أنه نسيه كله، كان يقرأه بعناد وتصميم، وهذا هو ما أعنيه بالجدية.

«ممطر.. المطر.. يهـ هـ.. يهطل.. المطر.. يهطل.. وووو..
والأرز.. الأرز.. الأرز.. آخ، لقد نسيت. يا كيونج-سون!».
«ماذا هناك؟».

«نسيت!».

«وماذا أفعل إن نسيت؟».

لم تكن ثمة إجابة.

«توقف، أرجوك! هل ستدرك العلم كله من كتاب واحد، حتى تتخرج من الجامعة؟!».

«أختي؟».

«...».

«أختي؟».

«...».

«أختي؟».

«ماذا هناك؟».

«لقد نسيت!».

«المطر يهطل، فينمو الأرز».

«ها؟!».

«يا لك من مسكين حقاً! المطر، يهطل، فينمو، الأرز.. ألم تتمكن من فهم ذلك بعد؟!».

«هي هي... المطر، المطر، يهطل، ف فينمو ال ال الأرز. هي هي... المطر.. المطر.. يهطل، ف.. فينمو الأرز».

«يا إلهي، أذناي!».

أدرك كيونج-سون لحظتها أين هو، فنهض بسرعة وقطع الحديقة الصغيرة متجهاً إلى الغرفة الكبيرة بالجزء الخلفي للمنزل، حيث غرفة والدته. كانت زوجة عمه السيدة جو مع والدته بالغرفة يخيطان الملابس ويهمسان لبعضهما بحديثٍ ما. ما إن دخل كيونج-سون إلى الغرفة، توقفوا عن الحديث.

«لماذا لا تدرس بغرفتك، وتتسكع هنا وهناك؟!».

عنفته والدته السيدة بارك دون هدف معين؛ كان ذلك من قبيل العادة.

«إذا ما رغبت في اللعب، فلا بُدَّ أن أغلق الكتاب وأستمتع باللعب بقدر ما أرغب!» قال كيونج-سون بصوت عالٍ، ثم اتجه نحو أكوام الملابس وجلس وسطها. كان الكثير منها مُبَعَثَرًا هنا وهناك.

«ما كل هذه الضجة؟! في المذاكرة دائماً ما تكون الأخير، أما إذا جاء الأمر للعب سبقت الآخرين».

«يا والدتي العزيزة، أعتقد أن إرث عائلتنا سيذهب لأحد آخر إذا لم أدرس بجدية؟ انظري إلى تيه-شيك الغبي، لا يستطيع حفظ جملتين لما يزيد عن شهر. يهطل المطر، فينمو الأرز. لكنه سيرث ما يُقدَّر بألف شوال من الأرز. ألا يمكنني أن أرث عشرة آلاف منها؟!».

«لستَ ماهراً سوى في الكلام! توقف عن هذا الهراء، وذاكر بجدية».

«يكفي فقط ألا أرسب. كل الأولاد المُجِدّون في دراستهم بالمدرسة أغبياء. آه! باستثناء عمي بالتأكيد. أليس كذلك يا زوجة عمي؟!».

كان جونج-هاك عمه الوحيد الذي يَكِنُّ له الاحترام في هذا المنزل لأسباب مجهولة.

«لا تقل هذا!».

قطبت العمة جو حاجبيها، وزمت شفيتها امتعاضاً من حديث كيونج-سون.

«يا إلهي، هل هناك شخص أكثر غباءً منه؟».

«تقولين إن عمي غبي؟ أعتقد أنه الأكثر ذكاءً وفطنة بين أفراد عائلتنا. بالتأكيد باستثناء هذا الكيونج-سون الواقف بين يديكما هنا».

تعالت ضحكاته، ثم استكمل حديثه قائلاً: «بل أنا ذكي لأنني أشبه عمي، أليس كذلك يا أمي؟ أنا ذكي؟!».

«كَيْفَ عن هذا، أيها الفتى! كَفَّ عن العبث، قبل أن...».

استمر كيونج-سون في الضحك بشدة.

«وكيف لرجل عاقل أن يعجز عن الحصول على خليلة تعيش معه؟».

قالت السيدة جو بصوت منخفض كأنها تحدث نفسها، ثم رفعت رأسها وانهمكت في وضع الخيط في ثقب الإبرة. بدت على وجهها تعبيرات دلت على أن غضبها تجاه عمه جونج-هاك على وشك الانفجار في أي لحظة.

«لا يجدر بالرجل أن يتخذ لنفسه خليلة! قد ينتج عن ذلك قطعة حبار خرقاء مثل تيه-شيك. أليس كذلك، يا زوجة عمي؟».

«لا تقل هذا أبدًا! حتى إن لم يتمكن من الحصول على خليلة، أيجدر بالرجل أن يسعى للطلاق ليتزوج من جديد؟ ثم يريد أن يصبح ماذا، رئيس قسم الشرطة؟! آآخ، إنه لا يصلح لشيء أبدًا!».

«آآخ! أعتقد أن عمي يرغب في أن يصبح رئيسًا لقسم الشرطة؟ مستحيل!».

«ولكنه يدرس القانون الآن، ليصبح كذلك؟».

«ليس الأمر كذلك على الإطلاق. هذه أحلام جدي السمين الطائشة! إنه فقط يرغب في التباهي أمام الناس بأن حفيده رئيس قسم الشرطة».

«اسمع أيها الفتى، إياك أن تكرر هذا الحديث مرة أخرى أمام أحد، أتفهم؟!».

كان هذا تحذيرًا شديد اللهجة من والدته كيونج-سون. إذا وصل هذا الكلام إلى مسامع الجد حماها الكبير، فلا بُدَّ أنه سيغضب غضبًا شديدًا، وبالتأكيد سيَطال غضبُ العجوز كيونج-سون، فينال ما لا يرضاه.

ولكن السيدة جو كانت متحفزة، وعلى أتم استعداد لبدء مشاجرة كلامية.

«بالتأكيد، من الأفضل له أن يغيّر رأيه الآن. ليس من السهل على شخص مثله أن يصبح رئيسًا لقسم الشرطة».

«يا عمتي! أكنت تتوقعين فعلاً أن يصبح رئيسًا لقسم الشرطة؟ لو الأمر هكذا، اسرعي واهربي. احصلي على الطلاق، فقد طار الحلم منذ زمن».

«أيها الولد! انتبه لما تقول!» عنفته والدته بشدة، وهي تنظر إليه شَرًّا.

«يا والدتي، اسمعيني أنت أيضًا! لماذا تعدون الطلاق أمرًا سيئًا؟ لو كنت امرأة لتزوجت مائة مرة وحصلت على الطلاق مائة مرة، ولكنك يا والدتي حقًا...!».

«لا أرغب في سماع تفاهاتك!».

«اسمعيني، هناك أمر ما، أَلن تُزوّجي سيدة سيئول؟!».

«أيها الفتى الطائش المجنون!».

«ما كل هذه الضجة والانفعال؟! يجدر بها أن تتزوج، لا أحبها!».

«أيها الفتى، ما هذا الذي تتفوه به؟!».

«اتركيه. كل ما يقوله صحيح. أنا لا أستطيع العيش في منزل حمائي. وفوق هذا، أكاد أصاب بمرض ليس مقدراً لي بسبب أخت حمائي. أعتقد أنني سأزيد في الوزن وأسترد صحتي فقط، إذا غربت عن وجهي تلك المرأة!».

«واو! رائع يا عمتي، أحسنت، هذا ما يجدر بك قوله. لنزوّج سيدة سيئول. وتحصلين أنتِ على الطلاق، ثم تتزوجين رجلاً آخر. ما رأيك يا عمتي؟!».

«أيها الفتى، كيونج-سون!».

«نعم؟».

«هل ستستمر في عبثك هذا؟».

ضحك بصوت عالٍ وقال: «لن أقول ذلك مجدداً. وفي المقابل، ستمنحني خمسين تشون!».

«أنت فتى ماهر فعلاً!».

علت تعبيرات الجذ والحزم وجه والدته، ولكن حركات كيونج-سون العابثة أضحكتهما في النهاية.

«يا والدتي. فقط، خمسين تشون!».

«وماذا ستفعل بالنقود؟».

«يا إلهي! هناك الكثير مما قد ينفق فيه الرجل، خصوصاً أنا، يون كيونج-سو ابن الحفيد الأكبر يون دو-سوب للسيد الأستاذ يون الغني ذائع الصيت».

«ليس معي مال، اذهب لجذك الأكبر وأطلب منه!».

«يا إلهي! وهو يحبني كثيرًا، لدرجة أنه سيغدق عليّ بالأموال!
يا أمي، أرجوك، فقط خمسين تشون!».

«ليس معي مال».

«أيها الفتى! توقف عن هذا!» اعترضهما صوت السيدة جو وهي
تجادله.

«اذهب إلى سيدة سيئول، واطلب منها أن تعطيك المال. فكما يبدو
أن علاقتكما وطيدة، لدرجة أنك تقلق عليها وترغب في تزويجها. هل
ستفرض منحك مبلغاً ضئيلاً مثل الخمسين تشون؟ ليس خمسين تشون
فقط، بل لعلها تعطيك خمسة وون أو ربما عشرة».

بالتأكيد كان حديثها نابغاً من كراهيتها لسيدة سيئول، فقد زمت
شفتيها في سخرية. ولكن حديثها هذا، وجد صدها لدى كيونج-سون،
فلمعت عيناه من الفكرة.

«سيدة سيئول؟ لماذا لم أفكر في هذا من قبل؟ يا إلهي!» قال ذلك،
وأسرع خارجاً من الغرفة.

تابعت السيدة بارك والدته كيونج-سون ابنها وهو يخرج من الغرفة
بنظرات قلقة، وبدا كأنها ترغب في قول شيء ما. ولكن، بعد تردد
قصير، عدلت عن الفكرة.

بعد أن هدأ ضجيج كيونج-سون وخرج من الغرفة، انشغلت
السيداتان في الخياطة، وكل منهما في عالمها الخاص، تفكران في ما
قال.

«آه».

قطع صوت السيدة بارك الصمت، وقد عاد ذهنها إلى الواقع بعد أن أخطأت غرزة الخياطة. أطلقت السيدة جو تنهيدة طويلة، وقد بدا أنها فوجئت من صوت السيدة بارك.
«ومع ذلك، أغبطك كثيرًا».

«....».

«رغم أن زوجك ليس معك هنا، ولكنه لا يزال يَكُنّ لك المشاعر، كما أن لك ولد ذكي هكذا. لا أعرف أي ذنب ارتكبته في حياتي الماضية، ليصبح هذا قدرتي ونصيبي! إن حياة الموت أفضل منها. ظن أبي وأمي حين وافقا على زواجي، أنني سأصبح زوجة حفيد رجل غني، وأنني سأعيش حياة رغدة هنيئة!».
«لا تقولي هذا الكلام الفارغ!».

أجابتها السيدة بارك في محاولة لمواساتها، ولكن لم يكن لديها الكثير لتقوله. لطالما كان هذا حديثهما إذا ما جلسا معًا تتسامران، فينتهي الأمر بالنحيب على قدرها ونصيبيها. وقد ضجرت من سماع ما تقوله، ولم يعد لديها ما تواسيها به سوى نفس الكلام المكرر في كل مرة.

«وماذا عن قدرتي ونصيبي أنا؟ أعتقدين أنه رائع هكذا؟ زوجي يعيش كما يحلو له، فما الفائدة إذا كانت مشاعره نحوي تغيّرت أم لم تتغيّر؟! حسنًا، لدي ابن بالفعل، لكنه كبير وابتعد عن حضني. في

النهاية، أنا وأنتِ متماثلتان في الهم والحزن. ما الفارق؟ كلانا لسنا أكثر من خادمتين في منزل أحد الأغنياء. ما بال هذا المنزل بحق السماء؟!». تحوّل صوت السيدة بارك الهادئ المتزن، وأصبحت نبرته أكثر حدة. وغامت عيناها اللتان ما زالتا تحتفظان بجمالهما.

«ماذا؟ أهذا بيت رجل غني لديه ثروة تُقدّر بالآلاف من أشولة الأرز؟! انظري إلى ملابسنا وإلى أيدينا، هل هذه هيئة ملابس وأيدي سيدتين من طبقة الأغنياء؟».

كانت السيدتان تبدوان بالفعل في حالة مزرية، ما زالت ندوب الجروح بارزة على أيديهما من أثر الأعمال الشاقة في شتاء العام الماضي، ولم تشفَ بعد رغم اقتراب الصيف على الانتهاء. ظلت السيدة بارك ترتدي نفس السروال طوال الصيف، وكذلك السيدة جو في تنورتها القطنية السوداء الخفيفة. نظرت السيدة بارك إلى حالهما، ثم أدارت عينيها ونظرت إلى الأشياء بالغرفة حولها. الشماعة المزدانة بالنقوش، دولاب أوعية الأسرة، الخزانة ذات الثلاثة أدراج، الخزانة بالقرب من السرير، دولاب الملابس. جميع الأثاث داخل الغرفة الكبيرة، كان ثميناً وراقياً.

«بماذا تفيد كل هذه الأشياء؟! يجب أن يكون لدينا الملابس التي نضعها بداخلها لتصبح ذات فائدة! وهل تُغني كل تلك الأشياء إذا لم يكن لديّ قطعة ملابس واحدة جيدة؟ جميعها بلا فائدة. كنت أرغب في أن أكل قطعة من اللحم طوال هذا الصيف، ولم أحصل عليها بعد». لم تكن تواسي سلفتها، بل تهذي بكلام لا طائل منه. انتهت من

الكلام، على كحة خفيفة مفتعلة فُتِح بعدها باب الغرفة، ودخلت أوك-
هوا. كانت أوك-هوا خلية السيد يون تشانج-شيك، وقد أحضرها إلى
المنزل هذا الربيع.

لم تكن كيسيـنج مُخضـرمة، لكنها أمضت عامين في مدرسة للبنات،
وكانت ماهرة بعض الشيء في الرسم. ويبدو أن ما قد نطلق عليه
«مستواها الثقافي»، وإن كان متواضعًا، قد أعجب تشانج-شيك ابن
السيد يون. لكن شكلها لم يكن بالمتواضع على الإطلاق. كان لها وجه
مستدير وجسد صغير، ولكن شيء ما في ملامحها كان يُشعر بالبرودة،
وكانت عينها أسرع للضحك عن شفيتها. قد تُعطي البرودة المحيطة
بها انطباعًا أنها المرأة المثالية المكافحة إلى جانب زوجها، لكن ابتسامة
عينها كانت تجعلها ملائمة أكثر في دور الكيسيـنج التي قد يلهو المرء
معه. بل ولمَّحت شفاتها الممتلئتان لما هو أكثر من اللهو فقط.

كانت أوك-هوا تتردد كثيرًا على المنزل، واستطاعت الاستحواذ
على حب حماها السيد الأستاذ يون بسهولة. كانت تحاول باستمرار
الانسجام مع السيدة كو سلفتها الوحيدة، وكانت علاقتها بسيدة سيئول
والسيدتين بارك وجو جيدة. كانت بالفعل ماهرة وفطنة في علاقاتها مع
الآخرين. كان غريبًا بعض الشيء أن تشانج-شيك قد اتخذها خلية،
وهي ليست بالكيسيـنج المخضرمة. لكن إمكانياتها تلك، هي التي
مكَّنتها من الحصول على رجل لُقطة مثله.

كانت أوك-هوا دائمًا في زي فتاة المدرسة. كيسيـنج في زي فتاة
مدرسة، ليس بغير الملائم على الإطلاق، بل وقد يبدو أن الكيسيـنج

ملتزمات أكثر به من أزياء مهنتهن، ولكن لم يكن لدى إحداهن الشجاعة لتغيير الزي الرسمي بما في ذلك أوك-هوا. ولكن بالنسبة لها ففي النهاية حياتها ككيسينج ليست سوى انحراف بسيط عن الطريق الذي ترغب فيه وقد بدا أنها عادت إلى هذا الطريق وعثرت على روح فتاة المدرسة.

«أنتما منمكتان في الخياطة؟».

علت ابتسامة لطيفة وجه أوك-هوا، وهي تحيي السيدتين وترفع من قدرهما في حديثها. ردتا عليها بأدب، وطلبتا منها الإسراع بالدخول.

«كل الأمور بخير، أليس كذلك؟!».

وضعت أوك-هوا الحلوى التي جلبتها معها، وجلست السيدات الثلاث معاً متقابلات.

«في كل مرة تأتينا مُحمَّلة بأطيب الطعام. لا داع لذلك. ولكننا بالطبع سنستمتع بتناوله ونحن شاكرتين لك!».

قالت السيدة بارك معربة عن شكرها بحرارة. لم يسبق بالفعل أن زارتها أوك-هوا بيدين خاويتين.

«من دواعي سروري. ولكن، هل هناك أي خبر عن زوجك؟» سألت أوك-هوا موجَّهة حديثها للسيدة جو، وقد امتلأت عيناها بالحسرة على حال السيدة الشابة.

«اليوم الذي أسمع فيه عنه، سيكون اليوم الذي تشرق فيه الشمس من الغرب».

«يا إلهي! ماذا نفعل إذا كانت العلاقة بين الزوجين سيئة هكذا؟».

«ما باليد حيلة. ماذا سيفعل بي أكثر؟ هل سيلتهمني حية؟!».

«لا، لا. لا تقولي هذا!» قالت أوك-هوا وهي تمد يدها إلى قطعة بسكويت من التي أفرغتها السيدة بارك أمامهن في طبق.

«كيف لرجل مهذب مثله أن ينأى بنفسه عن زوجته؟ ولكن بالفعل، كلا الأخوان طباعهما هادئة. صحيح، هل هو هنا؟».

«من تعين؟» لم تعرف السيدة بارك قصدها.

«ومن سأعني؟ بالتأكيد زوجك، والد كيونج-سون!».

«وهل عاد إلى المنزل؟».

«تسأليني إن كان قد عاد؟ ألا تعرفين؟!».

«نعم».

«كيف هذا؟!».

«هل عاد؟».

«نعم، عاد، وقد رأيته بنفسه هناك أمام قاعة أومي، حتى أنني سألته متى عاد وأجابني بأنه عاد بالقطار صباح اليوم».

«ولكنه لم يأتِ إلى المنزل بعد!».

«يا إلهي! هناك خطب ما إذن».

ضحكت أوك-هوا، فردت عليها السيدة بارك:

«ليس لهذه الدرجة. لا بُدَّ أنه مشغول بأمر ما ولم يسمح له الوقت بعد بالرجوع إلى المنزل».

كانت السيدة بارك متسامحة، لا تدقق في كل صغيرة وكبيرة.

سكنت الأصوات في الغرفة، وعمَّ الصمت لفترة. كانت السيدة بارك تفكر في زوجها جونج-سو الذي حضر إلى البلدة وما زال يتسكع هنا وهناك، لكنه بالتأكيد سيأتي إلى المنزل في وقت ما وستقبله. وكانت أوك-هوا هي الأخرى سارحة في أفكارها، لقد أتت إلى هنا تصنع حجة لنفسها عن سبب خروجها، وقد صنعتها بالفعل. والآن، عليها قضاء القليل من الوقت هنا، ثم تنصرف إلى المكان الذي تقصده منذ البداية.

كانت السيدة جو تنقل نظراتها بين خواتم أوك-هوا المصنوعة من الذهب الأبيض والذهب والألماس، ويدبها الناعمتين، وجسدها الذي يلفه القماش الحريري. كانت تدقق النظر بها، وتسخر في نفسها من أوك-هوا، وتحتقرها. حتى وإن كانت كيسينج، لا يجدر بها أن تتفاخر بذلك وتُظهره على هيئتها.

ولكن، إذا تعمَّقنا في مكنونات صدر السيدة جو، لوجدنا أنها في الحقيقة تحسد أوك-هوا على مقتنياتها الثمينة وملابسها الجميلة، وعلى هيئتها الفاتنة التي تهتم بها وتوليها الكثير من الاهتمام، وكذلك على راحة بالها وهدوئها، ومُتسَع وقتها الذي يسمح لها بزيارة المعارف وغيرهم.

كانت تحسدها، تحسدها لدرجة خلقت بداخلها عنادًا، وخلق العناد بدوره في نفسها كبرياءً وعزة.

في ذلك الوقت، كان كيونج-سون في طريقه للغرفة الأخرى، ولم ينسَ أن يُحدِّث إزعاجًا أثناء دخوله.

كان المغنيان، سيدة سيئول وتيه-شيك، لا يزالان ينشدان الأغاني.
«لا بُدَّ أن نفعل هذا!».

من أوبريت «قمر الخريف المضيء».
«المطر - ال - مطر يهطل، الأرض - الأرض - الأرض - ي - ي - نمو».
تصاحبها موسيقى إيقاعية مستمرة.

حافظ كيونج-سون على تعبيرات وجه المنزعجة التي اصطنعها،
واستلقى بجانب سيدة سيئول في حذر.
«ماذا تقرأين؟».

«قمر الخريف المضيء»، أجابته سيدة سيئول بلا مبالاة، وهي
مقطبة الحاجبين.

ولكن كيونج-سون كان مصرًّا على الحصول على حاجته.
«أهو ممتع؟».

«نعم، هو كذلك!».

«إذن، لا بُدَّ أن أقرأه أنا أيضًا»، قال كيونج-سون، كأنه يحدث
نفسه.

بعد فترة قصيرة حاول مجددًا:

«هل تناول السيد ديه-بوك عشاءه؟ كنت تحضرين له العشاء منذ
قليل، أليس كذلك؟».

فوجئت سيدة سيئول من حديثه، ولكنها لم تُظهر ذلك، وأخذت
تنظر إلى كيونج-سون.

«نعم. ولكن هل هناك خطب ما؟».

«لا، فقط كنت أفكر في الذهاب إليه إذا كان انتهى من طعامه وأطلب منه أن يعطيني بعض المال».

«....».

في تلك اللحظة، أدركت سيدة سيئول الخطأ الذي ارتكبه منذ قليل عندما كانت تحضر طعام ديه-بوك، لذلك فوجئت من سؤال كيونج-سون. لكنها هدأت، بعدما شعرت أنه لم يدرك الأمر بعد. لكنها لم تكن متيقنة تمامًا، وعزمت على أن تكشف ما في نفسه أكثر، فتوقفت عن غنائها الأوبرالي للحظة، لتتفحص تصرفات كيونج-سون عن كثب. أخذ كيونج-سون يغمغم، وكأنه يُحدث نفسه.

«يا إلهي! ذلك الغبي البخيل».

«....».

«أتمنى لو يلتقى حتفه».

«....».

«ذلك المعتوه كيف له أن يتصرف بهذه الطريقة؟».

«....».

«أتعرفين يا عمتي؟!».

«نعم!».

«ذلك الوجد ديه-بوك...».

«ماذا به؟».

«لم أعد أحتمله، سأقضي عليه».

«ماذا تقول؟ لماذا؟ هل قام بسبك؟!».

«بل قال ما هو أفظع من ذلك!».

«ماذا قال لك لتغضب هكذا؟».

«ذلك المعتوه، أتعلمين أنه يتحدث عنك طوال الليل والنهار؟!».

أحمر وجه سيدة سيؤل، ولم تدر كيف تتصرف.

«وماذا يقول عني؟».

«يقول أشياء كثيرة. عمتك هذه شخص لطيف، وزوجة مطيعة،

وغير ذلك... ويقول أيضًا...».

«وماذا أيضًا؟».

«يقول إنه يرثي لحالك؛ فقط لو كان لديك طفلًا، طفلًا واحدًا فقط،

لما عانيت هكذا. كيف له أن يقول هذا الكلام؟!».

«لقد تخطى حدوده بالفعل! كيف له أن يتحدث عني بهذه

الطريقة؟!».

بدت نبرة صوتها مُهتَزَّة، مقارنة بما يحمله كلامها من معنى. كان

الأسهل لها أن تلوم كيونج-سون الذي نقل هذا الحديث، من أن تعنف

ديه-بولك.

«أنتِ محقة بالتأكيد. لو تناول بالحديث مرة أخرى، سوف أقضي

عليه بنفسِي».

«....».

«بل وسأخبر جدي الكبير ليقطع رزقه من هذا المنزل. يا له من
وغد، يا له من حقير».

«كيونج-سون!».

حاولت سيدة سيئول إخفاء الاضطراب والقلق في صوتها،
فأمسكت بكتاب «قمر الخريف المضيء» مرة أخرى. جاءت نبذة
صوتها منضبطة ورزينة تمامًا، كما يجب أن تكون عليه، بصفتها عمته
الكبرى.

«هل من المناسب أن تفتعل الشجار مع الآخرين؟».

«حسنًا، فهمت»، أجابها كيونج-سون هو الآخر بنبرة متزنة.

«ما قاله ديه-بوك بالفعل يتخطى حدود اللياقة والأدب. لكنك ما
تزال صغيرًا، ولا يصح أن تفتعل الشجار مع الآخرين! حتى إن قال ما
يزعجك، لا تنفعل ولا تنصت لما يقول».

«حسنًا، فهمت ما تقصدين».

«هناك أمر آخر. إذا سمعت حديثًا نافهًا من شخص ما، لا يجدر بك
أن تنقله وتخبر كل شخص تقابله. كل هذه الترهات من الحديث، يجدر
بك أن تسمعها من أذن وتخرجها من الأخرى، أليس كذلك؟».

«نعم، نعم. لن أخبر أحدًا بالتأكيد».

نهض كيونج-سون، واستعدت سيدة سيئول للعودة إلى أدائها
الأوبرالي.

«لا بُدَّ أن عمي الكبير يوشك أن ينهي طعامه!». .

غمغم كيونج-سون وهو يفتح مقبض الباب، وتصنع أنه متردد في الخروج، ثم قال لها بصعوبة:

«يا عمتي!». .

«نعم!». .

«عندي طلب. تعرفين أننا في المساء الآن، ومن الصعب أن أسأل شخصًا آخر». .

«ماذا هناك؟». .

«سأسأل ديه-بوك غدًا وأرد لك المال. أقرضيني اثنين وون فقط!». .

«وماذا ستفعل بكل هذا المال؟». .

«هناك ما أرغب بشرائه». .

لم تسأله سيدة سيئول أكثر. نهضت، وأخرجت مفتاح الخزانة، وفتحت الدرج الداخلي وسحبت منه ورقتين من فئة الـ ١٠٠٠، وأعطتهما لكيونج-سون. .

كانت سيدة سيئول دونًا عن أي شخص آخر، هي من أعطت لكيونج-سون هذا المبلغ الكبير، وهو أمر لا يمكن أن لا يتعجب منه. لم يسبق أن احترم كيونج-سون سيدة سيئول، كما لم يسبق أن عاملت سيدة سيئول كيونج-سون برفق ومحبة. .

«سأطلب من ديه-بوك غدًا، وأرد لك المال على الفور!». .

مد كيونج-سون كلتا يديه في احترام لتلقي المال، فعانته سيدة سيئول على جملة الأخيرة:

«وهل أنا شخص يعطيك مالاً، ثم يطلب منك رده؟ لا تتفوه بالترهات. خذ المال وانفقه كما يحلو لك!».

وأخيراً، حصل على ما يريد.

كان الأفضل لها ألا تسعى لاسترداد المال، حتى وإن أرادت. كما يقولون: يرعى السنور فراخ الدجاج ليأكلها.

قال كيونج-سون إنه سيفعل كما أمرته، ثم ألقى عليها تحية المساء بأدبٍ جم وتمنى لها ليلة سعيدة. وما إن خرج إلى الباحة الخلفية، حتى أخرج لسانه وهو ينظر إلى غرفة سيدة سيئول، وجعد أنفه، وافتعل كل حركات السخرية والعبث التي يعرفها.

كان ينتعل حذائه، حين دقت ساعة الحائط خلفه معلنة الساعة التاسعة. لقد أصبحت التاسعة، وحتى لو خرج الآن لن يستطيع أن يشاهد سوى فيلم «كازابلانكا». فكر في ما يفعل بعد أن فشلت خطته. رغم ذلك، همَّ وأسرع بالخروج من المنزل. سيقدر ما سيفعل بعد خروجه؛ قد يذهب لمشاهدة الفيلم، أو يؤجل ذلك إلى اليوم التالي وينادي رفاقه ليستمتعوا باللهو بواحد وون من المال الذي تلقاه لتوه.

كان الباب الخلفي مغلقاً، لذا قرر الخروج من الباب الثاني حيث غرفة الجد الكبير. استطاع أن يرى تشون-شيم حاضرة في الغرفة عبر الباب الزجاجي. توقف كيونج-سون لبضع لحظات يفكر، ثم خرج من الباب الرئيسي ونادى على سام-نام بصوت عالٍ.

كان سام-نام غارقاً في النوم بالفعل، فلم يجبه. في المقابل فُتح باب الغرفة المجاورة، وأطل منه ديه-بوك ينظر إلى الخارج مستطلعاً مَنْ ينادي.

«هناك امرأة بالخارج تسأل إذا كانت تشون-شيم هنا».

قال كيونج-سون وهو يتصنع نبرة ملاًها الضجر وكأنه يستجيب لطلب أجبر عليه، ثم أسرع بالخروج. وفي نفس الوقت، سمعت تشون-شيم ما قاله وفهمته، وأسرعت هي الأخرى ترتدي حذاءها وتخرج تجاه باب المنزل، قبل أن يتمكن ديه-بوك من الرد.

أعتقد ديه-بوك أن السيد الأستاذ يون سمع ما قاله كيونج-سون مثلما سمعه، ومثلما سمعته تشون-شيم مصدقةً إياه.

خرجت تشون-شيم من المنزل، ونظرت حولها في الشارع الذي سطع به ضوء عمود الإنارة. إذا كان هناك من جاء يسأل عنها، فلا بُدَّ أنها والدتها. أين ذهبت؟ في تلك اللحظة، أطلق كيونج-سون سعالاً فارغاً، وتوجه ناحيتها قادمًا من الزقاق الضيق المجاور.

أدركت تشون-شيم لحظتها أنها خُدِعت، وكانت على وشك الغضب لكنها غيّرت رأيها. كانت بالأحرى سعيدة بذلك، وأخذت تضحك في سرور، وتبعت كيونج-سون الذي ضحك هو الآخر.

«أين أمي؟».

«لا بُدَّ أنها في منزلكم، أين ستكون مثلاً؟».

«لا أعرف! ولكن، ما رأيك أن أعود للداخل وأخبر السيد العجوز بما فعلت؟!».

«ماذا؟ أنت غارقة في الحب لرأسك! هل سيصبح لي جدة كبرى
عما قريب؟!».

«ماذا تقول أيها الوغد؟!».

اقشعر جسد تشون-شيم من الاضطراب. ظنت أن كيونج-سون
ربما قال هذا لأنه سمع ما تحدثت عنه لتوها مع العجوز يون، واشترطها
عليه بأن يشتري لها خاتمًا مقابل أن ترضى بمواعدته. لذا افتعلت ضجة
أمامه، فهي في النهاية امرأة وجميعهن بالفطرة قادرات على التمثيل،
تمامًا مثلما يعرف السلطعون كيف يقرص منذ ولادته.

«أنت حقًا لا تعرف لماذا آتي إلى هنا كل يوم وليلة؟ أحبًا في ذلك
العجوز البغيض؟! أنت لا تعرف ما في قلبي...».

لم تكن تشون-شيم بالفعل، كما اعترفت منذ قليل، تأتي لهذا المنزل
من أجل العجوز البغيض. إنها تأتي وتتناهى بمقابلة السيد الأستاذ يون،
وتكون هذه حجتها، لترى ابن حفيده كيونج-سون. ولكن، هذا أمر لا
تستطيع تشون-شيم نفسها أن تجزم به. وربما الأسهل أن نقول إنها تأتي
لرؤية كل من السيد الأستاذ يون، وكيونج-سون.

ولكن، على الأقل في هذه اللحظة التي لم تستطع تشون-شيم منع
قلبها أن يخفق بشدة بسبب كيونج-سون، كانت امرأة بمعنى الكلمة.
ليس هناك امرأة، باستثناء الحمقاوات بالطبع، لا تستطيع خداع رجل
ببساطة.

قابلت تشون-شيم كيونج-سون في المرة الثالثة لقدمها لهذا

المنزل. كان وقت الغروب تقريبًا، حينما دخلت تشون-شيم إلى غرفة السيد الأستاذ يون وتوقعت أن يكون بها. ولكن من قابلها هناك لم يكن سوى صبيًا يافعًا يجلس أمام الطاولة ويلعب بأزرار جهاز المذياع. فوجئت قليلًا، ولكن الفتى كان وسيماً، فتمنت لو قضت بعض الوقت معه في اللهو. وفي نفس اللحظة، اعتقد كيونج-سون أن جده الأكبر السمين عثر عليه، وفوجئ كثيرًا هو الآخر، لكنه هدأ حين عرف أن من دخل الغرفة ليس إلا تشون-شيم. أخذوا يتحدثان في بعضهما البعض.

فكر كيونج-سون أن هذه الفتاة ليست كالأخريات اللواتي اعتدن التردد على غرفة جده الأكبر. كان يكره حتى النظر إليهن. أما هذه الفتاة، كانت جميلة ولطيفة بشكل غير عادي، وتمنى هو الآخر لو أن بإمكانه قضاء الوقت في اللهو معها.

وكما يقولون: الانطباع الأول هو الأهم في الحب. ولا شك أن كلاهما حصل على الدرجة النهائية في تلك النقطة.

استمر في التحديق لبعضهما البعض فترة من الوقت؛ هي في مكانها تمسك بمقبض الباب، وهو أيضًا في مكانه يتحسس أزرار المذياع.

«من أنت؟».

بدأ كيونج-سون الحديث. وقف يسألها، كأنه يفرض سلطته على المكان، على عكس ما كانت تفيض عيناه به من ميل ورغبة.

«ومن أنت؟».

جاء صوت تشون-شيم كذلك قويًا متزنًا. على الأقل هي تأتي إلى

هذا المنزل بدعوة من أكبر أفرادِه سنًا، من العجوز الأسمن والأضخم بينهم. كانت في داخلها تتحدى ذلك الصغير المشاكس، وتعلمه بأن لا فائدة له أمام عجوزها السمين.

تقدم كيونج-سون تجاه تشون-شيم، وقد شعر بانزعاج عظيم.
«حسنًا! أنا السيد الصغير بهذا المنزل!».

أطلقت تشون-شيم ضحكة ساخرة من أنفها، وأجابته:
«من الجيد إذن أنك السيد الصغير. لو كنت السيد الكبير بهذا المنزل لقتلتني!».
«أنتِ أيتها الماكرة!».

«ماذا، ماذا ستفعل بي؟ أتحاول فرض سيطرتك كفرخ دجاج صغير؟!».

«انظروا لهذه الفتاة! هل ترغبين في تذوق لكمة من لكماتي؟».

«وهل تستطيع أن تضربني يا هذا؟».

«هل ترغبين في تجربة الأمر؟».

«حسنًا!».

«أنتِ أيتها اللعينة!».

اقتربت قبضة كيونج-سون من وجه تشون-شيم التي ظلت ساكنة ولم تتحرك، بل وقفت أمامه تضحك. ولكن، كل ضحكة تختلف عن الأخرى؛ بالتأكيد، كانت هذه الضحكة تُظهر ميلها ورغبتها فيه.

«هاها! انظر لنفسك!».

أنزل كيونج-سون قبضته، وضحك هو الآخر. كانت ضحكته كذلك تلمح للميل والرغبة، كضحكات تشون-شيم.

«لماذا لم تضرب؟!».

«وهل سينفعني شيء لو بكيت؟!».

«ولم قد أبكي؟».

«ما اسمك؟».

«لكنك تعرفه!».

«أنا، أعرفه؟!».

«بالطبع!».

«أنا؟».

«وأنت، أنت ماذا تفعل؟».

«حسنًا أنت من بدأت! هاهاها! وسيدتي هنا، من أنت؟».

«من تدعو بسيدة هنا! هي هي هي...».

تعالّت ضحكاتهما، ثم كرر كيونج-سون سؤاله:

«حقًا، ما اسمك؟».

«تشون-شيم».

«أممم! تشون-شيم، حسنًا. وما عمرك؟».

«خمسة عشر».

«رائع! نحن من نفس العمر!».

«أحقاً؟».

«نعم!».

«واسمك؟».

«كيونج-سون».

«السيد كيونج-سون».

«السيد كيونج-سون! ما هذا؟ أهو اسم ممثل؟!».

«لا يمكن! كيف يا سيدي الصغير تقارن اسمك بشيء وضع
هكذا؟!».

«كيف له أن يكون وضعياً؟!».

«ومع ذلك، لا يصح أبداً».

«وماذا ستفعلين؟».

«أترغب في أن أضربك؟!».

واجهها كيونج-سون، ورفع قبضته مجدداً، ولكنها كانت ناعمة
بالتأكيد وتختلف كثيراً عن التي رفعها منذ قليل. كانت تشون-شيم
تدرك جيداً أنه لم ينو أبداً أن يضربها. ورغم ذلك، تمادت في تمثيل
الخوف منه، وهي تعلن استسلامها بأنها لن تفعل ذلك مجدداً.
«لن تفعلي ذلك مجدداً حقاً؟».

«نعم!». .

«حسنًا. هناك شيء آخر». .

«ماذا؟». .

«فقط.. أرغب في أن أعرف.. هل أنت كيسينج؟!». .

«نعم!». .

«تترددن على المنازل، وتركبين عربة الركشة؟!». .

«نعم!». .

«وماذا بعد ذلك؟». .

«ماذا؟». .

«تترددن على المنزل وتركبين عربة الركشة، وماذا بعد ذلك؟». .

«أعني أمام الضيوف، وأشرب معهم الخمر». .

«وبعد ذلك؟». .

«حين ننتهي من اللهو، أركب عربة الركشة مجددًا وأعود إلى

المنزل». .

«أهذا فقط؟». .

«فقط؟». .

«وماذا عن المال؟ ألا تتلقين المال في المقابل؟». .

«ولماذا لا أتلقى المال؟». .

«كم تتلقين إذن؟».

«أتلقي واحد وون وخمسين تشون في الساعة».

«هذا كثير بالفعل! وكم ساعة تعملين؟».

«ليس هناك عدد ساعات معين».

«وترتدين نفس هذه الملابس عندما تعملين؟!».

«هل ستعنفني؟! أرتدي الملابس الفضفاضة وتنورة طويلة!».

ضحك كيونج-سون، وضحكت معه بدورها.

سمعا في تلك اللحظة سعال السيد الأستاذ يون عند الباب، وانتهى هذا المشهد في لحظته على هذا الحال. ولكن، لم ينس كيونج-سون أن يطلب منها لقائه مجدداً:

«تعالى إلى غرفتي في المبنى الخلفى، ها؟ لا بُدَّ أن تأتي!».

ومن بعدها، زادت سرعة تقاربهما. كان مسرح علاقتهما في الأغلب غرفة كيونج-سون في المبنى الخلفى لمنزل السيد الأستاذ يون، وصالة عرض الأفلام، ومطعمًا صينيًا ذي باب خلفى في حي آن-دونج. خلال فترة تواعدهما، أهدى كيونج-سون تشون-شيم علبة بودرة تجميل ماركة «كوتي»، مع زجاجة عطر من نفس الماركة. أما تشون-شيم، فقد أهدته منديل يد حريريًا أبيض، خاطت عليه اسمها واسمه بنفسها. وهذه حكاية العلاقة بين هذين الاثنين. أما تكملة ما حدث بينهما تلك الليلة في الزقاق الخلفى، فكان كالتالى....

أدرك كيونج-سون أن مزاحه مع تشون-شيم تخطى الحد، فندم

على ذلك وصدقها (وإن كان في الحقيقة، لم يشك فيها منذ البداية).
إن الإنسان غريب حقاً. يبدو أنه ليس على وجه البسيطة رجل لا تنطلي
عليه خدع النساء.

«لنذهب للسينما!».

عرض كيونج-سون الأمر على تشون-شيم بدون مقدمات.
ضحكت تشون-شيم، وهي التي كانت تتصنع الغضب، رغم أنها كانت
ستضحك وتوافقه حتى وإن كانت غاضبة بالفعل.

«ولكن الوقت تأخر؟!».

«ما المشكلة؟».

«والسيد العجوز؟».

«يمكن أن نختلق أي عذر».

طارت تشون-شيم من السعادة، وعادت إلى غرفة السيد الأستاذ
يون، وقالت له وهي واقفة عند عتبة الباب:

«سيدي، عليّ العودة إلى المنزل».

«ماذا هناك؟».

نظر السيد يون إلى الخارج من النافذة الزجاجية.

«هل استدعاك أحدهم؟».

«نعم! والدي مريض، وأتت أُمي لتأخذني معها إلى المنزل».

«إذن، اسرعي بالذهاب إلى المنزل. ماذا أصابه؟».

«لا أعرف بعد. أصابه خطبٌ ما فجأة».

«لا بُدَّ أنه قد أكل شيئًا فاسدًا فأصابه المغص!».

«لست متأكدة يا سيدي».

«حسنًا، أسرع بالذهاب. إن كان مغصًا، عودي وخذي الدواء من

هنا».

«حسنًا».

«هيا، أسرع وعودي إلى المنزل. لا تنسي أن تأتي صباح غد، حتى

نشترى الخاتم معًا!».

«حسنًا».

«لا بُدَّ أن تأتي!».

«نعم، سأتي بالتأكيد».

«سأنتظرك، لأشترى لك الخاتم».

«نعم يا سيدي، عمت مساءً!».

«هل ستذهبين وحدك؟».

«نعم، لا مشكلة».

«إذا خفت، اصطحي معك سام-نام».

«وماذا هناك لأخاف؟ لا داعي لذلك».

«حسنًا. اذهبي بسرعة إذن، وتعالى غدًا وقت الظهر، لنذهب إلى

حي جين-جوجيه لنشترى الخاتم. أفهمتِ؟».

«نعم!».

«مع السلامة».

«مع السلامة يا سيدي وعمت مساءً».

«نعم، نعم. اذهبي، هيا، وتعالى غداً، وسنذهب لنشتري الخاتم».

كان السيد الأستاذ يون لا ينفك يذكر الخاتم في حديثه. لا بُدَّ أنه شعر بقلق عظيم من مرض والدها. إن لم يسترد عافيته حتى الغد، سيكون عليه أن يؤجل خططه لمواعدة تشون-شيم مجدداً. كان مستعداً لأن يقدم لوالد خليلته المستقبلية دواءً غالي الثمن، حتى لا يخاطر بأي تأخير.

كان الجد الأكبر وابن حفيده يتشاركان اللهو مع نفس الفتاة. لا بُدَّ أن نقول إذن إنها خطة ذكية لتقليل تكلفة الاستهلاك. ورغم أن استراتيجية تقليل تكلفة الاستهلاك قد تبدو جيدة، فإن بداخل ذلك المنزل بالتحديد كان تعداد النساء زائداً عن الحد. (حسناً، إنه أمر مثير للشكوى والتبرم). ولكن النساء القادמות من الخارج كُنَّ أقل عدداً. لا بُدَّ إذن من وضع حد لتقليل الاستهلاك. (ولنفس السبب بالتأكيد، يكذب عجوز في السبعين مدعياً أنه في الخامسة والستين، بينما تحاول فتاة صغيرة لم تتعد الخامسة عشر أن تسيطر عليه). وينتهي الأمر بنا إلى ظاهرة لا يمكن تفاديها، يمكن أن نطلق عليها، بمصطلحات العصر الحديث، «تفاوت في الزيادة والنقص بين العرض والطلب».

الفصل الثاني عشر

المُختَصَر المفيد في تاريخ التجارة العالمي

وفي نفس الليلة، وبعد أن تخطت التاسعة وخمس دقائق، أي تقريبًا في الوقت التي خرجت فيه أولك-هوا الخليفة الثانية لتشانج-شيك، كانت قد مرّت ببيت السيد الأستاذ يون وقابلت كُتَّبه وأنّته حديثها معها، وأخبرتَها أنّها قابلت جونج-سو في الصباح عند قاعة أومي. لكن ذلك الأخير لم يكن قد عاد إلى المنزل بعد. في نفس ذلك الوقت، كان جونج-سو يقابل قوادًا في منطقة مواخير عرّفها عليه مساعده الفارع.

جونج-سو، بالتأكيد غني عن التعريف؛ الحفيد الأكبر للسيد الأستاذ يون، والابن الأكبر لتشانج-شيك، ووالد كيونج-سون، وهو من أشجع أفراد عائلة يون وأكثرهم شرفًا. عاد إلى مسقط رأسهم لكي يعمل في مكتب المركز استعدادًا ليصبح محافظ المنطقة. وبالإضافة إلى ذلك، فهو بالطبع أخو جونج-هاك طالب الحقوق في إحدى الجامعات بطوكيو، والذي يستعد ليصبح رئيسًا لمركز شرطة.

كان في الصين قديمًا حاكمًا يدعى دان، ابن الملك وين من أسرة زو والأخ الأصغر للملك وو، وكذلك عم الملك الحاكم وقتها. سمح له أصله الرفيع أن يحكم أرضه ويقود قومه. وجونج-سو لا يختلف عنه قدرًا، بل قد يزيد. لكن الغريب في الأمر، أن يحاول جونج-سو ذائع الصيت هذا الحصول على ليلة عابرة، بل ويأتى بنفسه إلى منطقة المواخير سيئة السمعة ليقابل أحد القوادين، ولا بُدَّ لنا أن نتساءل عن السبب.

جونج-سو البالغ تسعة وعشرين عامًا، كان وسيماً، وقد ورث ذلك عن عائلته، لكنه كان ضعيف البنية. إذا ما رآه عرَّاف ممن يقرأون الطالع من وجوه الناس، لقال إن له المال والثراء. ولكن، لا أحد يعرف، إذ أن حتى علوم قراءة الطالع قد أصابها الخرف. يبدو أن المال والثراء في هذه الأيام، تذهب إلى أصحاب الوجوه العكرة فقط.

انتقل جونج-سو إلى سيئول وهو في السابعة عشر، ليدرس من أجل امتحان القبول بالمدرسة الثانوية، لكنه رسب واضطر إلى الإعادة. مكث هناك عامًا آخر، وكان يتردد على مركز تعليمي للتحضير للامتحان. أو بدا أنه يفعل ذلك، إذ سرعان ما رسب في ذلك العام أيضًا. أعاد الامتحان وهو في التاسعة عشر للمرة الثالثة. وفي العام التالي، وقد أصبح في العشرين، لم يعد باستطاعته إعادة الامتحان مجددًا مع الطلاب الآخرين الذين كانوا في الرابعة والخامسة عشر. وحتى إن حاول دخول الامتحان، ما كان ليلقى أي دعم ليفعل ذلك. ولكن في ذلك العام تحديدًا، بعد أربعة أعوام من المحاولة والرسوب، نجح

شقيق جونج-سو في الامتحان بمعدلات مرتفعة متفوقاً على الجميع، وكأنه يداوي بذلك جروح أخيه الأكبر، وتمكن من الالتحاق بالمدرسة الثانوية.

وفي أثناء ذلك، انتقلت العائلة بأكملها إلى سيئول، وسيطر خجل الرسوب على جونج-سو، فادعى أنه لا يرغب في استكمال تعليمه من الأساس. كان من الواضح ما قد يفعله شاب من عائلة ثرية وقد أعلن انقطاعه عن الدراسة؛ لم يعد هناك شيء يفعله سوى شرب الخمر واللهو مع النساء. بالطبع، عصف القلق بالسيد الأستاذ يون، فحفيدته الصبي الصغير الذي لم يخرج من البيضة بعد عرف الطريق إلى الخمر والنساء. خاف أن يضيع منه، وخاف أكثر على ماله العزيز الذي يبذره حفيدته هنا وهناك دون حساب. وأكثر ما نغص عليه حياته، ضياع حلمه الذي طالما تطلع إليه، أن يصبح أحد أحفاده محافظاً للمركز في مسقط رأسه.

لكن السيد الأستاذ يون لم يكن بالضعيف المستسلم، الذي قد يتخلى عن هدفه من محاولة فاشلة. استمع لمشورة الآخرين وفكر كثيراً، وبعدها تيقن أن طريق الوصول إلى منصب محافظ المركز عن طريق النجاح في التعليم غير متاح، والطريق الوحيد المتبقي هو البدء من أسفل السلم كموظف بمركز الإدارة، ثم الترقى لمسؤول إداري بالمركز، وصولاً في النهاية إلى منصب المحافظ. تمكن من الحصول على وظيفة لجونج-سو بمركز الإدارة، والفضل يرجع لمعرفة الجيدة بمحافظ المركز الحالي العجوز ومحافظ المدينة. وفي حال أثقن

جونج-سو عمله، ستكون مسألة وقت قبل أن يترقى إلى مسؤول إداري، ثم في النهاية يصبح محافظ المركز أخيرًا.

وبالفعل، استجاب محافظ المركز لطلب السيد الأستاذ يون ومنح وظيفة لجونج-سو بمركز الإدارة، كما تعهد بمساعدته إلى أن يحقق غرضه. أما جونج-سو، فلم يكن لديه رغبة في أن يصبح محافظ المركز، ولكن كان هذا خيارًا أفضل له من البقاء تحت مراقبة السيد الأستاذ يون ليلاً نهارًا، فارتاح للعودة إلى مسقط رأسه، بشرط أن يحصل على مصروف شهري من المنزل يبلغ مائتي وون بالإضافة إلى ستة وعشرين وون، راتبه كموظف. وها قد مرت ثلاثة أعوام كاملة، منذ حصوله على الوظيفة.

خلال تلك الأعوام الثلاثة، أنفق السيد الأستاذ يون بنفسه على مستقبل جونج-سو الوظيفي ما يقرب من ثلاثة عشرة ألف وون. ووصل المبلغ الذي أخذه جونج-سو بنفسه، بحجة صرفه من أجل الوصول إلى منصب أعلى، عشرين ألف وون. بذلك يصبح المبلغ الإجمالي أكثر من ثلاثين ألف وون. بيد أن لا أحد يعرف مصير العشرين ألف وون التي أخذها جونج-سو، إن كان قد صرفها على نفسه، أم ذهبت لمكان آخر.

لكن الحسبة لا تنتهي بثلاثين ألف وون بالتأكيد؛ هناك المائتان وون التي تُدفع مصروفًا لجونج-سو كل شهر، وبمرور ثلاثة أعوام أصبح المبلغ الإجمالي لها سبعة آلاف وون. ويضاف لذلك، مرتين قام فيهما جونج-سو بتزوير ختم السيد الأستاذ يون، ورهن أرضًا لهم مقابل الحصول على عشرين ألف وون. ومن أجل استرداد سندات الملكية،

اضطّر السيد الأستاذ يون إلى دفع خمسة وعشرين ألف وون، بمعدل ثمانية تشون كفاءة على اليوم الواحد. وغير ذلك، وقّع جونج-سو أيضًا على تعهدات قروض ست مرات لأصدقائه باسم السيد الأستاذ يون، (وبالطبع كان الختم مزورًا). وفي الحالتين السابقتين، كلفه جونج-سو مبلغًا يصل إلى سبعين ألف وون، رغم أن ما أنفقه ذلك الأخير منها بنفسه بالفعل لا يتعدى عشرة آلاف وون.

كان السيد الأستاذ يون ضحية خداع حفيده جونج-سو، لكنه لم يتمكن من فعل شيء حيال ذلك. إن هو قرر الامتناع عن الدفع، سيذهب جونج-سو إلى السجن. لن يضر هذا بسمعة العائلة فحسب، بل سيأخذ حلمه، بأن يصبح أحد أحفاده محافظ المركز، بعيدًا ويطيّر. كما يقول المثل: «على العطشان حفر البئر»، ولذلك توجب على السيد الأستاذ يون أن يتكفّل بحل كل مصائب جونج-سو، فيدفع من ماله ما يتجاوز المائة ألف وون.

كان السيد الأستاذ يون يستدعي جونج-سو في كل مرة، وقد اشتد غضبه وأوشك على الانفجار، ليسأله أين صرف كل هذا المال، ناعيًا إياه باللص الحقيّر. وفي كل مرة، كان جونج-سو يرد عليه بأنه أنفقها من أجل الارتقاء في مستواه الوظيفي ليصبح محافظ المركز، فيرد عليه جده سائلًا عن السبب الذي دفعه لاقتراض المال من المرابين ودفع الفوائد الغالية بدلًا من الرجوع إليه، فيجيبه جونج-سو مُذكرًا إياه أنه هو من يرفض إعطائه المال كلما سأله. بالطبع لم يعطِ السيد الأستاذ يون أذنه لحجج جونج-سو، غير أن حجج ذلك الأخير لطالما كانت منطقية.

يمكن بالطبع معرفة مدى عظمة الحصول على مركز نبيل كمنصب محافظ المركز، من المبلغ المالي الضخم الذي أنفقه السيد الأستاذ يون في سبيله. ولكن ظل الحال على ما هو عليه؛ جونج-سو ما زال موظفًا في المركز الإداري، ولم يترقَ إلى أي منصب أعلى. وكل ما زاد عليه، هو ثلاثة وون أُضيفت لراتبه الشهري، ليصبح تسعة وعشرين وون.

الطريق لا يزال طويلاً ومُرهِقًا، وخصوصًا على السيد الأستاذ يون ذي الطبع المتعجل. لكن الواقع أمر آخر، والعملية بأكملها قد تحتاج إلى عشرة أعوام على الأقل: أربعة للترقي من موظف بالمركز الإداري إلى موظف بمبنى البلدية، وثلاثة أخرى للترقي إلى وظيفة مسؤول إداري، وبعدها ثلاثة أعوام إضافية للترقي إلى رتبة محافظ. لذلك، لم يكن بوسع السيد الأستاذ يون سوى الاستمرار بجِد في مساعيه.

كان المستفيد الوحيد من كل ذلك هو جونج-سو. لم يكن عمله سوى حجة ليبقى في القرية، حيث يقضي وقته بين الخمر والنساء، ثم يعود إلى سيئول من خمس لست مرات في الشهر، يأكل كما يشتهي ويستلقي في كسل بلا عمل. كان يحصل على ما يريده من مال من جيب السيد الأستاذ يون، ولم يتردد في إنفاق الكثير أو القليل ليكفي احتياجاته، ويزيد. وإذا احتاج المال، كان يحتال على أفراد الأسرة، أو يلجأ إلى جده مُطالبًا بالمال بحجة الإنفاق على تربيته في السلم الوظيفي. كانت عودته هذه المرة إلى سيئول لنفس الغرض، إذ لم يتبق سوى أيام قلائل على مهلة إعادة مبلغ الألف وون التي أوكله بها زميل له بالمركز الإداري. إضافة لذلك، رغبته في الاستمتاع بشرب الخمر، خصوصًا

مع زيادة برودة الجو، ولذا عاد إلى سيئول ليحقق أغراضه. لكنه كان عاثرَ الحظ منذ بداية اليوم، حين بدأت جميع مخططاته تسير عكس ما يشتهي، منذ فجر ذلك اليوم، وهو في محطة القطار.

بادئ ذي بدء، لم يحضر خادمه الفارع بيونج-هو لاستقباله في المحطة، رغم أنه أرسل له بالأمس برقية يخبره فيها بموعد عودته. إن جونج-سو لا يستطيع أن يحقق أي من ملذاته، سواءً كانت الحصول على المال أو شرب الخمر أو الحصول على فتاة لقضاء الليل معها، بدون مساعدة خادمه فارع الطول. كان هو من يصرف له الصكوك المصرفية، ويحجز المطاعم الصينية مع الكيسينج، ويدفع حساب المطعم، ويتفاوض على مستحقات الكيسينج. ولذا، كان أكثر ما يحتاجه جونج-سو في سيئول هو خادمه الفارع، وليس النقود فقط. ومن أجل ذلك بادر بإرسال خبر مسبق بموعد عودته، إلا أن خادمه لم يكن في استقباله. ظن جونج-سو أن ربما يكون خادمه قد أُلْمِتَ به وعكة صحية، أو ربما يكون في مهمة خارج المدينة، فأصابه اليأس. لكنه لم يستسلم، وقرر الذهاب بنفسه لمنزل الخادم الواقع بسفح الجبل، لربما يكون هناك.

لم يكن الخادم بالمنزل. أخبرته زوجته أنه خرج بالأمس، وأنه قد ذكر أن وراءه عمل ينجزه، إلا أنه لم يعد من وقتها. يبدو أن الخادم ليس في مهمة خارج المدينة. اطمئن جونج-سو، وطلب من زوجة الخادم أن تُبلِّغه بأن يلقاه فور عودته، ثم توجه إلى النزل حيث اعتاد النزول كلما حضر إلى سيئول حتى قبل ذهابه إلى المنزل.

تناول جونج-سو الطعام في النزل، ثم استلقى ونال قسطاً وفيراً من الراحة، إذ أنه لم يتمكن من النوم بالأمس نظراً لأن عربات النوم في القطار جميعها كانت محجوزة. علاوة على ذلك، رأى ضرورة لشحن الكثير من الطاقة التي يحتاجها للهو في المساء. كما أنه لم يكن باستطاعته فعل أي شيء دون خادمه؛ لقد كان كالأعمى بلا عصا. ولذا، كان خيار قيلولة الظهر هو الأكثر ملاءمة له.

غرق في سبات عميق، حتى تخطى الوقت منتصف النهار فاستيقظ. لم يكن خادمه قد حضر بعد. عاد جونج-سو إلى منزل الخادم أسفل التل، ولكن ذهابه كان بلا طائل، فقرر أن يتجول في المدينة ويبحث عن الخادم بنفسه. ولسوء حظه، قابل أوك-هوا أمام قاعة أومي. في النهاية، عاد إلى النزل وانتظر حتى الرابعة عصرًا، فأصابه الملل، وأخذ يفكر في الذهاب إلى المنزل ليطلب من جده العجوز يون الألف وون التي يحتاجها. وبينما كان مترددًا في أمر الذهاب، اليوم أم الغد، أتاه خادمه الفارع مسرعًا.

«آسف جدًا!».

دخل بيونج-هو الغرفة بوجهه الطويل كوجه الحصان، وضحك بصوت عالٍ كصوت البقرة.

«بحق السماء، أين كنت تلهث بفمك هذا طوال الليل؟».

أخذ جونج-سو ينظر إلى الخادم الفارع كعمود الإنارة، ثم زجره بحديثه وهو مستلقٍ مكانه لا يكلف نفسه حتى عناء الجلوس. وبدأ أنه ورث عن جده السيد الأستاذ يون مهارته في إهانة الآخرين. ولكن، لا يمكن لومه، فهذا ما تَرَبَّى عليه.

كان بيونج-هو من نفس بلدة جونج-سو، ولكنه يكبره بخمسة عشر عامًا؛ أي تقريبًا في عمر والده. كان والده تشانج-شيك في السادسة والخمسين، بمعنى أنه لا فرق بينهما. ربما الأرجح أن نقول إن جونج-سو تنقصه التربية بالفعل، فبدلاً من أن يحترم بيونج-هو، أهانه بقوله هذا. ولكن في حقيقة الأمر، كان بيونج-هو أيضاً من النوع الذي يثير سخط الآخرين بحديثه.

«عثرتُ على دجاجة تبيض ذهبًا، فاستغرق الأمر بعض الوقت للحصول على ما يمكن منها».

«لهذا السبب ذهبت إلى المنزل خارج المدينة؟!».

«نعم».

«وتذوقت طعم البيضة، أليس كذلك؟!».

«أفقدت عقلك؟! عجوز مثلي لا يسعى خلف النساء!».

«كيف ذلك؟ أتقول لي أن الكلاب قد تتوقف عن النبح؟!».

وهكذا، أخذًا يتقاتلان بالكلام. في النهاية، لم تكن طريقة معاملة جونج-سو لبيونج-هو بسبب أنه وضع جاهل، بل بسبب شخصية ذلك الأخير الهازلة. وبذلك كانت طريقته تلك سبيله الوحيد للتعامل معه. بيونج-هو أيضاً كانت لها حجته، إذ كان يكرر دائماً أن من أجل خدمة الآخرين، لا بُدَّ أن يتقرب منهم ويكسر الحواجز معهم، وأن هذا هو عين عمله.

«يجب أن تدبر لي بعض المال!».

«سأحاول، كم المبلغ المطلوب؟».

كان بيونغ-هو دائماً واثقاً في رده.

«حسناً. على الأقل ألف وون، بالإضافة إلى خمسمائة أخرى».

«هل ستصرفها كلها اليوم؟».

«أحتاج الألف وون قبل مساء يوم الغد، ولكنني أحتاج الخمسمائة الليلة».

«لنحاول إذن. ولكن المصرف أغلق أبوابه، ماذا نفعل إذن؟!».

«كان يجدر بك الحضور قبل الظهيرة! ولكنك كنت تلهث هنا وهناك».

«أيها الصعلوك أنت حقاً تثير غضبي. حسناً، هل رأيت امرأة تغسل ملابسها وهي تعلم أن السماء ستمطر! أنت من كان يتوجب عليه أن يُرسل البرقية في وقت مبكر عن هذا».

«حسناً، دعنا من الكلام الذي لا طائل منه. اسرع، واعثرنا لنا على مخرج».

«كف عن استعجالي إذن، واسرع أنت، ووقّع الصك المالي».

«حسناً، ولكن هذه المرة.. أعتقد أن لا بُدَّ أن نستخدم توقيعني أنا فقط، حتى وإن كلفني ذلك فائدة أكبر»، قال جونج-سو وهو يخرج دفتر الصكوك من حقيبته ويوقّعه له صكاً.

«ولكن ربما يكون من الصعب صرفها! لماذا ترغب في ذلك؟».

«حسنًا، أتتذكر المرة الماضية التي استخدمت فيها الأرض كرهن للحصول على خمسة عشر ألف وون؟! كنا في مثل هذا الوقت تقريبًا من الشهر».

«نعم، بالفعل. ماذا في ذلك؟».

«يجب ألا يُكتشَف أمر هذا الصك قبل الانتهاء من سداد الآخر. سيكون من الصعب التعامل مع سخط الرجل عند فض دين المعاملتين. هذا أمر متعب جدًّا».

توقف جونج-سو عن الكتابة، وتلاعب بشفتيه وهو يحرك رأسه مفكرًا. كان المقصود بالطبع من التعامل وفَضَّ الدين ليس المرابين أنفسهم، بل مع السيد الأستاذ يون.

«فكر معي! أليس من الخسارة أن أضطرَّ إلى التعامل مع سخط العجوز من أجل مبلغ صغير كهذا؟! لنترك ذلك لصفقة أكبر!». «عندك حق في هذه النقطة».

في الوقت الذي أنهى فيه جونج-سو توقيعه للصك المالي بقيمة الألفي وون، وتسليمها إلى يد بيونج-هو، كان ذلك الأخير مستغرقًا في التفكير، فالحصول على سلفة مالية بضمانٍ مُوقَّع باسم الحفيد الأرعن يون جونج-سو، دون توقيع السيد يون، حتى وإن كان توقيعًا مزورًا، أمر مستحيل كاستحالة أن يضع يده على نجمة في السماء.

«ومع ذلك، سيكون الأمر صعبًا».

أخذ بيونج-هو يتحسَّس الصك المصرفي بأصابعه، ويهز رأسه الطويل يمينًا ويسارًا.

«لو كان الأمر سهلاً، لما انتظرتك طوال اليوم! لا تطل الحديث، وأسرع بالذهاب!».

«حسنًا، سأذهب. ولكن...».

نهض بيونج-هو، ووضع الصك المالي في جيب حلتة الرمادية الصيفية الباهتة.

«سأذهب وأحاول. إن نجحت فقد حالفنا الحظ، وإن لم أنجح فانتظرنى هنا، وسأتدبر الأمر بأي طريقة».

«لا بُدَّ لك من ذلك. على الأقل أربعمئة أو خمسمئة وون لليوم».

«أوه، حسنًا. وهو كذلك».

قال بيونج-هو مبتسمًا، ورفع يده وكأنه يمسك كأسًا في نخب نجاح الأمر، فتبعه جونج-سو وضحك بدوره.

«كيف للعصفور أن يفوّت مطحنة القمح، أليس كذلك؟!».

«لا تقلق! إن لم نحصل على المال، فسنشرب الخمر ويبقى الحساب مُوجَّلاً في الدفتر».

«لا، لا أحبّد ذلك. كما أن المطعم الصيني لا يقبل بتلك الطريقة».

«كما أن من الصعب الحصول على فتاة والدفع لاحقًا، أليس كذلك؟!».

«وأي مجنون ذلك الذي يحصل على غايته، ثم يدفع لاحقًا؟».

«أنا أيضًا لا يمكنني أن أفعل ذلك».

«بالطبع، هل يتساوى النبيل والخسيس؟!».

«وهل بيد النبيل حيلة؟!».

خرج بيونج-هو، على وعدٍ بأن يعود خلال ساعة. ولكن، مضت ساعتان، ثم ثلاث، ولم يُعد بعد. انتظره جونج-سو في الغرفة بفارغ الصبر. في النهاية، ظهر قرابة الساعة والنصف، فارغَ اليدين. شخص واحد فقط في المدينة كان يمكنه أن يُقرض جونج-سو المال بضمان الصك المالي الذي يُوقَّع عليه. أخبره بيونج-هو أنه طاف المدينة بأكملها ليعثر عليه، لكنه لم يجده.

بالطبع، لم يكن من سبيل أمام جونج-سو ليعرف أن هذا كله مجرد حيلة من بيونج-هو. لم يُخلَق بعد على ظهر البسيطة مَن يقرض المال بضمان ورقة عليها توقيع يون جونج-سو. كان بيونج-هو يعرف ذلك جيدًا، لكنه تعمَّد أن يُظهر لجونج-سو بصيصًا من الأمل، كجزءٍ من خطته لدفعه إلى إخراج الصك المالي أولاً.

في أثناء تلك الساعات، لم يكن بيونج-هو يبحث عن أحد، بل ذهب إلى منزله واستلقى هناك في استرخاء، ثم عاد إليه. وبالطبع، كان ذلك دون معرفة جونج-سو.

«اللعنة، يا لحظي العاثر!».

شعر جونج-سو بغضب شديد، فكبس لفافة التبغ التي بيده في منفضة السجائر، ثم رماها واستلقى متبرمًا.

«لو كنت أعرف ذلك، لخرجتُ مسرعًا قبل المغرب وذهبت لجدي أطلب منه المال، اللعنة!».

كان كلامه ينطوي على تعنيفٍ غير مباشر لبيونج-هو الذي تأخر في العودة. لكن بيونج-هو لم يعر لهذا الكلام اهتمامًا، بل على العكس، شعر بسرور داخلي لأن الأمور تسير كما أراد.

«اسمعي!».

«....».

«ما رأيك بأن تُوقّع هنا باسم جدك، ولنحاول مرة أخرى؟».

«لا، غير ممكن. دعك من ذلك. سأذهب إلى جدي غدًا، وأقترض منه ألف وون وأصرفها كلها».

«وهل سيعطيك المبلغ؟».

«إذا لم يعطيني، ما باليد حيلة. إنه حظي العاثر إذن».

«إذا لم يكن هناك فرق بالنسبة لك إن حصلت أم لم تحصل على المال، فلماذا أنت على هذا الحال إذن؟!».

«لا تزد في الكلام، حديثك يزعجني. إن الألف وون تلك على وشك أن تُلحق الخراب بأكثر من منزل».

«أنت محق، وأنت من سirqص على أطلالها!».

«حسنًا، سأوقع لك باسم جدي. هل ستمكن من الحصول على المال الآن؟».

«بالطبع، هناك على الأقل سبعة من عشرة مُرابين ممن قد يقرضونني المال. اسمع!».

«قل ما عندك!».

«أنت تقول إنك قد تقع في ورطة إذا لم يوافق جدك على إقراضك المال، أليس كذلك؟».

«ورطة فقط! إنها أول مرة في حياتي أشعر فيها بالقلق من أجل مبلغ تافه كالف وون».

«حسنًا إذن. وقّع هنا باسم جدك فحسب، وسأذهب وأحاول أن أحصل على المال. إن لم أصب اليوم، سأحاول غدًا مرة أخرى. لا تعتمد عليّ كليًا. اذهب أنت أيضًا غدًا لجدك وتوسّل إليه. فلربما ينجح أحدنا».

«يا إلهي، أنت يا رجل!».

نهض جونج-سو من مكانه وقد ضاق به ذرعًا، وأخذ يُعنّفه.

«هل تسمع كلامي من أذن وتخرجه من الأخرى؟».

«أفهمك! كل ذلك من أجل ألا يتداخل هذا الدين مع دين الخمسة عشر ألف وون التي اقترضتها سابقًا بضمان الأرض، أليس كذلك؟!».

«نعم، بل أنني خائف من أن يعرف جدي عن هذه المرة السابقة».

«حسنًا، هذا أمر سهل. عندي فكرة. ما رأيك أن تغيّر موعد التسديد في وقت لاحق، بعد أن تعطي المبلغ المطلوب في الشهر بالإضافة إلى الفائدة؟!».

«وهل هناك من سيقبل بهذا؟».

«وما الذي يجعل أي أحد يرفض الأمر، فأنت ستسدّد الفائدة».

«إذن، لا ضير من المحاولة، أليس كذلك؟».

ضحك جونج-سو، ونهض على الفور، وختم بختم السيد الأستاذ يون الذي يحمله معه على الدوام، كضمان للصك المالي الذي وقَّعه منذ قليل.

«لا بُد أن تحضر لي مائة وون نقدية على الأقل، هل فهمت؟!».

كان هذا طلبه من بيونج-هو، الذي كان ينتعل حذائه استعدادًا للخروج.

«حسنًا، سأفعل!».

استدار بيونج-هو مرة أخرى قبل أن يخرج، وضحك بصوت عالٍ وهو يقول لجونج-سو:

«ما رأيك أن تترك تلك الكيسينج وتقضي الليلة مع طالبة مدرسية؟!».

«طالبة؟ توقف عن هذا الهراء، غير ممكن!».

«لا! أنا واثق مما أقول، سأحضرها لك».

«حقًا؟».

«بالتأكيد».

«متأكد؟!».

«أوه، ألا تعرفني؟».

«وماذا إن لم تفعل؟!».

«سأقدم لك عنقي لتنحره!».

«حسنًا، أراهنك على ذلك».

«لتتراهن إذن. وإن لم أفعل، سأقدم لك عنقي تنحره. ولكن، إن فعلت، ماذا ستعطيني في المقابل؟!».

«سأعطيك مائة وون مكافأة».

«اتفقنا! سأدبرها لك، في طريقي للحصول على المال».

عاد بيونج-هو بعد ساعة تقريبًا، وهذه المرة أيضًا كان خالي الوفاض. ذهب إلى ثلاثة أماكن اعتاد الاقتراض منها؛ كان أحدهم خارج المدينة، والثاني كان يلهو ولم يستطع مقابلته، أما الثالث فلم يكن لديه مال في هذا الوقت، وقال له أن يعود في الغد بعد أن يفتح المصرف أبوابه، ويتحقق حينها ما إذا كان بإمكانه تدبير المبلغ له.

وبالطبع هذه المرة أيضًا كانت مجرد حيلة من بيونج-هو، فقد عاد لتوه من عند القواد بمنطقة المواخير، وقد أخذ وقته في الشرثرة معه.

«وهل ستتمكن من الحصول على المال غدًا؟» لم يبدُ على جونج-سو الغضب، على عكس ما توقع بيونج-هو.

«لست متأكدًا».

«أتعتقد أن الأمر سيكون صعبًا؟».

«ليس الأمر كذلك. ما رأيك أن تترك لي هذا الصك الآن، وسأحاول مرة أخرى. ولكن لا تثق بي تمامًا، وحاول أن تحصل على المال من جدك. كما قلت، لا بُدَّ أن تحصل على المال لتفادي الوقوع في ورطة».

لقد فكرتُ ملياً وأنا في طريقي إليك. الحصول على مال الآخرين ليس بالسهل على الإطلاق! فكر جيداً في ما حدث الليلة! وثقت في مال الآخرين، وانتهى الأمر بالفشل في الحصول عليه عدة مرات».

أغراه بيونج-هو بالحديث، فما كان من جونج-سو سوى أن استمر في هز رأسه موافقاً. اعترت بيونج-هو سعادة غامرة وقد ظنَّ أن أمر حصوله على هذه الأموال منتَه. كان في نيته أن يضع هذا الصك المالي في جيبه وألاً يُخرِجه أبداً. إذا تمكن جونج-سو من الحصول على المال من جده السيد الأستاذ يون، سيصبح الصك بلا معنى، وعلى الأغلب سيعود جونج-سو إلى القرية وينسى أمره تماماً. ولو افترضنا أنه تذكره وطالب به، فالأمر سهل؛ سيفتش في جيبه ويغطي على الأمر قائلاً:

«يا إلهي! لقد ذهبت لقضاء حاجتي ليلة أمس، ولم يكن هناك مناديل ورقية لأمسح بها، فحدث ما حدث!».

وحتى إن لم يتمكن جونج-سو من الحصول على المال من السيد الأستاذ يون، ولا بُدَّ أن يستخدم الصك المالي للحصول على المال، عندها سيخترع رواية أخرى يغطي بها على الأمر، بأن الصك أصبح غير موجود، ويجعل جونج-سو يحرر له صكاً آخر. في كل الأحوال، سيُحكَم قبضته على هذا الصك، وسيصرفه ويحصل على ألف وسبعمائة وون، قيمته ناقص الفائدة. لن يضره أي شيء إذا ما تمكن من صرفه والحصول على المال. فمن الناحية القانونية، هو لم يرتكب أي جريمة. ولكن بالتأكيد لن يصل الأمر إلى هذا الحد.

سيدخل هذا الصك المالي في معاملات السيد الأستاذ يون المالية، وبالتأكيد سيحصل جونج-سو على نصيبه من التقرير والردع من جده، وسيعرف على الفور أن الأمر مكيدة من بيونج-هو. ولكن بالنظر إلى شخصيته، سيتلقى هو كل اللوم ولن يُكشف أمره. بل على الأرجح سيظل بيونج-هو إلى جانبه خادمًا، وسيعتبر الأمر كمن اشترى لطفه الذي ليس من صلبه بضع قطع من الملابس، وإن كان سيزجر بيونج-هو بكلمات عتاب من فترة لأخرى. هذا لأن جونج-سو ليس بالشخص الذي قد يغضب من أحد، فضلًا عن أنه هو الخاسر الوحيد في المعادلة. ويمكن أيضًا أن يتوسل بيونج-هو له قبل أن ينقلب الأمر ضده، ويخبره بأنه كان مضطرًا، وأنه لم يكن هناك من سبيل آخر أمامه. وسيعطف عليه جونج-سو بلا شك، وقد يشتري له حلة ويهديه إياها. «هيا، ارتديها وأرني كيف تبدو عليك!».

اشتعل الحماس في نفس بيونج-هو وهو مطمئن لحصوله على الألف وسبعمائة وون فأخذ يستحث جونج-سو أكثر وقال:

«لنترك أمر الغد للغد، ولنفكر في الليلة. لنبحث عن طالبة مدرسية تقضي الليلة معها، ما رأيك؟ أستذهب إلى منزل العطلات وتلهو للصباح؟».

«وماذا سأفعل، وليس معي مال؟».

«قلت لك لا تقلق؛ سأتولى أمر المطعم، والفتاة لن تُكلف أكثر من عشرة وون».

«عشرة وون؟».

«طبعا! كم الفكة في جييك؟».

«نحو ثلاثين وون».

«قُضي الأمر إذن! عشرة وون للفتاة، وعشرون وون إكرامية لصبي المطعم. معنا ما يكفي».

«والطالبة المدرسية التي تتحدث عنها تلك، أهي حقيقية؟».

«نعم، بالطبع! ألم أقل لك إني سأقدم رأسي لك تقطعه، إن لم أتمكن من إحضارها إليك؟».

«ولكن بعشرة وون فقط؟ هذا ثمن بخس جداً، مقارنة بالسعر في منطقة المواخير حتى!».

«دعنا من الجدل، لا طائل منه. على أي حال، ستتأكد بنفسك ما إن نذهب».

«حسنًا، سأصدقك، وأرى ما سيحدث».

وهذا ما حدث، وجلب ملك زمانه السيد جونج-سو إلى منطقة المواخير سيئة السمعة.

هناك مصباح ضعيف، لا يتعدى الثلاثين واط، كان مُعلّقًا وسط السقف العالي، وقد غُطّت عوارضه الخشبية بطبقات من ورق الجرائد الأسود الكالْح، ليس حتى بورق رخيص. أما ورق الحائط الأبيض، فقد حال للون الأصفر من أثر الزمن، وصار مليئًا بفراغات الهواء. كان ليكمل هذه الصورة بعض من بقع دم حشرات الفراش، ولكن عدم

وجودها كان دليلاً قاطعاً على أن استخدام هذه الغرفة كان لبعض الوقت فقط، وليس لقضاء ليلة بأكملها.

كان بالغرفة فراش وُضع في أحد زواياها، وبدا مهلهلاً لم يُدقّ طعم التنجيد لعدة أعوام، وإن كان الغطاء نظيفاً بحيث يؤدي الغرض من الاستخدام كما يجب. كان جو الغرفة رطباً، تفوح منها رائحة العفن التي تجعل الجسد يرتعش على الفور. كانت منفضة السجائر هي الأثاث الوحيد بالغرفة. جلس كل من جونج-سو وبيونج-هو، تفصلهما تلك المنفضة، ويدخان السجائر التي خسرت كل طعم لها في هذه الغرفة.

«هذا المكان كغيره من المواخير. لا فرق على الإطلاق».

تحدث جونج-سو همساً وهو يعاتب بيونج-هو، وأخذ يمعن النظر في الغرفة من حوله وقد علت وجهه علامات عدم الرضا.

«حتى وإن كان ماخوراً، فليس كالبقية. كما أن الوضع مختلف هذه الأيام عما اعتدته».

«ما الذي اختلف يا رجل؟! أنا أتردد على هذه الأماكن منذ بلغت الثامنة عشر، أنت تتحدث لخبير هنا».

«في تلك الأوقات يا سيدي، لم يكن هناك سوى عاهرات. ولكن الآن يمكنك أن تحصل على مطلبك. إن طلبت طالبة مدرسية تحصل على طالبة مدرسية، وإن طلبت أرملة تحصل على أرملة. إنهم يوفرون لك مطلبك، سواء كانت خلية رجل آخر، أو سيدة من منزل نبيل، أو عاملة حافلة، أو ممثلة، أو موظفة استقبال بمراكز التسوق».

«كل ما تنطق به هراء. حسنًا إذن، وكيف لك أن تثبت أنها أرملة؟ هل ستحضر لك وثيقة إثبات عائلية؟ وإن كانت طالبة مدرسية، هل ستريك شهادة القبول بالمدرسة؟ وعاملة الحافلة، لا بُد أنها تأتي بحقيبة تغيير النقود إذن؟!».

ضحك بيونج-هو بشدة، وأجابه:

«بالطبع لا. ولكنك في الأغلب ستحصل على طلبك. ولأنهم متمكنين مما يقومون به، فإنهم لا يطلقون عليه ماخورًا هذه الأيام كما تعرف، بل يطلقون على المكان «شركة التجارة العالمية»».

«ما هذا الهراء الذي تقول يا رجل؟ أتعرف حتى من أين أتى مسمى «شركة التجارة العالمية» هذا؟!».

قبل بضعة سنوات، شتّت الشرطة حملةً مفاجئةً على عُصبة من القوادين، وأُلقي القبض على العشرات من المتورطين. مع تطور ملابسات التحقيق، اكتشفت الشرطة حسن تنسيق المنظمة، إضافةً لذلك كانوا يطلقون على تنظيمهم اسم «شركة التجارة العالمية»، هذا الاسم السخيف، ليجعلوا مهمة تعقبهم من الشرطة صعبة. على أي حال، من وقتها بات يُطلق على المواخير اسم شركات التجارة العالمية، كنوع من التنويه المستتر.

جلس بيونج-هو يستمع لما يقوله جونج-سو، ثم رد عليه قائلاً:

«أنت خبير عني!».

ضحك بصوت عال، ثم نهض.

«حسنًا، سأنطلق أنا أولاً».

«إلى أين؟».

«سأذهب إلى منزل العطلات، وأرتب الأمور هناك، وأنتظر. أما أنت، فما عليك سوى اللهو وقضاء وقت ممتع قدر ما استطعت».

«وما الداعي لذلك؟ بما أننا هنا، لنطلب واحدة أخرى ونلهو معًا، ما رأيك؟».

ضحك جونج-سو وتبعه بيونج-هو.

«لا تسخر مني، فقد شاب شعر رأسي. على أي حال، لا تبالي بالطعام الذي سيجلبونه، فقط أعط العجوز ورقة من فئة عشرة وون حين تخرج».

«نعم، نعم. ولكن لا تنس؛ إذا لم تكن طالبة مدرسية، ستكون نهايتك على يدي. أنفهم؟!».

«لا تقلق يا سيدي!».

خرج بيونج-هو إلى فناء النزل ونادى على العجوز، وهمس في أذنها بوضع كلمات، ثم غادر.

أخرج جونج-سو ساعة جيبه وتأكد من الوقت، وكانت الساعة التاسعة والعشرين دقيقة. دخلت عليه العجوز وهي تضع لفافة التبغ بين شفتيها، وقالت له:

«لا بد أنك سئمت، وقد ذهب زميلك أولاً».

تحركت العجوز وتوجهت إلى حيث جلس بيونج-هو، ثم جلست وقد عقدت ذراعيها.

«يا لها من محظوظة تلك الفتاة؛ إن سيدها الجديد وسيم جدًا.
ستأتي حاليًا. لاشك أنك ستقع في حبك على الفور».

كان حديثها يدل على أنها قوادة خبيرة، إضافة إلى ضحكتها
الماكرة، التي كانت دليلًا على مهاراتها لدرجة مقززة.
«وهل من ستأتي الآن طالبة مدرسية حقًا؟».

استجوبها جونج-سو بعدما ألح عليه فضوله.

«بالطبع! لا شك في ذلك. طالبة بالمدرسة الثانوية. يعتقد البعض
أننا نخدعهم ونجعل الفتيات يرتدين ملابس الطالبات. ولكن في أي
زمن نحن؟ لا يمكنك أن تخدع الآخرين هكذا! إنها طالبة مدرسية
حقًا!».

«ولكن ما الخطب وراء تلك الطالبة المدرسية التي لا تدرس وتأتي
إلى هنا؟».

«اسمع يا رجل! طالبات هذه الأيام يعرفن ما يردن. جميعهن لهن
ذوقهن الخاص. وهناك من يترددن على المكان للتخلص من الملل.
ومنهن أيضًا من عرفن طعم المال ورغبن في تحصيله. ولكن الفتاة التي
ستأتي لك الآن، لا غاية لها في المتعة ولا المال. ولذا احذر، ولا تتعامل
معها برعونة، أنفهم؟».

«إذن، لماذا تأتي إلى هنا؟».

«زوج. ترغب في البحث عن زوج لها، زوج يعجبها!».

«نعم، نعم! حسنًا، تبحث عن زوج إذن».

«بالمناسبة، إنها جميلة. وجمالها غير عادي».

«حقاً؟ أل هذه الدرجة؟!».

«لا يسعني الوصف. قد تقع في حبها فوراً وتطلب منها الزواج غداً، بل وقد تتوسل لها حتى».

«إذا كانت كما تقولين، سأفعل بالتأكيد. أنا أيضاً أرغب بالزواج».

«إذا كان لديك نوايا أخرى، فلا بُدَّ أن تدفع المال ولا تبخل به. لنبدأ بعشاء الليلة إذن، ادفع الكثير ونل ما تريد. كل هذا من أجل عروس الليلة».

«ولكن ألم تذكرني أنها لم تأت هنا من أجل المال؟».

«بالطبع! لا تبحث عن المال، ولكن من الجميل أن تعرف أن عريسها لديه الكثير منه، فتميل لك أكثر».

«كلامك صحيح. بالمناسبة، كم عمرها؟».

«حسناً، حسناً! متعجل أنت، كأنك تمتطي ظهر حصان. ستأتي الآن، ولكنك قد وقعت في حبها بالفعل! بلغت العشرين هذا العام، سن مناسب على ما أظن».

وفي تلك اللحظة فُتِحَ الباب، وجاء صوت رقيق من خلفه يقول:

«هل هناك أحد؟».

«لقد أتت!».

كانت العجوز قد تحركت من مكانها بالفعل ووصلت إلى الباب،

ولكنها التفت وألقت نظرة أخيرة على جونج-سو، بينما وَجَّه الأخير كل اهتمامه إلى الصوت بالخارج، وقد أصابه بعض التوتر. أدرك جونج-سو حيلة العجوز، وعرف بالتأكيد أن الحديث عن كونها طالبة مدرسية ليس سوى كذباً بيّناً. ورغم تأكده أنها متخفية تحت قناع وزى الطالبة المدرسية، شعر بالتوتر على غير عادته وهو الخبير في التعامل مع فتيات المواقير. ولكن، كانت تلك المرة الأولى التي يقترب فيها من فتاة تدعي أنها طالبة مدرسية، وكان من الصعب ألا يقع تحت تأثير كلامها الذي كان كالتنويم المغناطيسي.

تركت العجوز الغرفة، وفي الخارج تحدثت بكلمات غير مسموعة لبضع لحظات، ثم فُتِحَ الباب مرة أخرى.

«حسنًا! انظر ما إذا كنت صادقة أم لا. لقد أثبت لك بطالبة مدرسية كما قلت لك، ما رأيك؟».

وقفت العجوز هناك وهي تعيق رؤيته وتلقي عليه خطبتها.

«حسنًا. انظر بنفسك. ادخلي، هيا. لا تخجلي، لا داعي لذلك، إنه رجل عصري محترم».

استمرت العجوز في حجب رؤيته، وهي تلقي خطبتها على الجهة الأخرى، قاصدة بحديثها الفتاة. لم يستطع جونج-سو، حتى بخبرته لعشرات السنين في المواقير، أن يرفع رأسه وينظر إلى الخارج، وشعر بتوتر شديد. في تلك اللحظة، تقدمت الفتاة بقدميها المغطيتين بجورب حريري، إلى الداخل، متخطيةً عتبة الباب. أخذت نظرات جونج-سو تنتقل من أسفل إلى أعلى شيئًا فشيئًا، القدمين المممتلئتين المغطيتين

بجوارب حريرية صفراء، تعلوهما تنورة سوداء من قماش الفوال الخفيف، وفوقهما يد رقيقة تُمسّد بلطف طيات التنورة التي تخللتها كالموج الهادئ، والقميص الأبيض الذي تتدلى منه ربطة مهندمة تنتهي عند استدارة ثدييها البارزين. أخذت نظرات جونج-سو تنتقل إلى أعلى تدريجيًا وقد نسي نفسه تمامًا، وغرق في أفكاره عن كيف عليه أن يتعامل مع تلك الطالبة المدرسية، التي تمثل بالنسبة له رمز الطهارة. وصلت نظرات جونج-سو إلى ذقن الفتاة المستدير، ثم لمح وجهها، واستدارت هي الأخرى تنظر إليه، فتلاقت نظراتهما في تلك اللحظة.

«آه!».

«يا إلهي!».

لم يستطع أي منهما أن ينطق بكلمة، وقد أخرستهما المفاجأة. أوشك جونج-سو على السقوط إلى الوراء، لكنه تماسك، وتمكن من أن يعتدل في جلسته وقد أخفض رأسه. فيما أسرع الفتاة إلى الخارج وقد علت أصوات قدميها على الأرض الخشبية. لم تعباً إذا ما كانت تنتعل حذاءها أما لا، حتى خرجت من الباب الرئيسي. ثم عمّ الهدوء المكان.

بعد أن فرّقت الفتاة، استعاد جونج-سو هدوئه، ثم لاذ هو الآخر بالفرار من شركة التجارة العالمية. لم تكن الفتاة سوى أوك-هوا خلية السيد يون تشانج-شيك، (أي والد جونج-سو). شعر جونج-سو بامتنان عظيم للضوء الذي مَكَّن البشرية من اختراق ظلمة الليل. استقل

سيارة، واتجه مباشرة إلى منزل العطلات خارج البوابة الشرقية للمدينة. كان بيونج-هو هناك في انتظاره، وقد ظن أنه سيتأخر، فتملكه الفضول من عودة سيده المبكرة، وأخذ يسأله عن السبب.

سيطر الغضب على جونج-سو وأراد أن ينفجر في وجه بيونج-هو مطالبًا بنَحْرِهِ، فهي لم تكن طالبة مدرسية على أي حال. ولكنه رأى أن ذلك سيزيد الوضع سوءًا. في النهاية، أخبره أن تلك الطالبة شعرت بوعكة صحية فلم تحضر، وأن مزاجه قد تعكر هو الآخر، فشعر أن الأمر جاء في مصلحته وعاد أدراجه. وبهذا، أنهى جونج-سو الموضوع في كتمان كعادته.

الفصل الثالث عشر

حتى وإن ضاع الوقت وتَعَفَّنَ مِقْبِضُ الفأس

(فصل مسرحي عن لهُوَ الخالدين في هذا الزمان)

في نفس الوقت من ذلك اليوم، في التاسعة مساءً تقريبًا، وفي غرفة الضيوف بمنزل خليلة يون تشانج-شيك، خارج أسوار البوابة الشرقية، حدث التالي:

جلس ابن شقيق أحد الخدم، وكان رجلًا شديدًا قوي البنية، يحرس المنزل ويراقب كل من يدخل ويخرج، وقد أحكم إغلاق كل الأبواب: الباب الرئيسي، والباب الداخلي، وباب غرفة الضيوف. كانت هناك لعبة قمار «ما جونج» مُستعرة تدور بالدخل الآن. أو بالأحرى، يجدر القول إنها بدأت بالأمس، ولا زالت مستمرة للآن. بدأ الرهان من عشرة تشون صعودًا حتى خمسمائة وون. لم تكن باللعبة السهلة على الإطلاق، وحراسة الأبواب في ظل هذه الظروف فكرة ليست بالسيئة كذلك. ولكن على أي حال، لم يكن ذلك رادعًا أمام مُغتَنمي الفرص من المتفرجين، الذين كان يصعب التخلص منهم. تواجد ستة أو سبعة منهم، ظل ثلاثة أو أربعة منهم خلف اللاعبين يراقبون الوضع، بينما

أصاب الأرق الثلاثة أو الأربعة الآخرين بعد أن سهروا الليل منتظرين انتهاء اللعب، فغرقوا في نوم عميق بالغرفة المجاورة.

كانت الكتب المُدَوَّنة بالحروف الصينية مُكَدَّسة على الطاولة في أحد أركان الغرفة. وفي ركن آخر، كانت هناك خزانة زجاجية وُضِعَتْ بها قطعة فنية من الخزف تعود لعصر كوريو، وأُسِنِدَتْ إلى الخزانة آلة «الكايكَم»^(١) الوترية، مما أضفى على الغرفة بعضًا من الرقي والجمال. عُلِّقَت اللوحات الخشبية المدهونة باللون الأسود وقد تخللتها خطوط بيضاء بخط فنان الخط الكوري «كيم جونج-هوي» المشهور باسم «تشو-سا»، أما أعمدة الغرفة فقد زُيِّنَتْ بكائنات وأسهم. وفي أحد أركان نفس الغرفة، رُصِّتْ أطباق الطعام الصيني وزجاجات الخمر الفارغة؛ كان ذلك بمثابة الدليل الدامغ على كسل خدم المنزل.

دُهِنَت الجدران ثم وُضِعَتْ عليها طبقات من ورق الحائط الأبيض ثم رُشَّت مرة أخرى بمسحوق أبيض، فأصبحت حوائط من المسحوق الأبيض حرفيًا. وعلى أحد الحوائط عُلِّقَت لوحة النباتات الأربعة الأنيقة: زهر البرقوق، والأقحوان، والأوركيد، والخيزران، من رسم الفنان الكوري الشهير «ميسان». أكثر ما يجذب الأنظار كان مخطوطة خطها الفنان «سوتشي» موضوعة على مقدمة الطاولة، وخلفها بضع كتب أخرى بالرموز الصينية.

(١) آلة وترية تُصنَّع من الخشب الخام الكامل دون قاع. واستنادًا على تاريخ الممالك الثلاث، تم تطوير تلك الآلة في القرن السادس الميلادي على يد الملك جاسيل. تشبه آلة القانون العربي إلى حد كبير، من حيث الخصائص والنظام الوتري في العزف.

إذا نظرنا إلى مخطوطة «سوتشي»، لقلنا إن صاحب هذه الغرفة مثقف ذو ذوق رفيع، ولكن نظرًا لانخراطه في لعب القمار، بدا كذلك وضعياً رديء الذوق. على أي حال، كانت هذه متعة السيد يون تشانج-شيك في الحياة؛ أن يفعل ما يحلو له، سواء أكان هذا وذاك.

بقي على الطاولة ثلاثة لاعبين؛ السيد يون صاحب المنزل، وبارك السمين، وهو رجل غني ماهر في لعب القمار، وأخيراً لاعب قمار محترف. كانت وجوه ثلاثتهم تلمع من أثر الدهون والعرق المتصاعد على جلودهم، وقد احتقنت أعينهم بالدماء من السهر طوال الليل.

تصدّر السيد يون اللعبة. وأياً ما كانت قطعة القرמיד التي سيحصل عليها، ستضمن له الفوز المحتم. كان عليه الفوز بهذه الجولة، فقد خسر بالفعل خمسة آلاف، ولم يبقَ في يده سوى قطعة واحدة تساوي مائة نقطة. يحتاج الآن فقط إلى القطعة المناسبة، ليحصل على أربعة آلاف نقطة ويعود إلى الموقع الذي بدأ منه. ولكن، إذا لم يسعفه حظه وأكمل أحد اللاعبين الآخرين تشكيله أولاً، سيكون هو الخاسر الأكبر.

كان يون تشانج-شيك قد خسر في القمار سابقاً ما يصل إلى ثلاثة آلاف وون، وما كان ليعبأ بخمسائة أخرى. لكنه لم يرغب أن يفوت فرصة استكمال تشكيله حتى يفوز بهذه الجولة، فتكون سابقة له في إكمال جميع القطع من نفس مجموعة القرמיד.

كان كل من اللاعبين على وشك أن يُكْمِل تشكيله. وفي تلك اللحظة، سحب بارك السمين بأنفاسه المتثاقلة إحدى القطع، ثم عرضها على يون تشانج-شيك وهو يضحك بشدة.

«ثعبان خطر! أنت تحتاج هذه القطعة لتكمل تشكيلك، أليس كذلك؟».

إن أنزل القطعة على الأرض، سيتمكن تشانج-شيك حينها من إكمال تشكيله على الفور. ولكن بارك السمين الخبيث أخذ القطعة، وأنزل بدلاً منها قطعة أخرى ما كانت لتفيده.

«إذن لن تنزلها؟ إذن فلا سبيل أمامي سوى السحب».

سحب تشانج-شيك قطعة، وأخذ ينظر إليها. نظر إليه المتفرجون خلفه شزراً، كأنه يشير عليه بإعادة تشكيل جذرانه ليحصل على نقاط إضافية بالقطعة التي سحبها. كان تشانج-شيك يعرف الطريق إلى ذلك. ولكن ما كان لهذا سوى أن يعطيه بضع نقاط إضافية فقط تضاف إلى المائة نقطة لديه، فهي ليست مجموعة كاملة من نفس نوع القرميد. ستكون حيلة مأكرة، ولكن هذه ليست من شيم لاعب الما جونج.

أنزل تشانج-شيك في النهاية قطعة من القرميد كان بارك السمين يحتاجها ليكمل مجموعته، ولكنه كسرها بالفعل بالقطعة التي رماها سابقاً، ليمنع تشانج-شيك من الفوز. هَبَّ ذلك الأخير عن كرسيه من الغضب، في حين أسرع لاعب القمار المحترف بأخذ القطعة من الأرض.

«حسنًا، هذه لي».

وَجَّه مدير اللاعب المحترف التعليمات له بأن يأخذ القطعة ويحصل على النقاط. كان لاعب القمار المحترف يعرف أن تشانج-

شيك يسعى لإكمال مجموعته بقرميد من نفس النوع، فرأى أن يحصل على ما يمكنه من النقاط، ويُفسيح الطريق أمام تشانج-شيك.

«خذ، إنها لك يا تشانج-شيك».

رمى بارك السمين القطعة الخضراء التي تكرر ظهورها، في الأربع مرات السابقة التي سُحِبَتْ فيها.

قال تشانج-شيك، وهو يسحب قطعة أخرى:

«لا بُدَّ أن الندم يأكلك لإعطائك إياها!».

وهذه المرة يأمل وهو ينظر إليها أن تفيده في إكمال مجموعته. حسنًا، بالفعل هي قطعة مفيدة. الآن تنقصه قطعة واحدة. كان تشانج-شيك على وشك إنزال قطعة بديلة إلى الأرض، حين دخل عليهم الغرفة الخادم مين، وقد علت وجهه علامات القلق وفي يده برقية. لم يعرف الخادم أنهم في الجولة الأخيرة، لكنه أسرع وقاطعهم بعدما سلّمه الحارس البرقية، فترجم جزءًا منها وصدّم من محتواها، فأسرع بالذهاب إلى تشانج-شيك:

«وصلت برقية».

لم يُجِبْه أحد. كان عقل تشانج-شيك الآن مشغولًا بأمور أخرى.
«حسنًا، هذه هي الضربة الأخيرة!».

أنزل تشانج-شيك قطعته، فصرخ لاعب القمار المحترف في لحظتها.

أعاد مين ما قاله:

«وصلت برقية».

ولكن تشانج-شيك أجابه بفتور:

«ماذا؟ برقية؟! أرني ما حصلت عليه، هيا!».

«وصلت برقية من طوكيو».

«من طوكيو؟».

أخذ تشانج-شيك البرقية، ووضعها في جيب قميصه. كان بارك السمين على وشك سحب قطعة قريميد.

«من فضلك، تحقق من البرقية».

«حسنًا، لننظر إذن. هل قمت بترجمته؟!».

«نعم».

نسي تشانج-شيك البرقية مجددًا، وانشغل بسحب قطع القريميد وهو يتحسسها بقلق. كان تشانج-شيك يعرف أن تشكيل بارك السمين قد تهدم، ولكن اللاعب المحترف ما زال يشكل تهديدًا.

«إنه أمر طارئ»، ألح عليه مين، ولكن تشانج-شيك لم يول البرقية اهتمامًا.

«ماذا؟ حسنًا. لا يمكن أن أنزل بهذه القطعة. ماذا في البرقية؟».

«افتحها واقرأها من فضلك!».

«حسنًا. انتظر لنرى، ماذا؟ ستتخلص من هذه القطعة؟ لماذا؟ هل

جونج-هاك مريض؟!».

«لا!».

«ماذا إذن؟ انتظر لحظة. ماذا نفعل بهذه القطعة؟ سأقرأ البرقية أولاً،
انتظر!».

لم يكن الأمر رغبة منه في قراءة البرقية، ولكن ليكسب المزيد من
الوقت ليفكر في ما سيفعل بالقطعة التي سحبها، وهو يدرك أنها القطعة
التي سيربح بها اللاعب المحترف. ولكن، في نفس الوقت، لا يمكن أن
ينزل بقطعة بديلة، فيهدم بذلك تشكيل جدرانه.

كان تفكير تشانج-شيك كله مُنصباً على اللعب، بينما يده تتحسس
ورقة البرقية التي وضعها في جيبه.

«قد يفوز بلا شك بالقطعة التي في يدي».

«ما كل هذا الوقت يا رجل؟ أسرع، قبل أن يغطي التراب طاولة
القمار!».

«انتظر، سأقرأ البرقية أولاً».

استمر تشانج-شيك يتحسس الورقة في جيبه، دون أن يفتحها
حتى. في النهاية، أدار عينيه عن الطاولة ونظر إليها. لم يكن بحاجة
إلى وقت أو جهد، ليقرأ الخمسة عشر حرفاً المُدَوَّنة على الورقة التي
ترجمها مين.

«ذلك الأرعن الحقيّر!» قطب حاجبيه بشدة، ثم جعد الورقة بيديه
وتركها.

«حسنًا، أيًا كانت النتيجة!»، قال، ثم أخذ القطعة المَعْنِيَة ورماها
على الأرض.

«هذه هي!».

كانت تلك بالفعل القطعة التي يحتاجها اللاعب المحترف.

«أيها الحقير».

أطلق تشانج-شيك السباب مرة أخرى على ابنه جونج-هاك، وهو ينظر للبرقية. كان السباب هذه المرة مُوجَّهًا بالتأكيد لابنه جونج-هاك، بينما كان موجَّهًا في المرة الأولى لكيفية سير اللعبة.

«ألا يجب أن نبلغ السيد الأستاذ يون؟».

انتهت اللعبة بخسارة تشانج-شيك، وقد أضرع خمسمائة وون أخرى. وبينما كان مين يستحثه على اتخاذ قرار، انشغل هو بإعادة ترتيب القطع لبدء جولة جديدة.

«ماذا؟ تعني والدي؟!».

أجابه تشانج-شيك بفتور، وهو منشغل بحجري النرد.

«هل أذهب أنا؟».

«أنت؟ كم الرقم؟ أربعة؟ إذن، أنا من سأبدأ. أتقول إنك ستذهب

بنفسك؟».

«نعم».

«هذه سبعة، جيد.. وهذه تسعة أخرى.. سبعة وتسعة، ستة عشر

إذن».

«هل أذهب يا سيدي؟».

«لا أعرف. هذه الجولة سيئة منذ البداية. إذا كان هناك من عليه الذهاب، فهو أنا. حتى وإن ذهبت أنت، فسيستدعيني في النهاية. ما هذه القطعة؟! هذا العفريت يستشف كل شيء. يا له من لعين!«.

«هل استدعي العربة؟!«.

«نعم!«.

«أين ستذهب؟ لقد بدأنا جولة جديدة؟!« سأله بارك السمين.

«حسنًا، لا مفر من الأمر، عليّ أن أذهب. وها هي قطعة أخرى«.

«رائع! وهذه هي قطعتي؛ مكسب لك«.

«للأسف ليس معي«.

غرق تشانج-شيك في لعب القمار مجددًا، فتركه مين وذهب إلى غرفته.

وبهذا، أُغلق الستار على اليوم العاشر من سبتمبر لهذا العام. وقد قضاه السيد الأستاذ يون، وزوجة ابنه السيدة جو، وسيدة سيئول، وتيه-شيك، وأوك-هوا خلية تشانج-شيك، وتشانج-شيك، كل بطريقته. وبعده، أشرقت شمس يوم جديد، فما عسى اليوم الجديد أن يجلب على كل منهم في هذا اليوم؟! كان أكثر ما يثير الفضول بالتأكيد، هو تأثير البرقية القابعة في جيب قميص تشانج-شيك عليهم. سنعرف بالتأكيد كل شيء، مع بداية اليوم الجديد.

الفصل الرابع عشر

ها هي الشمس تغرب على السور العظيم

إن لم يجلب لنا اليوم أي جديد، وكان تكرارًا لما كان بالأمس، فسنكون بلا شك تعساء لدرجة خانقة. ولكن إن كان اليوم شبيهًا بالأمس، وفي نفس الوقت يضيف لنا يومًا آخر في حياتنا إلى جانب الأمس، فلهذا، وفي أثناءه، يشيخ البشر ويشيون، وبعد الشيب ينتهون إلى المقبرة. وبهذا، تقضي البشرية يومًا تلو الآخر بلا توقف، والحياة ما تزال تثير اهتمامهم. وعلى هذا المنوال، يبدأ يوم جديد، وتبزغ الشمس من أقاصي الشرق لتنير الأرض.

دقت الساعة السادسة مع شروق الشمس. ومع دقائقها، استيقظ السيد الأستاذ يون ليستقبل يومًا جديدًا. كان السيد الأستاذ يون نشيطًا على الدوام، يحافظ على عادته في الاستيقاظ المبكر طوال العام، صيفًا، وخريفًا، وشتاءً، وربيعًا. وهي عادة لم يغيّرهما طوال الخمسين عامًا الماضية. كان أول ما يفعل السيد الأستاذ يون بعد أن يستيقظ، هو أن يأخذ الوعاء النحاسي الموضوع في الغرفة، ويقضي حاجته فيه. يتخلص من البقايا الزائدة عن الحاجة في جسده، ليستعد ويستقبل أشياء جديدة

في يوم جديد، في ما يُعرَف باسم «عملية الاستقلاب». التخلص من البقايا الزائدة عن الحاجة، عملية ضرورية بالفعل.

يغترب السيد الأستاذ يون من السائل المتساقط، ويمسح به عينيه، ويدلكهما جيداً. غسيل العين ببول الصباح يحافظ على قوة النظر، وهذا قول مُتوارث منذ القدم. والسيد الأستاذ يون يستخدم الآن هذه الطريقة للحفاظ على نظره. التزم بعادته تلك لأكثر من ثلاثين عامًا. كان من السهل أن يصاب بالسيلان، وكان ذلك كفيلاً بأن يُفقد بصره على الفور. ولكن لحظه الجيد، لم يَصَب بأي مرض. وفي الحقيقة، كان نظر السيد الأستاذ يون قوياً جداً. فهو يرى ويقرأ كل شيء بنفسه إلا إن كان الخط متناهي الصغر. لو كان هناك طبيباً يعمل على الحصول على درجة الدكتوراه في الطب، لكان من السهل عليه الحصول على درجته من خلال تقديم أطروحة بعنوان «الحفاظ على عصب العين باستخدام البول وأساسياته».

بعد أن انتهى السيد الأستاذ يون من غسل عينيه بغسل العين، وتطبيق طريقة الحفاظ على قوة النظر، غَيَّر ملابسه وارتدى ملابس مناسبة، ثم لَقَم لفافة تبغ ليدخنها. كان دخان السجائر يملأ الغرفة المضاءة بالمصباح فيغطيها، وكأن الليل لم يرفع ستائره بعد. لا صوت يُسَمَع أو كلام يُقَال، فقط شخص واحد. لم يبدُ عليه الضجر، بل على العكس، بدت الأشياء من حوله كأنها هي التي أصابها الملل.

عندما أوشكت لفافة التبغ على نهايتها، دخل سام-نام بشعره الأشعث وهو لا يزال يحاول أن يفيق من نومه. كان يحمل في يده

قارورة، وكانت هذه هي عادته اليومية. أخذ السيد الأستاذ يون القارورة من يد سام-نام، وأخرج من درج الطاولة بجانبه كوباً مصنوعاً من الصدف. صَبَّ السائل الأصفر الذي يتصاعد منه البخار بالكوب. وقد بدا وكأنه خمر ساخن. ولكن هذا السائل في النهاية لم يكن سوى بولاً أيضاً. ولكن ليس أي بول؛ إنه بول أطفال صغار أبرياء لم يعرفوا بعد الفرق بين اليبين واليانج. كان البول المأخوذ من الأطفال الصغار يُعَدّ مفيداً للصحة، مثل بول الصباح للحفاظ على قوة النظر. جميعها أفكار مُتَوَارِثَة منذ القدم. يُقال أيضاً هذه الأيام إنهم يستخرجون من البول الهرمونات، ويصنعون بها العقاقير. إذن، أقوال القدماء ليست خاطئة بالمرة. وإذا كان هذا بالفعل حقيقة علمية، فلا بُدَّ أن يُرَجَّع الفضل في اكتشاف الهرمونات في البول إلى أجدادنا بأرض جوسون.

وكما حافظ السيد الأستاذ يون على استخدام بول الصباح، كوسيلة للحفاظ على قوة نظره، حافظ أيضاً على عادة شرب البول على المدى الطويل. كان من السهل الحصول عليه في القرية. ولكنه منذ أتى إلى سيئول، وهي بالطبع مدينة وأنتم تعرفون طباع أهل المدن، وجب عليه دفع المال لشرائه. بحث عن بيت أحد الجيران الفقراء ممن لديهم أطفال، وعقد معهم اتفاقاً بأن يعطوه بول الطفل، على أن يقضي الطفل حاجته فور أن يستيقظ. كان الطرف الآخر مُصرّاً على أن يحصل على ثلاثين تشون مقابل البول، ولكن ديه-بوك أراد أن يعطيهم عشرة فقط، وانتهت المساومات بأن يحصلوا على عشرين تشون في المقابل.

بموجب هذا العقد، أصبح سام-نام يأخذ القارورة كل صباح ويتوجه لتحصيل البول، ثم يعود إلى المنزل ليعطيه إلى سيده. والبول الذي يستخدمه السيد الأستاذ يون الآن، هو نفس ذات البول المنصوص عليه بالعقد. وفي الوقت الذي يصب فيه السيد الأستاذ يون البول من القارورة، كانت مهمة سام-نام أن يقشر له الزنجبيل. هذا الروتين المُتَّبَع يشبه تمامًا شرب المرء للخمر المُداوي لآثار الثمالة؛ بعد أن يشرب كأس البول الأول، يتبعه بواحد آخر، ثم ثالث ورابع. وبعد أن ينتهي منها جميعًا، يأخذ الزنجبيل الذي قام سام-نام بتقشيرهِ.

«ذلك الطفل ابن الساقطة، لا شك أنه قد تناول شيئًا شديد الملوحة بالأمس. البول مالح جدًا».

قطب السيد يون حاجبيه بعنف، وهو يتناول الزنجبيل.

البول بطبيعته مالح. ولكن بخبرة السيد الأستاذ يون في تناوله صباح كل يوم على مدار ثلاثين عام، صار باستطاعته أن يُفَرِّق في الطعم بين المالح والأكثر ملوحة.

«ابن الساقطة اللعين، لا بُدَّ أنه تناول طبقًا كاملاً من صلصة الصويا!»

«هل أذهب وأخبرهم بأن عليه الامتناع عن تناول صلصة الصويا من الآن فصاعدًا؟».

لم يكن بوسع سام-نام أن يقف ساكنًا أمام هذا الحدث الجلل؛ أن يأكل ذلك الطفل صلصة الصويا ويأتي إلى السيد الأستاذ يون ببول شديد الملوحة.

«لا، لا! لا تقل مثل هذا الكلام الفارغ. من سمح لك أن تتدخل أصلاً؟».

«حسنًا، لن أقول كلامًا فارغًا».

«أنت أيضًا، حقًا...».

«نعم؟!».

أخذ سام-نام القارورة والكوب ليغسلهما.

«هل العقاقير جاهزة؟».

«نعم يا سيدي».

«انتبه جيدًا وأنت تُحضّر مستخلص الأعشاب الصينية؛ دواء الأمس كان مغليًا أكثر من اللازم».

«حسنًا».

بعدما خرج سام-نام، بدأ السيد الأستاذ يون تمارين الصباح للبقاء في صحة أفضل. مد قدميه على طولهما، وذراعيه لأعلى، ثم أحنى ظهره إلى الأمام قدر استطاعته وهدفه أن يطول أصابع قدميه. لكنه يعود ويرفع خصره إلى الوضع المستقيم، ثم ينحني مرة أخرى. أخذ يكرر نفس الحركة. وكانت الحركات صعبة عليه، نظرًا لضخامته وبطنه الأبجر، ولكنه على أي حال كان يعد: واحد، اثنان، ثلاثة، حتى يصل ويكمل الخمسين. وما إن يصل إلى الخمسين، يستطيع بالفعل أن يطول أطراف قدميه التي لم يتمكن من الوصول إليها في المرة الأولى، وقد لان جسده بعد التمرين.

بإمكاننا أن نطلق عليها تمارين تمديد الجسم المناسبة لزيادة معدل الاستقلاب. قد يتعجب البعض ويتساءل: لماذا لا يتابع تمارين النشاط الصباحي المُداعاة في المذيع بدلاً من ذلك؟! ولكن هذه التمارين مناسبة للشباب، لا لرجل عجوز رزين كالسيد الأستاذ يون.

تساقطت حبات العرق على جسده، وتسارعت أنفاسه بعد الانتهاء من التمارين، ففتح النافذة وجلس يستمتع بنسيم الصباح البارد إلى جانبها. ازدادت قوة أشعة الشمس، ولكن الرياح لم تزل باردة.

«يا له من طقس!».

شعر بالقلق، لكن ديه-بوك قاطعه حين دخل عليه الغرفة، ليلقي عليه تحية الصباح ويتناقش معه في أعمال اليوم.

«الجو بارد جدًا اليوم، لن يحدث خطب ما، أليس كذلك؟».

«لست متأكدًا يا سيدي!».

لم تكن الأجواء مناسبة لديه-بوك ليلقي التحية، فانهى به الأمر بأن جلس يتحدث مع السيد الأستاذ يون.

«ولكن قد تتضرر أعمالنا حقًا إذا غطى الصقيع المحاصيل».

«هذا بالضبط ما أعنيه. يا إلهي، ماذا فعلت لأستحق هذا؟ لماذا تفعل هذا بي؟ الصقيع أمر متعب في حد ذاته، ولكن يبدو أيضًا أن المحاصيل لن تتمكن من النضوج وقت الحصاد. كل هذا بسبب الفيضان اللعين. والأسوأ من ذلك، استمرار المزارعين المُستأجرين في مطالبهم بخفض الإيجار».

منذ بداية الخريف، كان حصاد هذا العام مصدر قلق دائم لكل من السيد الأستاذ يون وديه-بوك. كان هذا العام عامًا زراعيًا مزدهرًا في جميع أنحاء البلاد، باستثناء بعض الأضرار الناجمة عن الفيضانات في مقاطعة جولاً، والتي طالت حقول السيد الأستاذ يون بسببها. نجحوا في إنقاذ بعض الحقول، وتم إنقاذ نصف المحصول بها على الأقل. وغمرت المياه حقول أخرى فأغرقتها تمامًا، وبات من الصعب الحصول على حبة أرز واحدة منها، بل وسيضطر المستأجرون إلى إعادة حرث الأرض وصرف الكثير على استزراع الحقول.

ذهب ديه-بوك بنفسه إلى القرية قبل نحو شهر ونصف ليتفقد الوضع، ووجد أن تقارير المستأجرين وأصواتهم المستنجدة لم يكن مُبالغًا فيها. لكن السيد الأستاذ يون، لم يفتقر للحجج الدامغة المأخوذة على مُستأجريه، ودائمًا ما كان يقول:

«لقد تم التعاقد على أن يُدفع إيجار الأرض مسبقًا، ولذلك لا دخل لنا بطريقة سير الطبيعة. يجب على المستأجر دفع القيمة المُستحقة، سواءً أكان المحصول قليلًا، أو حتى لم يكن هناك محصول على الإطلاق. وعلى النقيض أيضًا، إن كان الحصاد مزدهرًا في عام ما، هل نطالب المستأجرين بمبالغ أعلى؟ وإذا ما طالبناهم هل سيدفعون؟! بالتأكيد سيرفضون. لذلك، كما ترى، المطالبة بخفض الإيجار أمر غير منطقي».

كان منطقته صارمًا، يصعب عليك أن تجد به ثغرة. بل ويزيد السيد الأستاذ يون على ذلك بالقول:

«أصبحنا في عصر التنوير، وتحسنت أوضاع الناس. ولكن ما يطلقون عليه تنويرًا هذا، لم يأت بالخير فقط، بل به شر دامج. جلبه لنا ما يُسمَّى بقوانين الإصلاح الزراعي، وقوانين ضبط إيجارات الأراضي الزراعية، وغير ذلك. وضعوا قوائم طويلة من القوانين، التي زادت من كسل المزارعين المستأجرين ووقاحتهم. إذا ما جاء عام كان الحصاد فيه ضعيفًا، يطالبوك بتخفيض الإيجار، أو على الأقل عدم رفعه، وألا تنقل المزارعين المُستأجرين تعسفياً، وغير ذلك من طلباتهم التي لا تنتهي».

كان كل هذا يثير حنق السيد الأستاذ يون بشدة: «لماذا لا أستطيع التحكم في قيمة الإيجار التي أخصصها للأراضي التي أملكها؟ ولماذا لا أستطيع أن أُغيّر المستأجر كما أرغب؟ لماذا تتدخل إدارة المركز والقرية والشرطة في تسيير أمور الأراضي الزراعية؟».

لم يتمكن من معرفة السبب من وراء كل ذلك، فاستمر في التذمر. لطالما كان كل ذلك لغزًا محيرًا بالنسبة له، ولم يستطع حل مفاتيحه.

على أي حال، بدا أن لا مفر من ضياع ألف شوال من الأرز. وفقًا لمنطق السيد الأستاذ يون، فقد يتمكن من الصمود أمام هذه الكارثة، لكنه سيتعرض للخسارة أمام تدخل إدارة المركز والقرية والشرطة. لذلك كان كثيرًا ما يجلس مع ديه-بوك هذه الأيام وجهًا لوجه، وشغلها الشاغل هو التفكير في حيلة لإخضاع الفلاحين المستأجرين وإجبارهم على دفع قيمة الإيجار كاملة. ثم جاءت أخبار الصقيع تتوعد بمزيد من الخسارة، وتضيف الكثير من القلق إلى كليهما.

بينما كان ديه-بوك يتناقش مع السيد الأستاذ يون، دخل سام-نام الغرفة يحمل مشروب الأعشاب الطبية الصينية المُنشّطة، وكان خليطاً من الجينسنج الكوري وقرون الغزال. كانت أمانة السيد الأستاذ يون الدائمة في الحياة، هي أن يحافظ على صحته ويُعمر طويلاً. لذلك كان يهتم بصحة جسده؛ يشرب البول ويمارس تمارين الصباح ويتناول الأعشاب الطبية الصينية. كان يرغب في أن يعيش للأبد مع ثروته العظيمة، (بل وأن يضيف إليها المزيد والمزيد) لمائة عام، مائتي عام، ألف عام، وحتى عشرة آلاف عام. بل للأبد، بقدر دوام السماء والأرض الأبديتين. كان أكثر ما يؤجج نار حسرته ويلهبها، أنه سترك ثروته تلك، وذلك العالم الرائع خلفه، ويموت، وهو لم يُكمل مائة عام حتى.

يُحكى أن الإمبراطور الصيني تشين شي هوانج كان يحلم بالخلود، فأرسل بخمسة آلاف رجل وامرأة إلى البحر الشرقي، يبحثون له عن عشبة الخلود الأبدي. وكان السيد الأستاذ يون في قرارة نفسه أيضاً يرغب في ذلك.

كثيراً ما كان السيد الأستاذ يون يتعلّل بأنه حتى وإن عاش عمراً طويلاً، هل سيعيش خمسين عاماً أخرى أم مائة؟ كل ما سيعيشه ربما لن يزيد عن عشرة أعوام. كلامه صحيح، ولا غبار عليه، وهذه سنة الحياة التي لا مهرب منها. لكن ما بنفس السيد الأستاذ يون كان غير ذلك؛ هو لا يرغب في أن يعيش عشرة أعوام إضافية ثم يموت بعدها، بل في ما هو أكثر من ذلك بكثير. إنه يرغب في الخلود. يرغب في الخلود بشدة، كما يرغب فيه الإمبراطور الصيني قبله.

ما أنجزه السيد الأستاذ يون من الحفاظ على ثروته وزيادتها، وسعيه الدائم أن يصبح من النبلاء، وتربيته لأحفاده ليكون منهم محافظ المركز ورئيس قسم شرطة، كل ذلك ما كان يختلف نهائياً عن الإنجازات التاريخية العظيمة للإمبراطور الصيني تشين، الذي حارب البربر، وبنى سور الصين العظيم من أجل حماية أراضي الصين.

وكما رفع الإمبراطور تشين جدران السور عاليًا لحماية أراضي الوطن، وأراد الخلود لكي يحتفظ بهذا الشرف العظيم بصفته القائد العظيم للبلاد، كذلك السيد الأستاذ يون صاحب الثروة المُقدَّرة بعشرة آلاف شوال من الأرز، والتي لا يزال يُكدِّسها فيها عامًا تلو الآخر، كان يرغب هو أيضًا في الحفاظ على هذا الشرف للأبد، وأن يصبح من النبلاء، ويرفع اسم العائلة عاليًا. ولأجل ذلك، يشرب البول ويمارس تمارين الصباح، ويداوم على تناول الأعشاب الطبية الصينية. لا فرق إذن بينهما.

أصبحت الساعة الثامنة تقريبًا. دخل السيد الأستاذ يون إلى الغرفة الداخلية، وتناول طعام الإفطار، ثم خرج مجددًا وقد اقتربت الساعة من التاسعة.

كانت السماء صافية وكأنها غُسِلَتْ من كل ما يشوبها، وأشعة الشمس قوية. لا بُدَّ أن هذا يوم سَعْدٍ للسيد الأستاذ يون، فهو سيقابل بعد الظهر شرغوفًا ممن يتوسطون في المعاملات المالية، سيعطيه خمسة آلاف وتسعمائة وخمسين وون، مقابل صك مصرفي مُؤَجَّل الدفع بسبعة آلاف وون، وبذلك يحقق مكسبًا بمقدار ألف وخمسين

وون. وحتى بعد أن يُعطي الشرغوف عمولته التي تبلغ مائة وخمسة وون، فسيبقى له تسعمائة وخمسة وأربعين وون. مكسبه اليوم مضمون ووفير، وهذا أمر يستحق أن يبتهج لأجله.

وكذلك، اليوم هو يومه الموعد مع تشون-شيم كما اتفقا، وهذه إضافة مميزة ليومٍ وفير الرزق.

قد لا تكون كلمتا «السعادة والرضا» الأكثر ملاءمة لوصف حاله. ولكن بلا شك كانت أوضاع السيد الأستاذ يون وأفراد عائلته الآخرين مريحة ومستقرة. ها هو تيه-شيك في الزقاق يشتري الحلوى بالقدر الذي يرغب فيه، ولذلك هو في أحسن حال. وكيونج-سون كان يهمل دراسته ويفكر في أمور أخرى تمامًا، وكان يسترجع ذكريات الموعد الغرامي الذي قضاه بالأمس مع تشون-شيم وقد كلفه الأمر اثنين وون. وها هي سيدة سيئول قد التقطت كتابها المفضل «قمر الخريف المضيء» مبكرًا هذا اليوم، ونسيت كل ما حولها. والسلفتان بغرف المنزل الخلفية، كانتا منشغلتين عمّا تخطيطانه وتفكران في أمريهما؛ السيدة بارك مطمئنة إلى أن زوجها لا بُد سيعود إلى المنزل الليلة، السيدة كو في وَجْدٍ آخر، وقد عادت إلى المنزل بعد أن تخطت الساعة الثالثة ليلاً، وقد قضت وقتها في شرب الخمر.

وجونج-سو في منزل العطلات خارج أبواب المدينة، وقد وُضِعَتْ أمامه طاولة عليها كل ما لذ وطاب، تحيطه الكيسينج، وإلى جانبه خادمه المخلص بيونج-هو. وبذلك، كانت الدنيا بين يديه. وأوك-هوا بدورها كانت مطمئنة، فقد أَمَّنتَ نفسها بمنزل وأموال، ومقتنيات ثمينة يصل

قدرها إلى ألفين أو ثلاث آلاف وون. وحتى إذا ما فسدت علاقتها مع تشانج-شيك، فلا ضير من ذلك.

أما تشانج-شيك، فرغم أنه أنفق أربعة آلاف وخمسمائة وون على لعبة الماجونج، لم يكن يعباً بشيء؛ أي مبلغ مالي أقل من الخمسة آلاف يمكن أن يبرره بأنه قد شرب به خمراً. وها هو الآن يغط في نوم عميق، وقد نسي تماماً أمر البرقية التي وصلته من طوكيو.

كان هذا حال الجميع الآن. لنعد إذن إلى السيد الأستاذ يون.

لام السيد الأستاذ يون نفسه أنه طلب من تشون-شيم أن تأتي في وقت الظهيرة، وأن انتظاره قد يطول. وقلق أكثر من مرض والدها، إذ ربما سيؤخرها أكثر. ولكن على عكس توقعه، ما إن دقت الساعة التاسعة حتى ظهرت تشون-شيم، وهي مبتهجة وسعيدة.

غمرته سعادة لا وصف لها. فتح النافذة بسرعة، وقد شعر بمؤخرته ترقص فرحاً، كما لو كان سيجري نحوها ليستقبلها. وعلت ابتسامه واسعة، ملأت وجهه الكبير.

«يا مرحباً، كيف حال والدك الآن؟».

«إنه بخير الآن»، ردت وهي تضحك بداخلها.

وقفت تشون-شيم عند عتبة الباب، ولم تبدّ عليها أي نية للدخول.

«أسرع يا سيدي، لنخرج ونشتري الخاتم».

ضحك السيد الأستاذ يون، وأجابها:

«أيتها اللعوب، ألم تنسي الأمر بعد؟! حسناً، لننّه أمر هذا الخاتم

اللعين!».

«وكيف أنسى؟ لم أذُق النوم ليلة أمس يا سيدي. أخبرتني أن أحضر وقت الظهيرة، وبدا لي أن لا فرق لو أتيت الساعة التاسعة. أسرع وغير ملابسك، هيا!». «

حسنًا، رويدك!». «

نهض السيد الأستاذ يون وهو يترنح، ثم ارتدى ملابسه وتجهّز للخروج.

«وماذا إن سخر منك البائع في محل المجوهرات، وقال عنك إنك فتاة صغيرة تضع الخواتم في يديها؟!». «

وماذا إن فعل؟ إن كنت سعيدة، ماذا يعني بما يظن الآخرون؟». «

آه! أنتِ على حق. لا بأس إذن!». «

بالطبع، لا بأس في ذلك. هل هناك مشكلة؟». «

على الإطلاق!». «

كان يشعر بنوع من الندم، ورغب في أن يتحدث ليُبعد هذا الشعور عن نفسه.

ارتدى نفس الملابس التي ارتداها بالمهرجان الغنائي بالأمس؛ القبعة السوداء لرفع شعر الرأس، وفوقها غطاء القبعة العريض الأسود، وطقم الهانبوك الأبيض الناصع على الجوارب البيضاء الثقيلة، ومن فوقها الحذاء الجلدي الأسود، بالإضافة إلى العصا الخشبية اللامعة والمروحة الورقية. سارا معًا جنبًا إلى جنب، وكأنهما سفينة كبيرة ضخمة تُبحر إلى جانبها سفينة شراعية صغيرة. وفي النهاية، وصل الحبيبان إلى منطقة جينجوجيه.

تأمل العابرون منظر السيد الأستاذ يون، ولو لوهلة عابرة، مرة واحدة على الأقل. أدهشت هيئة السيد الأستاذ يون قاطني المنطقة من اليابانيين على وجه الخصوص. فغروا أفواههم، وفتحوا أعينهم على اتساعها، متأملين جسده الضخم الذي كاد أن يسد الزقاق ومظهره النبيل وملابسه الأنيقة. كانوا اعتادوا أن يظنوا أهل جوسون فقط باعة جائلين يرتدون ثياباً رثة قذرة وسراويل تكشف سيقانهم المتسخة. ويمكن القول إن مظهر السيد الأستاذ يون غيّر تفكير اليابانيين عن أهل جوسون، مؤكداً على أن بينهم نبلاء أيضاً. وبهذا، يكون السيد الأستاذ يون، ودون قصد منه، قد قدم احتجاجاً صامتاً من أجل أهل جوسون. وكان يعتبره أمراً غير ضروري، بل ويزيد على ذلك أنه اعتبره أمراً مزعجاً. توقفت تشون-شيم التي كانت تتقدم السير ببضع خطوات، أمام متجر لبيع المصوغات بعد المدخل بقليل، وأخذت تتمعن في ما خلف نافذة العرض الزجاجية. كانت تبحث عن الخاتم بسعر السبعة وون وخمسين تشون، ولكن مهما بحثت لا تجده. أوشكت على فقدان الأمل، وتفكرت للحظات، ثم حسمت قرارها. سحبت السيد الأستاذ يون من ذراعه، ودخلت إلى المتجر.

«أهلاً وسهلاً!».

قال البائعون الستة في المحل اليابانية، وقد اندمجت أصواتهم في نغمة واحدة. اختارت تشون-شين واحداً من البائعين الستة، وتوجهت إليه بالحديث. سألته عن الخاتم المعني، بسبعة وون وخمسين تشون، بما تعلمته من اللغة اليابانية في مركز تدريب الكيسينج.

«آه، فهمت ما تعنين!» أجابها البائع بلغة كورية طليقة، وقد ضاق صدره من محاولة فهم ما تقوله باليابانية، «لقد تم بيعه، ولكن يوجد خاتم آخر يشبهه».

سارع البائع لمساعدة تشون-شيم بالبحث عن خاتم آخر، فتح خزانة العرض من الداخل، وأخرج أنواعاً وأشكالاً وألواناً من الخواتم المزدانة بالحجارة الحمراء والزرقاء والصفراء، وانتقى من بينها الخاتم الأحمر ليريه لتشون-شيم:

«هذا الخاتم رائع جداً. بل إنه أفضل من الخاتم الذي وصفتيه. شكله أجمل، ولونه أكثر بريقاً».

أمسكت تشون-شيم بالخاتم؛ كان بالفعل أجمل وأكثر بريقاً من الخاتم الذي رآته في السابق. وضعته في أحد أصابعها باليد اليسرى، كان مقاسه مناسباً جداً.

«اشتر لي هذا!».

مدت تشون-شيم بيدها أمام أنف السيد الأستاذ يون، والخاتم الذي تتدلى منه بطاقة السعر ما يزال في إصبعها.

«أهذا بسبعة وون وخمسين تشون؟ هذا السعر مُبالغ فيه».

أخذ السيد الأستاذ يون يفك عقدة قميصه، وأوشك على إخراج صرة المال. وفي تلك اللحظة، نظر إلى البائع وقال:

«إذا كان سعر هذا الخاتم سبعة وون وخمسين تشون، فهذا سعر مُبالغ فيه. يجب أن تُقدّم لي سعرًا مخفضاً أكثر».

«لا، ليس هذا سعره. هذا الخاتم بعشرة وون!».

«ماذا؟ هذا الخاتم بعشرة وون؟! ألم تقولي إنك ستشتري خاتمًا بسبعة وون وخمسين تشون فقط، ثم تختارين الآن واحدًا آخر بعشرة وون؟!».

«ولكن، الخاتم الآخر قد بيع بالفعل. ماذا أفعل؟!».

«حسنًا إذن، لا يمكنني شراءه. لنذهب إلى مكان آخر، أو لنرجع في وقت آخر!».

«لا، هذا الخاتم يعجبني جدًّا. اشتره لي!».

«غير ممكن يا فتاة».

رفع السيد الأستاذ يون مؤخرته الضخمة، عن الكرسي الصغير الذي كان يجلس عليه، ونهض فجأة.

«الفرق ليس كبيرًا؛ فقط اثنين وون وخمسين تشون».

حاول البائع بالمتجر أن يستميل السيد الأستاذ يون:

«اجلس يا سيدي، أرجوك! هذا الخاتم بعشرة وون، ولكن جودته أفضل بكثير من الخاتم الآخر ذي السبعة وون وخمسين تشون».

«وعلى الرغم من هذا، اسمع أيها الفتى...».

«بالإضافة إلى ذلك، يا سيدي، إن كنت ستشتري خاتمًا لحفيدتك،

من الأفضل أن يكون ذي جودة عالية، أليس كذلك؟».

ذلك البائع الملعون؛ كيف يقول على الزوجين المتحابين أنهما جد

وحفيدة، حتى وإن لم يكن يعرف علاقتهما؟! هذه إهانة، وليست أي إهانة. حسنًا أيها الفتى، سألقنك درسًا، ما الذي تقوله؟ أراد السيد الأستاذ يون أن يعنف البائع بشدة، لكنه أحس بخزي عظيم وقتها، في حين أن تشون-شيم لم تعبأ على الإطلاق، بل كانت مستمتعة بالأمر، وأخذت تضحك.

«أنا أريد هذا. اشتره لي من فضلك. لا أريد غيره».

احتدم الصراع في نفس السيد الأستاذ يون، وقد أعربت تشون-شيم عن رفضها لأي خاتم آخر بحزم.

«لنر إذن!».

جلس السيد الأستاذ يون مستسلمًا مرة أخرى. كان لهاتين الكلمتين أصداً قوية؛ الأولى كانت استسلامًا أمام إصرار تشون-شيم، والثانية كانت نابعة من شعوره بالخزي من سماعه أنه جد تشون-شيم وهي حفيدة.

«إذن، هل من الضروري أن تحصلني على هذا الخاتم؟».

«نعم، نعم!» ضحكت تشون-شيم وهي تجيبه.

«حسنًا، اسمع أيها الفتى!».

«نعم يا سيدي».

«سأشتريه إن كان لا مفر من الأمر، ولكن السعر مُبالغ فيه. خَفِّض السعر قليلًا».

«لا يمكن يا سيدي، مستحيل. عشرة وون كقيمة لخاتم مماثل، ليست بالسعر الغالي إطلاقًا».

«كيف تقول إنه ليس بالغالي؟! لا تُطل الجدال، تكفي ثمانية وون في مقابله!».

«لا، يا سيدي. هذا غير ممكن على الإطلاق. لن يتبقى لي أي مكسب، حتى وإن أخذتُ سعره كاملاً. حسناً، أنت سيد كبير ومحترم، لذا سأقدم لك تخفيضاً قيمته عشرين تشون. ادفع فقط تسعة وون وثمانين تشون، حسناً؟!».

«جدل لا طائل منه. ستأخذ ثمانية وون فقط في مقابله، ثمانية وون».

«يا سيدي، كيف تُفصيل في السعر في متجر كهذا؟ أعتقد أننا في سوقٍ للسّمك، لتساوم في الأسعار؟!».

عنفته تشون-شيم، ونهته عن المساومة أكثر. كان المفترض أن يرد عليها السيد الأستاذ يون بقوله «أيتها اللعوب، ألن تصمتي؟»، أن ينهال عليها بالشتائم من كل شكل ونوع. ولكنه امتنع عن ذلك. لقد أصبحت حفيدته الآن، وليست حبيبته المُنتظرة؛ لم يكن بوسعها أن يُطلق لسانه كما يرغب.

«لا تقولي هذا يا فتاة. لا يوجد مكان في هذا العالم لا يمكن المساومة فيه. إنني أساوم الحكومة، حتى على مقدار ما أدفعه من ضرائب».

كان البائع يضحك، وهو يعتقد أن السيد الأستاذ يون عجوز لطيف يجيد المزاح.

أخرج السيد الأستاذ يون صُرة المال، وأخذ يعد القطع المعدنية

ويتحسسها بيديه وينظر إليها، ثم قال فجأة:

«حسنًا، ثمانية وون وخمسين تشون؛ هذا كل ما أستطيع دفعه».

قذف بكلامه هذه إلى البائع، ونهض في نفس اللحظة من مقعده.

«حسنًا، لنذهب! لقد انتهينا من عملنا هنا».

صدمت المفاجأة البائع، وأسرع يحاول أن يمسك بالسيد الأستاذ يون. لا بد أن عملية المساومة قد استمرت لساعة إضافية، فقد كانت الساعة قد تخطت الحادية عشر بكثير حين خرجا من المتجر، وقد انتزع الخاتم من البائع مقابل تسعة وون وعشرة تشون. تركا جينجوجيه، وقطعا الميدان نحو محطة الترام، بينما كانت تشون-شيم في قمة سعادتها بخاتمها الجديد.

«تشون-شيم؟».

«نعم، يا سيدي!».

نظرت إليه وهي تضحك، ثم نظرت مجددًا إلى الخاتم.

«هل أنت سعيدة هكذا لأنني اشتريتُ لكِ الخاتم؟».

«بالطبع، يا سيدي!».

«انظروا إلى هذه الفتاة! أيتها اللعوب، لقد صرفتُ المال لشراء

الخاتم لكِ، بل وتعرضت لخزي عظيم في سبيل ذلك».

«عن أي خزي تتحدّث يا سيدي؟».

«ألم تسمعي ما قاله ذلك الفتى الحقيير، بأنني جدك وأنتك حفيدتي

الصغيرة؟!».

ضحكت تشون-شيم بشدة على ما قال.

«على أي حال، ستسمعين كلامي من الآن فصاعدًا؟»

«نعم، بالتأكيد!».

«هذا أكيد بالفعل. حسنًا، لنلتق في المساء».

«حسنًا».

«احضري مبكرًا ولا تتأخري، فهمتِ؟».

«نعم».

«لا تخذليني، هل فهمتِ؟».

«نعم».

«هل فهمتِ كلامي؟».

«نعم، لا تقلق».

«حسنًا».

«صحيح، يا سيدي؟!».

«ماذا هناك؟».

«هلاً ذهبنا إلى مركز ميسكوتشي التجاري لنأكل النانجي؟!».

«نانجي، وما النانجي هذا؟!».

«إنه طعام، غداء على الطريقة الغربية».

«غداء على الطريقة الغربية؟!».

«نعم، إنه لذيذ جدًّا».

«لا، لا! لا أريد سماع أي كلام عن الطعام الغربي!».

«لماذا؟!».

«سمعتُ الكثيرين يمدحون في جمال الطعام الغربي، وذهبت إلى أحد الأماكن التي تقدمه، فأنفقت المال هباءً وكدت أن أموت».

ضحكت تشون-شيم وسألته:

«كيف ذلك؟».

«أتسألين كيف ذلك؟ آخ! أعطوني شيئًا شبيهًا بالمدراة، وقالوا إن عليَّ أن أكل بها».

لو لم يكن للسيد الأستاذ يون خبرة سابقة في تناول الطعام على الطريقة الغربية، لذهب خلف تشون-شيم، ولظل في جينجوجيه فترة أطول يُثبِت بها جمال أهل جوسون الحقيقي. ولكن عدائه الدفين تجاه الشوكة، أو المدراة على حد تعبيره، كان أكبر بكثير. افترق السيد الأستاذ يون وتشون-شيم عند تقاطع شارع جونج-نو، وعاد السيد الأستاذ يون إلى بيته، بعد أن حصل على تعهّدٍ منها، أكثر من ثلاث مرات على الأقل، بأن تزوره في المساء.

جاء خلفه مباشرة الشرغوف، وهو يصطحب السيد كانج الذي سيعطيه الصك المالي المؤجّل، مقابل ماله الفوري. كان ديه-بوك جاهزًا بالأوراق، فتسلم الصك المالي بسبعة آلاف وون، وكتب له شيكًا مصرفيًا بمبلغ خمسة آلاف وتسعمائة وخمسين وون. بالطبع، أعطى الشرغوفَ عمولته، وقدرها مائة وخمسة وون.

بعد أن انصرف الشرغوف والسيد كانج، اطمئن السيد الأستاذ يون، وتهللت أساريره بريح اليوم المكون من تسعمائة وخمسة وأربعين وون. لكن تشانج-شيك ابن السيد الأستاذ يون، قد خسر أربعة آلاف وخمسمائة وون في قمار الماجونج بالأمس، ونهب بيونج-هو صكًا مصرفيًا بمبلغ ألفي وون من جونج-سو، بالإضافة إلى مئتي وون ثمن الطعام. وما سيلبث أن يأتي ذلك الأخير ليقتنص منه هو أيضًا ألفي وون أخرى. وهكذا، خسر السيد الأستاذ يون تسعة آلاف وون تقريبًا، أي عشرة أضعاف التسعمائة وون التي حصل عليها وجعلته مبهتجًا لهذه الدرجة. كانت تجارة لا ربح فيها في النهاية. ولكن ما من سبيل أمامه ليعرف كل هذا. كما كان الآن في حالة سُكر، وقد طار عقله من السعادة التي انتابته وهو يفكر في الليلة التي سيقضيها مع تشون-شيم، حتى أنه سمع صوت صفارة انتصاف النهار، ولم يعبأ بتناول الغداء.

وفي تلك اللحظة، سمع السيد الأستاذ يون وقع أقدام من باحة المنزل، فتوجه ببصره إلى خارج النافذة الزجاجية مستطلعًا من الخارج، وإذا به يرى رجل ببدلة سوداء يتقدم نحوه. فوجئ السيد الأستاذ يون، لدرجة أوشك معها أن يهب من مكانه ويدلف إلى داخل المنزل ليتفادى الزائر ذي البدلة السوداء. لم يعد الرجال بالبدل السوداء يزورنه كثيرًا مؤخرًا، ولكن ليس هناك ما يكرهه ويخشاه السيد الأستاذ يون أكثر من أولئك الرجال في بدلهم السوداء. من طبع الإنسان أن ينتبه جسده كردة فعل غريزية، ليأخذ حذره إذا قابل حيَّةً أمامه. ردة الفعل تلك، توارثها البشر من أجدادنا في عصور ما قبل التاريخ، حينما كان الإنسان يعيش

في عصر هيمنة الزواحف على الأرض. خلال تلك العصور التي عاشها الإنسان في خوف وفرع وصراع، رَبَّى بالنفس البشرية غريزة فطرية. وهذه الغريزة لا تزال تسري في دمائنا نحن البشر إلى اليوم. ويمكن القول إن هذا بالضبط ما حدث للسيد الأستاذ يون؛ ما أن يرى رجلاً ببدلة سوداء، حتى يهب فرعاً محاولاً الهرب أولاً وقبل كل شيء.

فهو لا يزال يتذكر الرجال ذوي البدل السوداء الذين انتشروا بكثرة بعد عام ١٩١٩، وهم يوجّهون فوهات مسدساتهم إلى صدره، ويسلبونه أمواله على مرأى بصره. وكذلك الوقت الذي قضاه في استجواب الشرطة له عن حادث السرقة، وكان قد فقد كل من ماله وعقله، وفضلاً عن ذلك وجب عليه تحمُّل الإجابة على أسئلتهم بالتفصيل. كان الاستجواب للبحث عن الجاني، وليس لأنه ربما يكون على علاقة بهم، وهو المشهور بكونه رجلاً ذي مال وسلطة في المنطقة. ولكن لم تجرِ الأمور على ما يرام بالنسبة لكافة الأطراف، بسبب أقوال السيد الأستاذ يون المتضاربة، بعد أن شتت الحادث تفكيره.

كان تلك تجربة السيد الأستاذ يون مع الرجال ذوي البدلات السوداء؛ تجربة تصطك لها الأسنان ويقفز لها القلب فرعاً. وبالإضافة إلى تلك التجربة، هناك أيضاً مندوبو شركات التأمين، ممن يرتدون البدلات السوداء، وهم مسئولون عن نوع من المواقف المزعجة التي يتعرض له ذوو الأموال بشكل متكرر، ومنهم السيد الأستاذ يون. كانوا دائماً يترددون على السيد الأستاذ يون، وإن كان في عمر متقدم لا تسمح له بالاشتراك في التأمين، فيحاولوا إقناعه بأنه لابنه، أو لحفيده، أو

لأي أحد آخر قد يجدونه مناسباً للاشتراك في التأمين. وكان رد السيد الأستاذ يون عليهم قاطعاً ومقنعاً: «أيها السيد، كيف لك أن تطلب مني أن أشارك في التأمين باسم ابني أو حفيدي، وانتظره ليموت من أجل الحصول على مال التأمين؟». ولكن بالطبع، لم يكن هؤلاء الرجال ممن قد يتراجعون بسهولة، وكانوا يستمرون في الإلحاح عليه وكأنهم علقات تلتصق بالجسد.

والفئة التالية من الرجال في البدل السوداء، الذين لطالما ترددوا على السيد الأستاذ يون، هم المطالبون بالتبرع لقضية ما؛ مؤسسة تعليمية، أو منظمة إغاثة لضحايا الكوارث، أو غير ذلك من المؤسسات الخيرية. كانوا يزورون السيد الأستاذ يون، ويقدمون له عريضة مفصلة بالحالات الإنسانية، فيستمع لهم ثم يرد قائلاً:

«نعم، نعم! أمر جيد بالفعل للمشاركة فيه. ولكني، لأعوام عديدة، أنقذت حياة الكثير والكثير من الناس. ولذلك ليس عليّ حرج إن لم أساعد أو أشارك هذه المرة، فاذهبوا عني!».

فيردون عليه بمديحٍ مُطَوَّل، ثم يسألون:

«وأي نوع من الأعمال قمت بها في السابق يا سيدي؟».

«لديّ الآن من الأراضي ما يُنتج نحو عشرة آلاف شوال من الأرز، ولديّ قرابة ألف مستأجر لهذه الأراضي. أنا أقدم هذه الأراضي لهؤلاء المستأجرين ليزرعوها وتصبح مصدر رزق لهم».

ودائمًا ما تكون هذه إجابة السيد الأستاذ يون، الذي ينهي كلامه بأن

مثل هذا العمل هو بالفعل ما ينقذ أرواح البشر.

كان أغلب من يسمعون هذا الكلام يضحكون في داخلهم ويغيّرون مجرى الحديث، ولكن بعضهم لم يكن يدرك مغزى الحديث، فيردون عليه مستفسرين:

«آه، حسنًا يا سيدي، إذن أنت تقدم الأراضي للمستأجرين، ولا تتلقى مالا في المقابل؟!».

فيرد السيد الأستاذ يون، معنفاً إياهم بشدة:

«بالطبع لا! وكيف أعيش إذا لم أتلقَ المال منهم؟ اسمع أيها السيد، هل هناك من يعطي أرضه للآخرين ليأكلوا منها ولا يتلقى مالا في المقابل؟ أي مغفل هذا؟!».

وهنا يحاول المستمع أن يُغيّر مجرى الحديث بمزحة ما، ولكن السيد الأستاذ يون حازم وجاد في موقفه. بالنسبة له، كان تقديم صاحب الأرض أرضه للمستأجر عملاً نابغاً من قلب طيب، ووجهة نظره التي لا تتغير هي أنه بهذا ينقذ المستأجرين ويقوم بعمل صالح لا مثيل له. ومنطق السيد الأستاذ يون هذا ملائم تماماً لطريقة تفكيره. فالحقول في الواقع ملكه، وليس هذا فقط، فالمنافسة على استئجار الأراضي أيضاً حامية، والسيد كيم والسيد تشوي والسيد لي والسيد تشيه، جميعهم يرغبون في الفلاحة بأراضيهم، وهو فقط من له الحق في اتخاذ القرار، من سيحصل على هذه الأرض لزراعتها:

«فإذا ما أعطيت أنا بذلك حق الأرض للسيد تشوي، وكان بإمكانني

أن أعطيها للسيد كيم أو السيد لي أو السيد تشيه، ألا أكون بذلك أسدي له معروفًا؟!».

وهذا هو ملخص نظرية السيد الأستاذ يون، عن مشروع الأعمال الخيرية ذات الصلة بحق امتلاك الأراضي الزراعية وتأجيرها.

وعلى أساس ذلك فإن السيد الأستاذ يون كان ملتزمًا التزامًا كاملاً بنظريته هذه، ولم يقدم تشون واحدًا لأي من مؤسسات الأعمال الخيرية أو أعمال الإغاثة، غير أنه قد يتبرع من أجل بعض من المشاريع التي تعجبه بشكل شخصي، مثل تبرعه لإنشاء قاعة للتدريب على الرياضات القتالية من أجل قسم الشرطة. كان الرجال في البدل السوداء، هم من يترددون على السيد الأستاذ يون بشكل متكرر، ويزعجوه مطالبين إياه بالأموال، رغم حرصه على الالتزام بإيمانه ذلك.

وعلى هذا المنوال، قضى السيد الأستاذ يون أكثر من عشرين عامًا، تحت ضغط وتهديد الرجال في البدل السوداء. ولذلك طور بنفسه تلك الغريزة التي تشبه غريزة الإنسان قديمًا في صراعه مع الزواحف، ليواجه بها أولئك المتطفلين. وهذا ما حدث في تلك اللحظة، هبَّ السيد الأستاذ يون من مكانه فزعًا وكأن لهب نار لسع جسده، ما أن رأى الرجل في البدلة السوداء يتقدم إليه. فتح الباب الخلفي وأوشك على الهروب داخل المنزل. ولكن الرجل في البدلة السوداء كان أسرع منه، ووضع يده على مقبض الباب بالفعل وفتحه. اشتعل غضب السيد الأستاذ يون، واستدار ليصبه عليه. ولكن الرجل في البدلة السوداء لم يكن بالغريب عنه. اطمئن لهذه الحقيقة مبديًا، غير أنه ابتأس، لأنه خُدع بهذه الطريقة:

«أيها التعس، لأقطعن نسلك. لا تدخل خلصة هكذا!».

كان هذا جونج-سو العائد لتوه من منزل العطلات خارج أسوار المدينة، بعد ليلة من السكر والعريضة. لم يكن يمانع على الإطلاق من أن يتلقى السباب إلى أن ينهي جده لفافة التبغ بأكملها. ركع على الأرض، وجلس وهو يقدم التحية والاحترام لجده الكبير.

«ماذا أتى بك هذه المرة؟».

«هناك بعض المصالح التي يجب أن أقضيها، لذلك...».

«مصالح تقضيها؟ وهل لك مصالح هنا غير المطالبة بالمال؟! أيها التعس، إن كنت ستطلب المال، عُذ أدراجك. لا أريد أن أُلحِك بعيني حتى!».

كانت ضربات السيد الأستاذ يون مباشرة. لم يستطع جونج-سو أن يفتح فمه أمام هذا الهجوم المفاجئ، فبقي ساكنًا لهول الأمر وهو مُطأطيء الرأس.

«بحق السماء، أين أنت من أن تصبح محافظًا للمركز، أو حتى ساقياً فيه؟!».

كان غضبه شديداً، مما جعل جونج-سو يحترق في كيفية التعامل معه هذه المرة. نفّض لفافة التبغ في منفضة السجائر، واستمر في تعنيفه بنفس نبرة الصوت الغاضبة:

«أخبرني، هيا! متى ستصبح محافظاً بحق السماء؟ سيصبح حفيدي جِداً قبل أن أسمع خبر توليك للمنصب».

كان يدرك جيداً أن خطته قد تستغرق عشرة أعوام قبل أن يتحقق ما يرغب فيه. ولكن لا بأس من أن يضغط عليه من أجل أن تقصر المدة، وكلما قصرت كان أفضل. لحظتها، استطاع جونج-سو أن يفكر في حيلة لطلب المال من جده، مستغلاً ما قاله لتوه.

«لا تقلق أبداً. لقد أتيت هذه المرة من أجل هذا الأمر بالذات».

«ماذا؟ حسناً، هذا يسير. إذن هل حققت شيئاً؟».

تهللت أسارير السيد الأستاذ يون من كلمة واحدة؛ كان بالفعل ساذجاً سهل الإقناع كالأطفال.

«أعتقد أن أمراً تنفيذياً سيصدر عمّا قريب».

«أحق ما تقول؟!».

«نعم!».

«إذا كان هذا بالفعل حقيقة، فهو يوم سعدي. حسناً، وماذا بعد ذلك؟ متى ستصبح محافظاً؟!».

«ما أن أنتقل إلى إدارة المركز، وما بعد ذلك أمره سهل».

«ولكن سيظل عليك أن تقضي هناك بضعة سنوات، أليس كذلك؟!».

«أعتقد أربع أو خمس سنوات؟! ولكن، يا جدي، هناك أمر ما...».

«ماذا؟».

«هذه المرة لا بد أن يكون هناك على الأقل ألفي وون لتأخذ الأمور

مجراها بسلاسة».

«أكيد، بالطبع. وماذا كنت أتوقع؟!».

قفز السيد الأستاذ يون من مكانه على الفور. كان يحلم بحفيده وهو يرتدي الزي الرسمي المُزدان بخطوط من الذهب، مثل تلك التي يرتديها كبار الموظفين في الدولة، ويتباهى بوضعه الجديد كأحد النبلاء. وعلى الرغم من أن تلك الأزياء الرسمية قد اختفت منذ عهد بعيد، لا زال السيد الأستاذ يون يبتهج بالتفكير في جونج-سو بالزي ذي الخط الذهبي الواحد، ثم بالخطين بعد أن يترقى في المنصب. ولكن ها هو جونج-سو أمامه مرة أخرى، يطالبه بالمال ويقضي على أحلامه وسعادته. فما كان منه إلا أن اشتعل غضبه مجدداً.

«أيها التعس، لأقطعن نسلك! لقد أتيت مجدداً لتطلب المال، أتريد أن تقضي عليّ؟ أظن أنني لا أعرف حقيقتك؟ إذا كان الأمر منتهياً وستحصل على ترقيتك، فما الداعي للألفي وون؟».

«هذا المال ليس من أجلي».

«وإن لم يكن من أجلك، فلمن إذن؟».

«أرغب في شراء هدية، خاتم ذهب».

«ماذا؟ أي خاتم هذا الذي يكلف ألفي وون؟! وحتى إن كان هناك خاتماً بهذا السعر، من يضع خاتماً غالباً هكذا في يده، لا بد وأن يصيبه برق من السماء ويقضي عليه. أترغب في أن تشتري خاتماً هدية بهذا السعر؟ أيّا كان هذا، فشراء خاتم بألفي وون ووضعه في إصبعٍ سيتحلل ويختفي بعد أن يموت المرء، لهو أمر يشعل غضب السماء حتى تُسقط

عليه برقًا ورعدًا لتقضي عليه! رأيتُ بنفسِي خواتم جميلة بتسعة وون وعشر تشون. قل لي: من الذي اقترح عليك هذا الخاتم؟! قل لي! هل غصبك أحدهم على ذلك، أم أنه أنت؟!».

«المحافظ. عندما أتى إلى سيئول المرة الماضية، قابل السيد جي-جون. أنت أيضًا تعرفه يا جدي، أليس كذلك؟ إنه السيد جي-جون، الذي يعمل في الحكومة الإدارية اليابانية». «وماذا به؟».

«قال لي المحافظ إنه قابل السيد جي-جون مع زوجته وأولاده. كانوا معًا في مركز ميسكوشي التجاري. كان سعيدًا جدًا للقاءه، فأخذنا يتبادلان أطراف الحديث، وبعدها قررا أن يستكملا جولتهما بالمركز التجاري. وفي أثناء ذلك رأت زوجة السيد جي-جون خاتمًا ذهبيًا أعجبها في محل المصوغات بألفي وون، وقالت إنها ترغب في الحصول عليه. ضحك السيد جي-جون وقال لها إنه يرغب بالفعل في شرائه لها، ولكن من أين له كل هذا المبلغ؟ ظهرت خيبة الأمل بشكل واضح على زوجته. وقال لي المحافظ أيضًا إنه كان يرغب في شراء الخاتم وإهدائه في لحظتها، ولكن لذلك تأثيره العظيم، أعظم بكثير من هدية بعشرة آلاف وون. ولكن لم يكن بيده حيلة، فهو أيضًا لا يملك هذا المبلغ».

«وبعدًا إذن، عرض عليك أن تشتري أنت ذلك الخاتم وتهديه إلى عائلة السيد جي-جون؟».

«نعم! بالفعل، وأضاف أن ذلك سيكون بالتأكيد في مصلحتي،

خصوصًا ونحن في المراحل الأخيرة قبل الإعلان الرسمي».

أخذ السيد الأستاذ يون يدخن لفافة التبغ، دون أن يضيف أي كلام آخر. فكر في نفسه أن الأمر منطقي قابل للحدوث، وبدا له الأمر في نفس الوقت حيلة من جونج-سو. ولكن، إذا لم يصدق ما يقوله، وتقبل أمرًا حقيقيًا على أنه كذب، فسيؤدي ذلك إلى خسارة عظيمة بأن يفوت فرصة تقديم تلك الهدية التي تستحق أن يصيبها برق من السماء. في النهاية، توصل إلى أن انطلاء خدعة جونج-سو عليه، مع إعطائه المال، سيكون الخيار الأفضل.

«حسنًا، حسنًا! ولكن ليس معي الآن سوى ألف وون. خذها، ودبر أمرك، اشتر بها ذلك الخاتم أو أي هدية أخرى. إن أردت أن تفعل ما أقول، فخذ الألف واكتف بها. لا دخل لي بعد ذلك».

بالطبع كان هذا التصرف ملائمًا للسيد الأستاذ يون، الذي يعتقد أن الحكومة تغالي في ضرائبها، وأنه لا بُد أن يساومها في ذلك، كيف له ألا يساوم في الرقم الذي طلبه منه جونج-سو؟! ولكن جونج-سو على دراية تامة بطريقة تفكير جده، لذلك سبقه وأخبره أن يحتاج ألفي وون، وكان في الحقيقة كل ما يرغب فيه هو ألف وون فقط. استدعى السيد الأستاذ يون ديه-بوك، وكتب له صكًا مصرفيًا بقيمة ألف وون، ووضع عليه ختمه، ثم طلب منه تحضير المبلغ وإعطائه إلى جونج-سو. كان يفكر في قرارة نفسه أنه أضاف خمسة وخمسين وون لما ربحه اليوم من تسعمائة وخمسة وأربعين وون وخسرها كلها، فحزن لتلك الحقيقة كثيرًا.

الفصل الخامس عشر

لا تبحث بعيداً عن طريق هلاكك!

في تلك الأوقات التي كان يُعرَف فيها السيد الأستاذ يون بيون العلجوم، والتي كان فيها والده يُعرَف بيون وجه الحصان، كانت هناك حادثة لا تُنسى، حين رفع السيد الأستاذ يون رأسه إلى السماء المشتعلة باللهب المتصاعد جراء حرق المخازن، وقال جملته المشهورة: «فليذهب العالم إلى الجحيم، سوانا!»، أمام جثة والده يون يونج-كيو الذي قتلته ضربات عصابات قُطَّاع الطرق بلا رحمة. كان ذلك قبل نحو نصف قرن. قال السيد الأستاذ يون جملته حين شعر أن هذا العالم ليس في صفّه، فصبَّ لعناته الغاضبة عليه معلناً الحرب. وبالفعل، كان النصر حليفه. ولكن، الآن...

اجتمع أفراد الأسرة في غرفة النوم لاستقبال جونج-سو وإلقاء التحية عليه، بمن فيهم سيدة سيئول وتيه-شيك والكُتَّان القاطنتان بالغرف الخلفية، ما عدا السيدة كو في الغرفة المقابلة، والتي يبغض حماها السيد الأستاذ يون رؤيتها. جلسوا ملتفين حول السيد الأستاذ يون وجونج-سو، وكانوا على وشك تناول طعام الغداء.

«يا أبا كيونج-سون، عليك أن تتحكم في نفسك من الآن فصاعدًا!»
وَجَّه السيد الأستاذ يون كلماته الصارمة المباشرة بغرض التهذيب
والتربية، ونداه باسم «أبا كيونج-سون» بكل كياسة في حضرة أفراد
الأسرة.

«عليك أن تضبط نفسك، لتصبح على الأقل شبيهًا بأخيك جونغ-
هاك. أنت تعرف أن جونغ-هاك ماهر في عدة أمور، فضلًا عن أنه
نشط وملتزم، وهو لا يميل للعب مثلك. كما أنه سيتخرج من الجامعة
عمَّا قريب. العام المقبل، أم العام الذي يليه؟! العام الذي يليه، أليس
كذلك؟!».

«نعم».

«بالفعل! سيتخرج من الجامعة، وبعدها ماذا؟ ثلاثة أعوام أو أربعة،
ويصبح ما سعى لأجله ويحقق هدفه. جيل هذه الأيام يستخدم كلمة
«هدف» كثيرًا، أليس كذلك؟ حسنًا، سيحقق هدفه ويصبح ماذا؟ ضابط
شرطة، وبعدها رئيس مركز الشرطة نفسه».

«نعم».

«لذا، ألا يجب عليك أن تتحكم في نفسك وأفعالك من الآن،
وتهم لتصبح محافظًا للمركز؟ أألن تشعر بخزي عظيم حين يصبح
أخوك الصغير رئيسًا لمركز الشرطة، بينما لا تزال أنت موظفًا في مركز
الإدارة؟ ها؟! إن صرت محافظًا، وأصبح هو رئيسًا لمركز الشرطة..
حسنًا، ماذا؟ سيكون ذلك في مصلحتك، وفي سبيل سعادتك، أليس

كذلك؟! إن توييخي المستمر لك من أجل مصلحتك.. بلا شك.. ليس لي في الأمر مصلحة ولو بمقدار ذبابة».

«نعم».

«ذلك الفتى جونج-هاك قصة أخرى. منذ صغره وقد لمع ذكاؤه ومهارته، وكان دائماً ما يتبعني ويسمع كلامي، ولا زال يفعل بعد أن كبر كذلك. أنا أثق به تمام الثقة. لقد صرف الكثير من الأموال العام الماضي، ولكن مقارنة بما تصرفه أنت، فهو لا ينفق نقوداً على الإطلاق. وماذا في ذلك؟ يمكن للرجل أن يصرف المال ببذخ، فقط إن كانت له شخصية قوية وليس ليناً خائباً مثلك. لذلك، عندما قال لي الشهر الماضي إنه بحاجة إلى خمسمائة وون، أرسلتها له دون مجادلة».

وفي تلك اللحظة تناهى صوتُ سعال خفيف من باحة المنزل. كان تشانج-شيك قد أجبر نفسه على التحرك والذهاب إلى منزل السيد الأستاذ يون، بسبب البرقية التي وصلته من طوكيو ليلة أمس. تلقى تشانج-شيك التحية من ابنه جونج-سو الذي خرج مسرعاً لاستقباله، وسأله عن الوقت الذي أتى فيه لسيئول كنوع من التحية دون أن ينتظر رداً، وتلقى تحية صامته من كُتَّبه اللتين أسرعتا أيضاً إلى الباب لاستقباله، ثم تبادل التحية مع أخته غير الشقيقة سيدة سيئول. وما إن دخل إلى الغرفة، حتى انحنى له جونج-سو راکعاً، وكذلك أخيه غير الشقيق تيه-شيك، مقدمين احترامهما له. ثم ركع تشانج-شيك جالساً أمام أبيه.

«يبدو أن الشمس ستشرق من الغرب اليوم!».

جاءت كلمات السيد الأستاذ يون تعنيفاً لابنه الذي لا يحضر لرؤيته
إن لم يستدعه، وفي نفس الوقت تعجباً من حضوره.

«لماذا أتيت؟! لا بد أنك هنا لطلب المال، أليس كذلك؟!».

«لقد وصلتني برقية من طوكيو».

كان ذلك ليصبح مشهداً مثاليًا لو انقلبت الأدوار في الهرم العائلي،
فأصبح تشانج-شيك هو الأب الطيب المراعي، والسيد الأستاذ يون هو
الابن المتهور الطائش.

«برقية؟ من طوكيو؟!».

«ألقت الشرطة القبض على جونج-هاك».

«ماذا؟!».

كان صوت صراخه عظيمًا، وتزامن مع صوت ارتطام مؤخرته
بالأرض، وكأنَّ فرس النهر قد ارتطم بجسده الضخم على الأرض.
كان كل أفراد الأسرة في حالة من الصدمة أيضًا. بدا كأن السيد الأستاذ
يون قد تلقى ضربة قوية على مؤخرة رأسه بمرزبة، ففغر فاهه، وزاغت
نظراته، ولم تعرف مكانًا لتستقر عليه. وظل على حاله هذه لهول الأمر،
لا يقدر على النطق ولا الحركة.

وبعد فترة، تحرك وضبط جلسته، وهو يزأر:

«ما هذا الذي تقوله؟ ها، ها؟ ماذا تعني؟! هيا، تحدث!».

«يبدو أن زميلًا له هو من أرسل البرقية! لا أعرف التفاصيل بعد».

أخرج تشانج-شيك ورقة البرقية التي وصلتته ليلة أمس، ومررها

لوالده. أمعن السيد الأستاذ يون النظر في الورقة، ثم قرأها بصوت عالٍ. بالطبع كان الأصل باللغة اليابانية، فلم يعرف كيف يقرأها. لكنه قرأ ما ترجمه مين خادم تشانج-شيك.

«ألقت الشرطة القبض على جونج-هاك، لتورطه في جريمة ذات صلة بالفكر السياسي».

«هذا يعني أن جونج-هاك ارتكب جريمة ذات صلة بالفكر السياسي!».

«جريمة ذات صلة بالفكر السياسي، كيف ذلك؟».

«له علاقة بالفكر الاشتراكي...».

«ماذا؟!».

كان صراخ السيد الأستاذ يون أعلى حتى مما كان عليه منذ قليل. وأوشك على السقوط على ظهره، لكنه تماسك في آخر لحظة. شعر قبل قليل بالتهاون والحيرة، كأنه تلقى ضربة على مؤخرة رأسه. ولكنه الآن يشعر بأن ذهنه قد تشتت، وأن الأرض من تحته تهتز، وأنه يسقط في حفرة عميقة بلا قاع.

لم يكن ما شعر به السيد الأستاذ يون نابغاً من محبته وثقته في حفيده جونج-هاك. لقد فاق غضب السيد الأستاذ يون في هذه اللحظة التي سمع بتورط جونج-هاك بالفكر الاشتراكي، ما كان عليه عندما هجمت عليهم عصابة قُطَاع الطرق في الماضي، كما كان أكثر فزعاً بمراحل. لا بد أن نقول إن نعمة عظيمة قد لحقت بالإمبراطور الصيني تشين شي-

هوانج، حين سمع نبوءة تقول بأن خراب بلاده سيكون على يد «هو»، واعتقد أن هذه الكلمة البسيطة تعود إلى برايرة «هو»، فقرر وقتها أن يبنى سور الصين العظيم. لكن المنية سبقت، ولم ير بعينه خراب بلاده. ثم جاء هذا الخراب على يد ابنه الذي كان اسمه الحقيقي أيضًا «هو-هيه». «ماذا تعني بالاشتراكية؟ ها، ها؟!».

زلزل صراخ السيد الأستاذ يون المنزل بأكمله، وقد أوشك أن يتلع أحدهم اليوم حيًا.

«كيف لذلك الوغد أن يتورط في جريمة ذات صلة بالفكر الاشتراكي؟ ها؟ هل هذا الكلام حقيقي؟ أهذا بالفعل ما حدث؟!». «لقد أبدى بعضًا من تلك الأفكار في الحقيقة العام الماضي، حين أتى في زيارة خلال العطلة الصيفية».

«إذن، فالأمر واقع بالفعل. إنه حقيقة فعلاً، آه!».

تساقطت حبات العرق على جبين السيد الأستاذ يون.

«ذلك الحقير يستحق القتل. لقد أرسلته للدراسة ليصبح رئيسًا للشرطة، وفي النهاية ماذا يمارس؟ الفكر الاشتراكي؟! ويُلقي القبض عليه؟ ها؟! ما الذي ينقصه، ذلك البائس، لكي يتجه إلى الاشتراكية؟ ما الذي ينقصه، ولديه كل هذا المال، لكي ينضم إلى شذمة العصابات تلك؟!».

حبس كل من في الغرفة أنفاسهم، وظلوا صامتين؛ الجالس منهم والواقف. وخيم صمت مهيب على الغرفة، كأن عاصفة قد مرت بها.

«ولكنه عالم رائع الذي نعيش فيه؟ يا إلهي، ما الذي دفعه لذلك؟!».

صرخ السيد الأستاذ يون، وهو يضرب بقبضته على الأرض، كأنه
ثور في موسم التزاوج.

«أهناك عصابات وقُطَّاع طرق؟ إن كان لك ثروة، فهي ملك
للصوص. ولن يساوى حينها ثمن النفس البشرية مقدار ذبابة حتى!
انظروا حولكم؛ الشرطة في كل مكان يتناوبون في كل الأوقات،
والحكام العادلون في كل مركز وقرية. لقد أحكم اليابانيون تنظيم
الجيش ليحمونا، نحن أهل جوسون. ألا تعيشون الآن في عالم يستحق
الشكر لما فيه من نِعَم؟ نحن حقًا نعيش في سلام تحت ظلال الجنة.
تمتلكون ما ترغبون به. إنه حقًا عصر الحياة في سلام تحت ظلال الجنة.
لكن ذلك البائس التعس، الذي وُلِدَ ولديه كل هذا المال، يسافر إلى
أرض ليست أرضه وينضم إلى شرذمة العصابات التي ستكون السبب
في هدم عالمه. إذا كان قد وُلِدَ بكل هذه الامتيازات، فيجدر به الاستمتاع
بالحياة، لا أن يبحث عن البؤس».

ضرب السيد الأستاذ يون الأرض بقبضته مجددًا، ثم نهض من
مجلسه. فوجئ أفراد الأسرة بسلوكه العنيف، لدرجة بدا معها أنه قد
يتعرض لنوبة صرع في أي لحظة، ولم يتمكنوا من إخفاء نظراتهم
القلقة، من أن العجوز قد يفقد عقله في أي لحظة.

«ذلك البائس يستحق أن أقطعه إربًا. سأكتب إلى الشرطة وأطالبهم
بأن يحبسوه مئة عام، نعم مائة عام. كنت أعزم أن أعطيه نصيبًا يُقَدَّر
بثلاث آلاف شوال من الأرز. ولكني سأبيعها كلها وأتبرع بثمرتها إلى

الشرطة، ليقبضوا على أمثاله من الاشتراكيين ويزجون بهم في السجون. ذلك البائس يستحق الموت».

وجاءت كلماته الأخيرة أقرب للنواح منها إلى الصراخ:

«في هذا العالم، ونحن نعيش في سلام تحت ظلال الجنة».

خرج السيد الأستاذ يون إلى الباحة الأمامية للمنزل، وهو يخطب بقدميه بقوة على الأرض الخشبية. وتبعه تشانج-شيك وجونج-سو، اللذين كانا يجلسان راكعين على الأرض.

«ذلك البائس، وهو من عائلة غنية تقدر ثروتها بمائة ألف شوال من الأرز، ينضم إلى الاشتراكية الملعونة! ذلك البائس يستحق القتل، يستحق القتل».

أخذت صرخات السيد الأستاذ يون ولعناته على حفيده، تخفت تدريجيًا وهو يتوجه إلى غرفته. ومع ذلك، ظل صدى زئيره المرعب يتردد في آذان بقية أفراد الأسرة، وقد أظلمت وجوههم وعجزوا عن الكلام، ثم بدأوا يحدقون في وجوه بعضهم البعض، وكل منهم يبحث عن مكان يهرب إليه. كانوا أشبه بالجنود الذين اضطروا إلى مواجهة موت قائدهم، أمام أعينهم.

تعقيب الترجمة

نُشرت رواية «سلام تحت ظلال الجنة» لأول مرة في مجلة «جو-كوانج» الكورية عام ١٩٣٨ في هيئة فصول على مدار ثمانية أشهر (بداية من يناير وحتى سبتمبر من العام نفسه). وقد جاء نشر الرواية بعد وقت قصير من اندلاع حرب المحيط الهادئ. تنتمي الرواية لنوعية رواية الأجيال، لعرضها أربعة أجيال في أسرة واحدة (الجد الأكبر، السيد الأستاذ يون، أولاده، حفيديه). تسلط الرواية الضوء على أسرة «السيد الأستاذ يون» الإقطاعي، ورحلة صعود أسرته من الفقر المُدقع إلى طبقة الإقطاعيين الأثرياء الجشعين من مُلاك الأراضي المُرابين. أما الخلفية التاريخية للرواية، فهي إبان الاحتلال الياباني لشبه الجزيرة الكورية (١٩١٠-١٩٤٥)، وتحديداً في مطلع عشرينيات القرن العشرين.

استخدم الكاتب تشيه مان-شيك، أحد أشهر الكتّاب في كوريا الحديثة، أسلوب الكوميديا السوداء والتهكم التراجيدي، الذي يبعث بمعانٍ عميقة تبرز فيها بعض اللحظات التاريخية، ليعرض بعض نماذج المجتمع الكوري، ممن عاشوا في فترة الاحتلال الياباني، بالإضافة إلى لمحة سريعة عن طبيعة الحياة في المجتمع الريفي في ذلك الوقت، وعلاقات الفلاحين بطبقة الإقطاع، وعلاقة مُلاك الأراضي

بُقْطَاعَ الطرق وعصابات السلب والنهب، وقضاة المراكز المرتشين،
وسماسرة الأراضي الزراعية، وطبقة الكيسينج والنساء اللواتي يعملن
في مهنة الترفيه، وربات البيوت التقليديات، والطلاب المبعوثين
اليابان. ثم تنتقل عدسة السرد لمجتمع المدينة الذي يتخذ من العاصمة
سيئول خلفية مكانية للأحداث، مسلطاً الضوء على مختلف الفئات
والأماكن، من بيوت البغايا في المنطقة الحمراء، وساحة مسرح مطربي
الجنوب بقاعة بومين، والمجمع التجاري، وغيرها من الأماكن الأخرى
التي تحمل دلالات عميقة داخل سرد الرواية.

جدير بالذكر أن الرواية ليست سجلاً تاريخياً يُؤرّخ لتلك الفترة،
سواء بالانحياز للاحتلال الياباني أو مهاجمته. إلا أنها ضمن الروايات
التي كتبها الكاتب في مرحلة موالاة الاستعمار الياباني، والتي شكلت
مادةً خصبة لمقارنة أعماله قبل وبعد الاستقلال. وهذه الرواية تُسلّط
الضوء على شخص بعينه، هو بطلها «السيد الأستاذ يون» الذي ينحدر
من مقاطعة جولا، وهي بالمناسبة نفس مسقط رأس الكاتب، لتعرض
مرحلة صعود أسرته على مدار جيلين فقط من الفقر المدقع والتردد
على أوكار القمار، حتى يصبح أحد أهم أثرياء كوريا في فترة قصيرة
بلغت أقل من عشرين سنة، من خلال عمله في مجال الصكوك الائتمانية
وإقراض الفلاحين، صغيروهم وكبيرهم على حد سواء.

بخلاف اعتماد الكاتب على السخرية والكوميديا السوداء في
السرد، فقد اعتمد كذلك على طريقة السرد المستخدمة في أغاني
«البان-سوري» الكورية التقليدية التي يعشقها بطل الرواية «السيد

الأستاذ يون». تلك الكوميديا السوداء ما هي إلا وسيلة الكاتب في التأكيد على انهيار القيم التقليدية الشعائرية في مواجهة الرأس مالية الحديثة، والتيار الاشتراكي الذي قد بدأ ينتشر آنذاك في القارة الآسيوية، بالإضافة إلى انحطاط طبقة الأثرياء الأرستقراطيين الزائفين أمثال «السيد الأستاذ يون»، بحيث تتشابك مع الرؤى حول القواعد العرفية لاضطهاد المرأة الكورية في خداع الذات الكامن، مع تعاون الكوريين مع المُضطهد الياباني. جاء الحوار كأنه جلسة نيمية مُطوّلة بين الراوي والقارئ، عن بطل الرواية المنحدر أخلاقياً والذي يتسم بكل سمات الأنانية، وعن أفراد عائلته. يجسد بطل الرواية الطموحات التقليدية لرب الأسرة الكوري، الذي يضطدم مع البيئة الحضرية الحديثة، ويزداد ذلك الصدام، خصوصاً بين الأعراف الكونفوشيوسية التراثية والواقع الاجتماعي في القرن العشرين. وبشكل عام، تركّز الرواية من خلال السرد على السقوط المفاجئ لواحدة من أكثر الشخصيات الخيالية التي لا تُنسى في الأدب الكوري، لتصبح شخصيات الرواية وتعقيداتها، أكبر من الحياة ذاتها.

